شمس الدين أحمد

الأفلاكي

مناقب العارفين

الجزء الأول

في شرح أحوال

مولانا جلال الدين الرومي

وشمس الدين التبريزي والمشايخ المولوية



ترجمة عن الفارسية وتقديم وتعليق

د. منال اليمني عبد العزيز

مناقب العارفين

شمس الدين أحمد الأفلاكي

الجزء الأول

- المؤلف: شمس الدين أحمد الأفلاكي
- العنوان: مناقب العارفين في شرح أحوال مولانا جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي والمشايخ المولوية
- ترجمة وتقديم وتعليق: د. منال اليمني عبد العزيز
- الطبعة: الأولى 2025 م
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:
٢٠٢٤/٢٨٣٨٦
الترقيم الدولي: ISBN
978-977-765-424-1

Afaq for Publishing & Distribution

17 Mahmoud Basiony St, 6th floor, from Tallat Harb Sq, Cairo – Egypt
Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail: afaqbooks@yahoo.com

١٧ شارع محمود بسيوني – الدور السادس – متفرع من ميدان طلعت حرب – القاهرة – جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ – ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ – موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

f afaqcairo afaqcairo afaqcairopblsh

شمس الدين أحمد الأفلاكي

مناقب العارفين

(في شرح أحوال مولانا جلال الدين الرومي
وشمس الدين التبريزي والمشايخ المولوية)

ترجمة وتقديم وتعليق

د. منال اليمني عبد العزيز

الجزء الأول

آفاق للنشر والتوزيع

هذه ترجمة كتاب:

شمس الدين احمد الافلاكي العارفي: مناقب العارفين،
باتصحيحات وحواشي وتعليقات بكوشش تحسين يازجي، دنياي كتاب، چاپ دوم، ١٣٦٢.

المحتويات

مقدمة

هذا الكتاب هو الجزء الأول من ترجمة كتاب «مناقب العارفين»، وهو من مؤلفات القرن الثامن الهجري. وتليه أجزاء أخرى إن شاء الله تعالى.

مؤلف الكتاب:

مؤلف كتاب «مناقب العارفين» هو أحمد بن أخي ناطور، الملقب بـ«شمس الدين»، المشهور بـ«العارفي» نسبة إلى شلبي[1] فريدون م٧١٩هـ، المعروف بـ«أمير عارف» أو «شلبي عارف» بن بهاء الدين محمد بن جلال الدين محمد المولوي. ويُقال إنه كان متبحرًا في علم الهيئة والفلك، لذلك اشتُهر بـ«الأفلاكي» أيضًا. وهو من الصوفية المولوية[2].

---

(١) شلبي: كلمة تركية الأصل، ومعناها: السيد أو الشريف.

(٢) انظر: إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني: هدية العارفين، اعتنى به محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد السادس، الجزء الأول أ – ل، ص ١٠٠. عبد الباقي گولپنيارلي: مولوية پس از مولانا، ترجمه وتوضيح هـ. سبحانى، چاپ سوم، تهران ١٣٨٦، ص١٩١. ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران از اوايل قرن هفتم تا پايان قرن هشتم هجري، تهران، چاپخانهٔ تابش، چاپ هفتم١٣٦٩، جلد سوم، بخش دوم، ص ١٢٨٣. پروانه محمدي: الافلاكي، مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مركز الدراسات الإيرانية، ١٤٤٢/١٢/٣.

كان أبوه أخي ناطور -كما يبدو من اسمه- من فتيان آسيا الصغرى، فقد اشتُهر كل واحد منهم باسم أخي. وقد قال الأفلاكي: إن أباه كان من رجال بلاط أوزبك خان (٧١٢ هـ-٧٤٢ هـ)، وإنه ورث عنه ثروة كبيرة، وكتبًا كثيرة[(١)]. وقيل أيضًا: إنه كان واعظًا في مدينة سراي في آسيا الصغرى[(٢)].

كان شمس الدين الأفلاكي من أهل سراي، وذهب إلى قونية، وتتلمذ هناك على يد سراج الدين منشد المثنوي، وزين الدين عبد المؤمن التوقاني، ونظام الدين الأرزنجاني الذين كانوا جميعًا من أَجِلَّة أتباع المولوي[(٣)]. كما تلقى العلم على بدر الدين التبريزي معمار مقبرة مولانا، الذي كان له باع في الفلك والهندسة والكيمياء والسحر كذلك. وشق شمس الدين طريقه إلى مجالس سلطان ولد نجل المولوي، وبلغ الأستاذية في الصرف والنحو والعرفان والحكمة[(٤)]. وكان من زمرة المقربين إلى جلال الدين شلبي عارف، وموضع عنايته، وتولى خدمته، وطوى مراحل السير والسلوك تحت رعايته، ولازمه في السفر والحضر، وبعد وفاة شلبي عارف في سنة ٧١٩ هـ، خدم شلبي عابد م ٧٣٩ هـ، والشيخ واجد م ٧٤٢ هـ، وقضى الفترة الأخيرة من حياته ملازمًا لتربة مولانا، وتوفي في قونية سنة ٧٦١ هـ[(٥)]. ويعد واحدًا ممن

---

(١) انظر: شمس الدين احمد الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيحات وحواشي وتعليقات تحسين يازيجى، ويرايش وإضافات توفيق هـ. سبحانى، انتشارات دوستان، چاپ دیبا، چاپ اول ١٣٩٦، ص سيزده.

(٢) انظر: ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، ص ١٢٨٣.

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: پروانه محمدى: الأفلاكي، مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى.

(٥) انظر: ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، ص ١٢٨٣.

كانوا ينشدون المثنوي، ويشرحون معانيه في مرقد مولانا، وفى محافل الدراويش على حد سواء[1].

عنوان الكتاب:

ذكر الأفلاكي أن عنوان كتابه هو «مناقب العارفين»[2].

تاريخ تأليف الكتاب:

بدأ الأفلاكي تأليف كتابه في سنة ٧١٨ هـ[3]، وأتمه في سنة ٧٥٤ هـ[4].

سبب تأليف الكتاب:

قال الأفلاكي: إنه كتب كتابه بناءً على إشارة شيخه سلطان العارفين، برهان المكاشفين، زبدة كُمَّل الرجال، قدوة الأوتاد والأبدال شلبي جلال الحق والدين عارف، الذي كان يرغب في تدوين مناقب هذه المراتب (آبائه وأجداده وخلفائهم من المولوية)، فأوصاه بكتابتها، وشجَّعه على ذلك. وقد امتثل الأفلاكي لأمره، وحرر هذا القدر من الحكايات في شرح كراماتهم على قدر إفهام المبتدئين في السلوك، وسالكي الطريق إلى الحق[5].

---

(١) انظر: ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران، جلد سوم، بخش دوم، ص ١٢٨٤.

(٢) انظر: شمس الدين احمد الافلاكي، مناقب العارفين، باتصحيحات وحواشي وتعليقات بكوشش تحسين يازيجى، دنياى كتاب، تهران، چاپ دوم ١٣٦٢، ص ٤.

(٣) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) انظر: رسالهٔ فريدون بن احمد سپهسالار در احوال مولانا جلال الدين مولوي، باتصحيح ومقدمه سعيد نفيسى، انتشارات كتابخانهٔ چاپخانة اقبال، تهران ١٣٢٥، ص ٩.عبد الباقي گولپنيارلى: مولويه پس از مولانا، ترجمه وتوضيح هـ. سبحانى، ص ١٩٤.

(٥) انظر: شمس الدين احمد الافلاكي، مناقب العارفين، باتصحيحات وحواشي وتعليقات بكوشش تحسين يازيجى، ص ٤.

موضوع الكتاب[1]:

وُضع الكتاب -كما يبدو من عنوانه- في مناقب العارفين من المولوية. وقد ذكر الأفلاكي في مقدمته أن الكتاب يحتوي على كرامات الآباء العظام، وعظماء الأجداد الكرام، وخلفائهم الهمام، وأنه يشتمل على عشرة فصول، ألا وهي:

الهدف من تأليف الكتاب:

بيَّن الأفلاكي أن الهدف من تأليف الكتاب هو: أن يشتهر الكتاب بين أهل الحضور، وإخوان النور، ويكون تذكرة لهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وألَّا ينساه مطالعوه من دعواتهم[2].

مصادر الكتاب:

الروايات الشفوية:

ذكر الأفلاكي أنه نقل ما ورد في الكتاب من قبيل الروايات وعديل الحكايات على سبيل الاستخبار، وعن طريق الاستفسار، من كبار الأحرار والأبرار الأخيار الذين كانوا رواة ثقات، وعدولًا تقاة. وذلك بعد أن تحقق الاطمئنان لقلبه، وثبت[3].

---

(١) انظر: شمس الدين احمد الافلاكي، مناقب العارفين، باتصحيحات وحواشي وتعليقات تحسين يازيجى، ص ٥، ٦.

(٢) انظر: السابق، ص ٣، ٤.

(٣) انظر: السابق، ص ٤.

وعلى هذا النحو جمع الأفلاكي مادة كتابه من الروايات الشفوية لبعض الأشخاص الذين عاصروا مولانا جلال الدين، والذين عاشوا بعد وفاته. وكان رواة الحكايات -كما اتضح من ترجمة هذا الجزء من الكتاب- من أسرة مولانا جلال الدين، مثل: ابنه سلطان ولد، وزوجته كراخاتون، وحفيده شلبي عارف بن سلطان ولد. ومن مريديه، مثل: حسام الدين شلبي مريده وخليفته، وجلال الدين القصاب. ومن أصحابه، مثل: شمس الدين الملطي، وشمس الدين المعلم الذي كان من خواص الأصحاب، وبهاء الدين البحري الذي كان بحرًا في المعارف اللدنية، وصلاح الدين الملطي الذي كان يطلق عليه جلال الدين «الصديق الحميم».

ومن منشدي المثنوي، مثل: سراج الدين، وشهاب الدين، وشرف الدين عثمان القوال. ومن المشايخ المولوية، مثل: الشيخ بدر الدين يواش النقاش المولوي، والولي المستور الشيخ بدر الدين النجار المولوي. وممن كانوا على صلة به، مثل: شرف الدين السمرقندي أبو جوهر خاتون أم سلطان ولد وعلاء الدين، ومربي أولاد أسرة مولانا، ونفيس الدين السيواسي الذي كان يتولى مهمة كتابة الأسرار والمعاني. كما كان هناك رواة من القضاة، مثل: مولانا كمال الدين كابي الذي كان من أكابر قضاة الروم. ومن الفقهاء، مثل: سراج الدين التتري. ومن الأطباء، مثل: أكمل الدين الطبيب. ومن الرهبان، مثل: رئيس رهبان دير أفلاطون. ومن الأعيان أيضًا، مثل: الشيخ نور الدين أبو كمال الخراساني الذي كان من الأعيان المعتبرين.

وقد التقى الأفلاكي كذلك كثيرًا من الأفراد الذين أدركوا مولانا جلال الدين، مثل: مطهرة خاتون ابنة سلطان ولد، وفاطمة خاتون أم أولو عارف شلبي[1]، وحكى عنهم الأمر الذي أضفى صفة المصداقية على حكاياته.

ونسب الأفلاكي بعض الحكايات إلى رواة مجهولين، مثل علماء الأصحاب، ورواة الأخبار، وإخوان الصفا وخلان الوفا، والأصحاب القدماء، وملازمي الحضرة.

الكتب المدونة:

أفاد الأفلاكي أيضًا من عديد من المصادر في تأليف كتابه، منها: رسالة فريدون بن احمد سپهسالار في شرح احوال مولانا، ومعارف بهاء الدين ولد، ومقالات شمس تبريزي، وفيه ما فيه، ومكتوبات جلال الدين الرومي. كما أفاد من مؤلفات سلطان ولد، مثل: ولد نامه أو ابتدا نامه، ومعارف سلطان ولد، ورباب نامه[2].

أهمية الكتاب:

يتضمن الكتاب شرح أحوال مولانا جلال الدين، وأبيه بهاء الدين الولد، وشيخه برهان الدين محقق الترمذي، ومرشده شمس الدين التبريزي، ومريديه وخلفائه، وأبنائه وأحفاده، كما يشتمل على الأقوال المأثورة عنهم، والأخبار المتعلقة بهم، ويعد سجلًّا حافلًا بالحكايات المروية عنهم، والكرامات المنسوبة إليهم.

---

(١) انظر: عبد الباقى گولپنيارلى: مولوية پس از مولانا، ترجمه وتوضيح هـ. سبحانى، ص ١٩٣.

(٢) انظر: شمس الدين احمد الافلاكي عارفي: مناقب العارفين، تصحيحات، حواشي وتعليقات حسين يازيجى، ويرايش واضافات توفيق هـ. سبحانى، ص بيست وسه.

نقل الكاتب حكايات كتابه عن رواة ثقات، وحرص على تدبرها وتدقيقها. واستقصى الأخبار من كبار الأحرار، واطمأن إلى صوابها، وتأكد من صحتها. كما أنه اهتم بذكر الأسانيد، ونسب معظم الحكايات إلى قائليها، واستند إلى مشاهداته في بعض الحكايات، إلا أن هناك بعض الحكايات التي لا تُنسَب إلى راوٍ معين.

يبين الكتاب نظام الحياة في التكية المولوية، وطبيعة العلاقة بين الشيخ والمريدين، وطريقة تأديب الشيخ للمريدين.

يشرح الكتاب أسس الطريقة المولوية ومبادئها، مثل: التجريد، والعشق، والمشاهدة، والبقاء بعد الفناء. ويذكر آدابها ورسومها، مثل: احترام الكبير، وتبجيل المشايخ، والرفق بالحيوان، والكسب من عمل اليد، وعدم السؤال. ويبين الأوراد والأذكار المتعلقة بها، والرياضات والمجاهدات كذلك، مثل: الجوع، والصوم، والخلوة الأربعينية.

تناولت بعض حكايات الكتاب رياضات مولانا جلال الدين ومجاهداته، وأوراده وأذكاره، وطريقة تأديبه لنفسه، فقد كان يجوع أيامًا، ويضع الهلج الأصفر في فمه، ليصبح لعابه مرًّا. وكان يضع الثلج على رأسه، ويقف على الثلج في عز الشتاء. وكان يتهجد، ويقوم الليل حتى في الشتاء القارس. وكان ذكره هو ترديد: الله، الله. كما تطرقت بعض الحكايات إلى كراماته وشطحاته. ولم تخلُ مثل هذه الحكايات من المبالغة.

وصف الكتاب ملابس مولانا وصفًا دقيقًا، وقد كانت -كما تبين من ترجمة هذا الجزء- على النحو الآتي: فرجية هندبارية، وقلنسوة من

الصوف العسلي، وعمامة ذات طرف واحد، وقميص مفتوح من الأمام، وثوب أزرق، وغاشية، ونعل وخف.

يطرح الكتاب بعض المآخذ التي أُخذت على أصحاب مولانا جلال الدين ومريديه، وأنهم كانوا من الأعيان والعامة وأصحاب الحرف، فمنهم: الخياط والبزاز والبقال، وأن الفضلاء والعلماء قلما كانوا يلتفون حوله. كما وصفهم العسس بالضالين السيئين، وقال عنهم بروانه إنهم سيئون فضوليون، ويُبيِّنِ كيف فند مولانا جلال الدين هذه الآراء، ورد عليها.

وقد اتضح من خلال ترجمة هذا الجزء من الكتاب أن أصحاب جلال الدين ومريديه كانوا من السلاطين والأمراء والوزراء، مثل: السلطان ركن الدين، وكان يعد جلال الدين أبًا له، والأمير تاج الدين معتز الخراساني الذي أنشأ المدارس والخوانق والرباطات ودور الشفاء في الروم، والوزير معين الدين بروانه، وصهره مجد الدين الأتابك، والقاضي كمال الدين كابي الذي كان من أكابر قضاة الروم. كما كان بعضهم من الفقهاء والأعيان، مثل: اختيار الدين الفقيه الذي كان من مريديه الواصلين، ونور الدين أبو كمال الذي كان من الأعيان المعتبرين.

يصف الكتاب محافل الدرس والوعظ، ومجالس السماع وما كان يدور فيها، ويذكر بعض أسماء المنشدين والقوالين.

يتطرق الكتاب إلى بعض العادات والتقاليد، مثل: مراسم العزاء، وحفلات الختان، وحمل الشموع والقناديل والأقمشة والثياب إلى مزارات الأولياء، والتنزه في البساتين.

ويذكر الكتاب بعض الأطعمة والمشروبات، مثل: الثريد، والبط المسمن، والأرز المفلفل، والقلية بالأرز، والرشيدية، ومشروب الجلاب.

وردت في الكتاب أسماء بعض الجوامع والقلاع والمدارس والحمامات والبوابات في دمشق وقونية وغيرها من المدن.

يوضح الكتاب علاقة الصوفية بأمراء الزمان وأكابره وسادات البلاد، ويلقي الضوء على صلتهم بطوائف المجتمع المختلفة، وطريقة تعاملهم مع النساء[1].

يتناول الكتاب بعض الأحداث التاريخية، والوقائع التي حدثت في الأناضول (آسيا الصغرى) في القرنين السابع والثامن الهجريين، والتي ربما لم ترد في غيره من المؤلفات.

يدلل الكتاب على انتشار اللغة الفارسية بين المثقفين والصوفية في آسيا الصغرى في القرن الثامن الهجري.

---

(١) انظر: آلاله حامد مشهد زاده، ليلا نوروز پور، همايون جمشيديان، طبقه بندى وتحليل حكايات مناقب العارفين، ص ٥٣١.

أسلوب الكتاب:

تميز أسلوب الكتاب بالسلاسة والفصاحة، لأن الهدف من تأليفه هو تعليم المبتدئين من السالكين، وتفهيمهم أسس السير والسلوك، واشتمل على كثير من المحسنات البديعية والصور البلاغية.

وقد امتزج فيه النثر بالنظم، وأورد الكاتب أبياتًا من مثنوي جلال الدين، وغزلياته، مع ذكر المناسبة التي نظمت فيها هذه الأبيات، الأمر الذي يزيد من قيمة هذا الكتاب وأهميته.

كما أورد بعض الأبيات الفارسية والعربية الأخرى، وأحيانًا كان يصرِّح باسم الشاعر، ولم يكن يصرِّح به في كثير من الأحيان. وكانت بعض الأبيات من نظم الكاتب نفسه.

استشهد الكاتب بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما ضمَّن كتابه بعض الحكم والأمثال.

استخدم الكاتب المفردات والتراكيب والجمل وأبيات الشعر العربية، الأمر الذي يدل على معرفته الجيدة بالعربية. كما استخدم بعض الألفاظ التركية والمغولية أيضًا.

وتضمن الكتاب بعض المصطلحات والمفاهيم الصوفية.

ويلاحظ أن الكتاب لا يخلو من العناصر الأسطورية والقصصية، وقد زاد هذا الأمر من لطفه وطرافته، وارتقى به من كونه مؤلفًا تاريخيًّا إلى كونه مؤلفًا أدبيًّا[1].

---

(١) د. سيروس شميسا: سبك شناسى نثر، نشر ميترا، چاپ سوم، تهران ١٣٧٨، ص ١٩١.

وانطبعت بعض حكايات الكتاب بالطابع الفكاهي مثل حكاية طوس وطيس، وحكاية الفقيه والنحوي، والحكاية التي شَكَت فيها ملكه خاتون ابنة جلال الدين من بخل زوجها، الأمر الذي أضفى على الكتاب مزيدًا من الجاذبية والتشويق.

تراجم الكتاب[1]:

ترجم زاهد بن عارف كتاب «مناقب العارفين» إلى التركية تحت عنوان: «مخزن الأسرار» في سنة ٨٠٣ هـ. وأبقى على الأشعار الواردة فيه -كما هي- من دون ترجمة.

نظم لقماني دده رسالة سپهسالار ومناقب العارفين في سنة ٩١٠ هـ في قونية، وأضاف إليها بعض التعديلات والملحقات. وتوجد نسخة قديمة من هذا النظم في قسم الكتب التركية بمكتبة الجامعة تحت رقم ٢٤٤٠.

ولخص عبد الوهاب بن جلال الدين محمد الهمداني كتاب «مناقب العارفين» في سنة ٩٤٥ هـ، ودوَّنه بالفارسية تحت عنوان: «ثواقب المناقب».

كما نقل الدرويش خليل المتخلص بالسنائي م ٩٥٠ هـ «ثواقب المناقب» إلى التركية، وأضاف إليه بعض التعديلات، وقدمه إلى السلطان سليمان القانوني.

(١) انظر: عبد الباقي گولپنيارلي: مولويه پس از مولانا، ترجمه وتوضيح هـ. سبحانی، ص٤٧، ٤٨. شمس الدين احمد الافلاكي عارفی: مناقب العارفين، تصحيحات، حواشي وتعليقات حسين يازيجی، ويرايش واضافات توفيق هـ. سبحانی، ص سی، سی ويك، سی وشش.

وأنهى الدرويش محمود منشد المثنوي ترجمة هذا الكتاب إلى التركية تحت عنوان «ترجمة ثواقب»، في سنة ١٠٠٠ هـ، بأمر من السلطان مراد الثالث. وتوجد نسخة من هذه الترجمة في قسم الكتب التركية بمكتبة جامعة إسطنبول تحت رقم ٢٦٢١.

وترجم گورك زاده حسن م ١٢١٦ هـ كتاب مناقب العارفين إلى التركية -ما عدا الأشعار الواردة فيه- في سنة ١٢١٠ هـ.

وأتم عبد الباقي ابن الشيخ أبي بكر دده أفندي «ترجمة مناقب العارفين» أو «ترجمة افلاكي» في سنة ١٢١٢ هـ، وأضاف إليه بعض التوضيحات، ونقل قليلًا من الأبيات الواردة فيه إلى التركية.

وترجم سيد ناصر عبد الباقي م ١٢٣٧ هـ شيخ التكية المولوية «ينى قاپو» الكتاب إلى التركية بأمر عمه سيد أحمد دده م ١٢٢٩هـ، في سنة ١٢١٢ هـ، وقدمه باسم السلطان سليم الثالث. وهذه النسخة محفوظة في المكتبة السليمانية في إسطنبول تحت رقم ١١٢٦.

وترجم الكتاب كذلك كمال أحمد دده الآقشهري م بعد ١٠٢٦ هـ شيخ التكية المولوية «ينى قاپو» مختصرًا ومنظومًا إلى التركية. وتوجد نسخة منه في القسم الخاص بمكتبة حالت أفندي في المكتبة السليمانية في إسطنبول تحت رقم ٨٢.

كما ترجم مجهول الكتاب مختصرًا إلى التركية، وأطلق عليه: «مناقب العارفين ومراتب الكاشفين».

وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية ك. هوار تحت عنوان: Les Saints des derviches tourneurs, récits traduits du Persan et a nnotés par CL. Huart, 1918-1922 I-II.

كما ترجم أجزاء منه إلى اللغة الإنجليزية w.Redhouse.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور قلوب أوليائه بأنوار المعاني والبيان، وأجرى من فيض فضله على لسان الإنسان ينابيع الحكمة والتبيان، وألهمهم كشف حقائق التنزيل ودقائق التأويل بواسطة العقل والنقل والبرهان؛ هو الذي ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[1].

والصلاة والسلام على خير خلقه والأمين على رعاية حقه محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه ما تعاقب العصران وتقابل النسران.

حمد بلا حد وشكر بلا قياس لله مالك الملك الذي أضاء وجه الزمان بأنوار اليقين، وزيَّن وجه الأرض بالآثار الباهرة، وجعل بساط الغبراء مهاد الأبدان ومقر الحيوان؛ المعبود الذي اختلطت خطوط الدوائر التسع من أجل إحزاز نقطة كمال معرفته؛ وخَرَس لسان حال العقل الكلي، وبَكَم عن نشر آلائه وبسط نعمائه. الجوَّاد الذي لا يُخلِ سؤال سائلي السماء والأرض على مر الأيام وتعاقب الشهور والأعوام خزانة نعمته، ولا تمنع آثام الآثمين -ولو أنها بعدد حصى الصحراء- عفوه، اللطيف الذي يُحَمِّل أرحام الربع المسكون ببنات النبات بلطف

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ٣، وجزء من الآية ٤.

أمطار الأقطار، وخص الإنسان بخلعة كمال اعتدال ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] بمزاج مخصوص، ولهذا السبب استعد نسب نفوس الإنسان، لقبول فيضان فضائل جوهر العقل الشريف الذي هو شمع منهل الفلك الدوار، ومصباح مشكاة الكوكب الدري، وبهذه الوسيلة ارتقوا من مهاوي الغواية إلى مصاعد الهداية.

شعر (طويل)

تبارك من أجرى الأمور بحكمه

كما شاء لا ظلمًا أراد ولا هضمًا

وتحف التحيات الزاكيات، وصلاة الصلوات الناميات، نثار الذات عالية الصفات، أشرف الكائنات وأكمل الموجودات، إمام محراب «صلوا كما رأيتموني»[2]، الهادي من دون ارتياب. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي﴾[3]. الجوهر الثمين، فعلى الناس بيعوه.

---

(١) سورة التين، آية ٤.

(٢) **إشارة إلى الحديث:** «ارجعوا إلى أهليكم فكونوا فيهم، وعلموهم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم».

الراوي: مالك بن الحويرث

المحدث: الألباني

المصدر: صحيح الجامع

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف.

dorar.net

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية ٣١.

شعر (كامل)

بلغ العلا بكماله

كشف الدجى بجماله

حسنت جميع خصاله

صلوا عليه وآله

اسمه محمد، ومقامه محمود، وشرعه أحمد، عليه أفضل التحية والسلام وعلى آله وأتباعه وإخوانه وأشياعه.

شعر (رمل)

مائة ألف رحمة على روحه

وسلام على مقدم أولاده وزمانهم

وقد خلق أولئك الأمراء المصدقين به

من عنصر روحه وقلبه

فلو أنهم من بغداد أو هراة أو الري

فهم نسله من دون امتزاج الماء والطين

حيثما ينمو غصن الوردة تكون الوردة

وأينما يفور دن الخمر يوجد الخمر

لو تشرق الشمس من المغرب

فهي الشمس بعينها وإنها ليست شيئًا آخر

أما بعد:

اعلم أسعدك الله وأيّدك بروح منه أنه تم البدء في تأليف هذا الكتاب الشريف، وتركيب هذا الترتيب المنيف، الذي يحتوي على كرامات الآباء العظام، وعظماء الأجداد الكرام، وخلفائهم الهِمام، قدس الله أرواحهم، وأدام في معارج القدس فتوحهم، في سنة ٧١٨ هـ، بناء على إشارة أو بشارة شيخي سلطان العارفين، برهان المكاشفين، الكامل الحال، زبدة كُمَّل الرجال، قدوة الأوتاد والأبدال، شلبي جلال الحق والدين، العارف، مَدَّ الله ظله الوَارِف، وطلّه الواكف.

وكنت أنا هذا العبد الحقير الحاكي -تجاوز الله عما زلّت به قدمه أو طغى به قلمه- قد تدبرت ونقلت كل ما ورد فيه من قبيل الروايات وعديل الحكايات، على سبيل الاستخبار وطريق الاستفسار عن كبار الأحرار والأبرار الأخيار الذين كانوا رواة ثقات وعدولًا تقاة. وتوغلتُ فيها بقدر الطوق وكمال الشوق، ووجدت جدَّ الحقيق واجبًا في تحقيق تكرع مشرب الرحيق ذلك. وكان قد تحقق الاطمئنان التام للقلب، وثبت.

وقد حصرتُ قواعد أصول ذلك المجموع في عشرة فصول، حتى تشتهر أبد الدهور -إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- بين أهل الحضور وإخوان النور، وتكون تذكرة لهم ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾(١).

وسُمي هذا الكتاب «مناقب العارفين». والأمل منوط بعناية الله

(١) سورة المزمل، آية ١٩.

وهمة الرجال، ألَّا ينسى مطالعو هذه اللطائف، وناقلو هذه الطرائف هذا الضعيف المسكين من صدقات الدعوات المستجابات نسيًا منسيًّا.

شعر (هزج)

لا تنسَني يا رب برحمتك

إذا ذكرتُ أحدًا غيرك

ولما كانت عناية شيخي اللا متناهية -أدام الله جلاله، وفاض على العالمين نواله- قد شملت حال هذا المسكين ومآله، فإنه كان يريد من دون شك أن تُدَوَّن هذه المناقب لهذه المراتب. وقد كتبتُها بموجب وصيته وتشجيعه. فأمره حكم، وطاعته حتم. وتركتُ الأدب بمائة لون من الخشية والأدب. وترك الأدب عند أولى الأدب أدب. ورأيتُ الامتثال واجبًا، وحررتُ هذا القدر من الحكايات في شرح كراماتهم التي هي صفة صورة ظاهرهم الطاهر، وذلك على قدر إفهام المبتدئين في الطريق، وسالكي السبيل إلى الحق. وإلا هيهات، أين الثريا من الثرى؟! وأين المصباح من الصباح؟! وما للتراب ورب الأرباب؟!

شعر (رمل)

إذا كان هناك مجال للكلام، لكنت أقول ما ينبغي قوله

ويقول الحق قولًا أفضل من قولي، فتمسك بأهداب الدين

و﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾(١)،

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية ٤٣.

والله الموفق على إتمامه من عميم فضله وإنعامه.

وهذا هو فهرست أصول الفصول العشرة الكاملة:

الفصل الأول: في ذكر مناقب حضرة سلطان العلماء في العالم، العالم الرباني بهاء الحق والدين الولد -رضي الله عنه.

الفصل الثاني: في ذكر مناقب فخر آل ياسين، برهان الحق والدين، المحقق المدقق الترمذي -رضي الله عنه.

الفصل الثالث: في شرح مناقب حضرة مولانا سر الله الأعظم -قدَّسنا الله بسره المعظم.

الفصل الرابع: في بيان مناقب سلطان الفقراء، رحمة الله بين الورى، شمس الحق والدين التبريزي -قدس الله سره.

الفصل الخامس: في ذكر مناقب شيخ مشايخ العالم صلاح الحق والدين، المعروف بزركوب -رَوَّح الله روحه العزيز.

الفصل السادس: في ذكر مناقب خليفة الله بين خليفته حسام الحق والدين، المعروف بابن أخي ترك -قدس الله لطيفته.

الفصل السابع: في ذكر مناقب حضرة مولانا ابن مولانا بهاء الحق والدين الولد أيدنا الله بنوره المؤيَّد.

الفصل الثامن: في ذكر مناقب حضرة سلطان العارفين جلال الحق والدين شلبي أمير عارف -أعلى الله محله، ولا بلغ هدي عمره مجله.

الفصل التاسع: في ذكر مناقب حضرة ملك ملوك المحققين شمس الملة والدين شلبي أمير عابد عظم الله ذكره.

الفصل العاشر: في ذكر أسماء الأولاد والأخلاف منهم، وشرح سلسلة الذكر.

أرجو بفضل الله تعالى أن يتم شرح أصل كل فصل بالتمام، والله الهادي وعليه التكلان.

الفصل الأول

في ذكر مناقب مولانا الجليل بهاء الحق والدين، محمد بن الحسين بن أحمد الخطيبي البلخي البكري رضي الله عنه، وعن أسلافه، فنعم السلف، ونعم الخلف. وفي تقرير ضجره وانزعاجه من الهجرة عن ديار بلخ وخراسان، ونزول الوقائع المهلكة بتلك الممالك، وخسارة أهل الجسارة

هكذا حكى حملة الأخبار ونقلة الآثار -رحمهم الله- أن ملك خراسان علاء الدين محمد خوارزمشاه[1] -الذي كان عم جلال الدين

---

(١) **علاء الدين محمد خوارزمشاه:** هو السلطان علاء الدين محمد بن تكش بن أرسلان بن آتسز بن محمد بن أنوشتكين، الملقب بخوارزمشاه، أشهر سلاطين الدولة الخوارزمية. كان عالمًا بالفقه والأصول، راعيًا للعلماء، وكان ينظم الشعر بالفارسية. وتولى علاء الدين عرش الدولة الخوارزمية عام ٥٩٦ هـ، وفي عام ٦٠٣ هـ أصبح أعظم سلطان في زمانه، وقد ضم ممتلكات الغوريين في خراسان ومرو الرود وهراة وبلخ إلى إقليم خوارزم، كما خضعت له سيستان ومازندران. وقضى على القراخطائيين عام ٦٠٦ هـ بمعاونة كوجلك خان، وقُسِّمَت بلاد ما وراء النهر بينهما، واتخذ علاء الدين سمرقند عاصمة له، واستقر فيها. ثم انتصر على المغول في القبجاق عام ٦١٢ هـ، بمعاونة ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي، وطلب من الخليفة العباسي الناصر لدين الله أن تُقرأ الخطبة باسمه، لكن الخليفة رفض؛ فقاد علاء الدين جيشًا إلى بغداد عام ٦١٤ هـ، لكنه فقد كثيرًا من جنده بسبب الأمطار والثلج الشديد، وعاد إلى بلاده. وواجه المغول في دولت آباد فراهان، وفقد جيشه، ولجأ إلى جزيرة آبسكون في بحر الخزر، وتوفي فيها عام ٦١٧ هـ. ووصلت الدولة الخوارزمية إلى أقصى اتساع لها في عهده، وامتدت سلطته من شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالًا إلى المحيط الهندي جنوبًا، ومن السند شرقًا إلى حدود العراق غربًا.

انظر: قصة الإسلام islam story.com ويكيبيديا، وانشنامهٔ آزاد fa.wikipedia.org

محمد خوارزمشاه[1]- كان رجلاً عظيمًا جليلاً مهيبًا، وأن أكابر تلك الممالك وملوكها برمتهم كانوا مماليكه وعبيده، وقد كانت له ابنة حسناء لا نظير لها في الملاحة والرزانة والكمال والجمال في أقاليم الربع المسكون، ولم يكن يوجد لها كفؤ يليق بهمتها الملكية، حتى يزوجها المَلك له، وتتحرر من قيده.

---

(١) **جلال الدين محمد خوارزمشاه:** هو جلال الدين مِنكُبرتي بن علاء الدين محمد خوارزمشاه، وآخر سلاطين الدولة الخوارزمية. صحب جلال الدين أباه علاء الدين في أثناء فراره من جيش جنكيز خان، وقلده علاء الدين ولاية العهد في جزيرة آبسكون بعد أن خلع ابنه قطب الدين منها، وأمر أخويه بقبول حكمه، لكنهما عزما على قتله، واستطاع أن ينجو من الهلاك. وبعد موت السلطان علاء الدين، عزم جلال الدين على مواجهة المغول بالجيش الذي كان قد تبقى له. وفي سنة ٦١٧ هـ سافر إلى نيسابور وغزنة وهراة، لمحاربة المغول. فأرسل له جنكيز خان جيشًا قوامه ثلاثون ألف مقاتل بقيادة شيكي قو تو قو، فهزمه جلال الدين. وفي سنة ٦١٨ هـ عزم جنكيز خان على قتال جلال الدين، وهزمه، وأمر بقتل ابنه البالغ من العمر ثماني سنوات في ميدان القتال. واضطرب جيش جلال الدين، وتفرق. وذهب جلال الدين وحيدًا إلى بلاد الهند، وأمضى فيها ثلاث سنوات، وأعد جيشًا، ولما كان يتجه من لاهور إلى سيستان وبلوجستان، كان جيشه يبلغ أربعة آلاف شخص. وفي سنة ٦٢١ هـ دخل جلال الدين بجيشه شابور خواست، وطلب العون من الخليفة العباسي الناصر لدين الله لمواجهة المغول، فأرسل الخليفة جيشين، لمحاصرته من الشمال والجنوب والقضاء عليه، بسبب كرهه لأبيه. فهاجم جلال الدين جيش الجنوب بقيادة قشتمور، وفرَّ الجيش، وتعقبه جلال الدين إلى مشارف بغداد، ثم عاد، وهزم جيش أربيل بقيادة الأمير مظفر الدين، ثم ذهب إلى تبريز وحاصرها. وفي الفترة من ٦١٩ هـ إلى ٦٢٣ هـ هاجم جلال الدين كرمان وفارس وأصفهان وخورستان وشوشتر وأربيل وآذربيجان وآران، ومراغة، وتبريز، وخوى، وتفليس، وأرمنستان، وأخلاط، وغيرها. وحارب المغول سنة ٦٢٤ هـ بعد عودته من الهند، وكان النصر حليفًا للمغول في حروبه معهم، وانتصر هو سنة ٦٢٥ هـ فحسب. وفي النهاية أرسل أوكتاي بن جنكيز خان جيشًا قوامه ثلاثون ألف مقاتل من أجل القضاء عليه سنة ٦٢٨ هـ، ففر من جيش المغول، وأدركه المغول في ديار بكر، لكنه نجا منهم وفرَّ إلى ميافارقين حيث قتله أحد الأكراد.

انظر: Fa.wikipedia.org

وما إن كانت تلك الفتاة المحظوظة قد قاربت حَدَّ البلوغ، حتى تشاور الملك مع وزيره في ذلك الشأن ذات ليلة، قائلًا: ما دام لا يوجد كفؤ لمَلِكتنا في الوجود بأسره، فماذا ينبغي أن نفعل؟ وما الحيلة في ذلك؟

كان وزيره رجلًا عالمًا وعاقلًا، فقال: إنها تليق بملوك الإسلام، عظماء العلماء الكرام، فالملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك(١). قال السلطان: وأين يوجد مثل ذلك العالم العامل الكامل؟ قال الوزير: في العاصمة بلخ، وهو جلال الدين حسين الخطيبي، وهو من أبناء الصِّدِّيق الأكبر، والفضل في وجود دار الإسلام خراسان، من أول الحال، يرجع إلى بركة جهاد أجداده وفتوحاتهم. وقد صار المشار إليه بالبنان من قبل علماء العالم وكبراء بني آدم في جميع الفنون، وهو لا يزال شابًّا في الثلاثين من عمره، وهو يرتاض كثيرًا، ويجتهد، ويخطف كرة التقوى من ملائكة الملأ الأعلى.

ويقولون إن جلال الدين حسين كان مُشَوَّش الخاطر دائمًا بسبب عزوبته، وكان يفكر دائمًا في نكاية «شر الناس عُزَّابها»(٢)، ويقول: لم

---

(١) الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.
من أقوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
مسند الإمام علي -عليه السلام، ج ١، ص ٤٢.
مركز الأبحاث العقائدية
aqaed.com

(٢) **إشارة إلى الحديث:** شراركم عُزَّابكم، وأراذل موتاكم عزَّابكم.
الدرجة: منكر.
الدرر السنية، أحاديث منتشرة لا تصح.
dorar.net

يفُتْني أي أمر دقيق في جميع الأحكام الدينية وسنن السنن الأحمدية، ولم أتكاسل أو أتهاون في ذلك الأمر أصلًا، وإنني معصوم ومرحوم من جميع الكبائر بقوة العصمة الإلهية، ولم أَحِد خطوة عن جادة الاتباع النبوي -صلوات الله وسلامه عليه- سوى سنة النكاح الذي لم أرغب في طلبه. وفي الليلة ذاتها رأى سلطان المرسلين وحبيب رب العالمين محمد الأمين -صلى الله عليه وسلم- في المنام، وقد قال له: تزوج بابنة ملك خراسان. وكذلك وبالتقدير الإلهي رأى الملك والوزير وملكة جهان (ملكة العالم) في الليلة نفسها الرسول -عليه السلام- في المنام قائلًا: إنني زوجتُ ملكة جهان (ملكة العالم) لحسين الخطيبي؛ ومن ثم فإن هذه المذكورة له. نعم الختن والعروس.

شعر (رجز)

ليكن مباركًا في العالم احتفالنا وعرسنا

وقد قدَّر الله لنا الاحتفال والعرس

نهض الوزير سعيدًا للغاية في الصباح، وجاء إلى السلطان، ليقص رؤياه، فكان السلطان وملكة العالم قد رأيا الرؤيا نفسها، وأدركا أن رأي الوزير كان ثاقبًا. وقد احتار الجميع أمام عظمة الحق هذه وإرادته.

جاء الوزير إلى جلال الدين الخطيبي بإذن من السلطان، ليقص قصة الرؤيا، وفسر جلال الدين الخطيبي رؤيا الجميع، فازداد إخلاص الوزير له. وأكثروا من الاجتماعات والطنطنة في تلك الأيام، وأعطوا الحق للمستحق.

يقولون كذلك: إن حسين الخطيبي كان متبحرًا في العلوم، وكان علَّامة الزمان في عنفوان شبابه إلى حد أن رضي الدين النيسابوري[1] وبدر الرؤوس وشرف العاقلي الذين هم من مشاهير العالم كانوا من جملة تلاميذه، وكان له أيضًا ألفان أو ثلاثة آلاف من التلاميذ المفتين والزهاد أصحاب الكرامات.

كما يقولون: إن بهاء ولد وُلِد بعد الشهر التاسع، وإنه تلقى السلوك بعد بلوغه العامين.

ولما كبر مولانا بهاء ولد، وأدرك سن الرشد، صار فريدًا في أنواع العلوم والحكم ومُشارًا إليه. وكان أقارب أمه يتفقون، ويريدون أن يجلسوه على عرش الملك، حتى يذعن له الجميع. لكن بهاء ولد لم يقبل، ولم يوافق أصلًا.

دخل بهاء ولد مكتبة أبيه ذات يوم، وأخذ يطالع الكتب، فقالت له أمه ملكةُ جهان (ملكة العالم): إنهم زوَّجوني لأبيك بسبب هذه العلوم والحِكَم. وانشغل بهاء ولد بتحصيل العلوم الدينية بجد تام، وعمل بها، وفرغ من أمر ممالك العالم تمامًا.

ويقولون إن ثلاثمائة مُفْتٍ مُتَّقٍ مؤهل بأُسرهم في خطة بلخ رأوا محمدًا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في المنام في ليلة الجمعة

---

(١) **رضي الدين النيسابوري:**

كان مداح طمناج خان السمرقندي، وتوفي سنة ٥٩٨ هـ- ١٢٠٢ م.

انظر: شمس الدين احمد الافلاكي العارفي: مناقب العارفين، بالتصحيح تحسين يازيجي، چاپ دوم، تهران ١٣٦٢، جلد اول، ص ٩.

كان قد نصب خيمة كبيرة في صحراء، ووضع مسندًا وبسط طُرّاحة، وكان الرسول قد استند إلى ذلك المسند، وكان بهاء ولد قد جلس عن يمين المصطفى. وكان باقي علماء الدين والمفتين قد جلسوا بعيدًا في أدب. وقد أمرهم بأن يطلقوا على بهاء ولد «سلطان العلماء» بعد اليوم، وبأن يخاطبوه بهذا الاسم كذلك.

وفي الصباح صار جميع علماء بلخ ومفتيها مريدين ومطيعين له. وفَسّر لهم كريم الشأن ذلك منامهم. وكانوا يطلقون على بهاء ولد «سلطان العلماء» في ديار خراسان، واشتُهر بذلك وعُرف به. ولما ظهرت ولاية سلطان العلماء اللا متناهية وكرامته في إقليم خراسان وفي العاصمة بلخ، وتجاوز اجتهاده ورياضته، وتقواه وتدينه وورعه، والتزامه وسلوكه الطريق، واتباعه الشريعة النبوية، وصدقه وإخلاصه وإرشاده للعباد، ودعوته، ونصائحه، الجد البليغ وحد الاعتدال، وصار قبول الخاصة والعامة له بلا نهاية، وتوافد عليه جمهور نفوس الجبابرة وأكابر الدهر؛ طعن العلماء والحكماء -الذين كانوا رؤساء الدهر وكبراء العصر، مثل: الإمام فخر الدين الرازي[1]، والقاضي زين الفرازي،

---

(١) **فخر الدين الرازي**: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي. كان أبوه خطيب الري وسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. وهو قرشي النسب، شافعي المذهب. أصله من طبرستان، وولد في الري، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وكان إمامًا ومفسرًا وفقيهًا، ولُقب بشيخ الإسلام في هراة وله مؤلفات كثيرة، منها: «التفسير الكبير» الذي سماه «مفاتيح الغيب»، و«المحصول» في علم الأصول، و«المطالب العلية»، و«تأسيس التقديس» في علم الكلام، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» في البلاغة، و«الأربعين في أصول الدين» وكتاب الهندسة. وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ.
انظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة ar.wikipedia.org

وجمال الدين الحصيري[1]، وتاج زيد، وعميد المروزي، وابن القاضي الصدِّيق، وشمس الدين الخاني، ورشيد القُبائي، والقاضي الوخش -رحمهم الله- من أجل حجب العلم الغزير، وبسبب غرض العَرَض الفاني- في عِرض ذلك الشريف، وكانوا يمكرون المكر الفقهي، ويقولون أقوالًا على سبيل الحسد، ويسعون إلى تكدير خاطره الخطير العزيز كما هي عادة علماء الزمان تاب الله عليهم. وكانت هذه الحادثة في سنة خمس وستمائة.

تجعل هذه الغفلة في العالم هذا القدر من النور ظلامًا عليكم في العالم.

وكان حضرة بهاء ولد ينعت فخر الدين الرازي ومحمد خوارزمشاه دائمًا بالمبتدعَين في أثناء الوعظ، ويعكس حال كل واحد منهما -كما كان- مثل المرآة. وكانا يستاءان للغاية من تقريعه هذا وقوله الصدق. ولم يكن هناك مجال أصلًا للقال وإمكان الجواب والسؤال.

كان بهاء ولد قد انهمك في الوعظ ذات يوم كذلك وقال: يا فخر الدين الرازي، ويا محمد خوارزمشاه، ويا أيها المبتدعون الآخرون، اعلموا، وأدركوا أنكم قد حررتم مائة ألف قلب مطمئن وصاحب

(١) **جمال الدين الحصيري**: هو جمال الدين أبو المحامد محمود بن أحمد بن عبد الله السيد البخاري الحصيري، شيخ الحنفية، ولد ٥٤٦ هـ، وتفقه في بخارى، وهو ينتسب إلى محلة ينسجون فيها الحُصر. سمع من أبي سعد عبد الله بن عمر بن الصفار، ومنصور بن الفراوي، والقاضي إبراهيم بن علي بن حمك المغيثي والمؤيد الطوسي، وحَدَّث بصحيح مسلم. وسكن دمشق، وتولى التدريس في المدرسة النورية سنة ٦١١ هـ، وتوفي سنة ٦٣٦ هـ.
انظر: ar.wikipedia.org

كشوفات وفتوحات، وفررتم إلى هذه الغفلة، وتوقفتم عند بعض المعجزات والبراهين، ونسجتم عديدًا من الأخيلة، تقشع ظلمة العالم نوركم، وهذه الغلبة لأن النفس غالبة، وأنها تعطلكم، فتسعون إلى البذاءة، وما دمتم فارغين؛ تُرتكب الفواحش كلها، وتبدو الغفلة والوسوسة والخيال والأفكار الفاسدة والضلالة؛ لأن العقل غريب، والنفس في مملكتها، وتلك المملكة هي مملكة الشياطين، إلى آخر المعارف.

كان المرحوم خوارزمشاه مريدًا، وكان يحضر في أكثر الأوقات مع أستاذه الإمام فخر الدين الرازي -الذي أمنه على سِرِّه- في مجلس سلطان العلماء. ولم يكن يحدث أن كان أي مجلس يخلو من المبتلين الفدائيين، أو لم يكن ينبعث فيه الصخب من الناس، أو لم تكن تخرج منه جنازة. وكان ينكر مذاهب الحكماء والفلاسفة وغيرهم دائمًا، ويُرغِّب في اتباع صاحب الشريعة والدين الأحمدي. ولمَّا كانت هذه الكلمات تتجاوز الحد على هذا النحو؛ كانوا يَملون ويتضجرون، واتفقوا على سبيل النفاق، وبالغوا كذلك في التقبيح والتشنيع لدى خوارزمشاه، وانشغل أهل السوء بالمساوئ. وقالوا: لقد استمال بهاء ولد كل خلق بلخ إليه، ولم يترك لنا ولكم اعتبارًا أو تمكينًا أصلًا. وهو لا يقبل تصانيفنا، ويعد علوم الظاهر فرعًا من علم الباطن، ويُشْهِر نفسه بالأمر بالمعروف، وسوف يستهدف عرش السلطان في بضعة أيام، واتفق معه عوام الناس والرنود. والتدبر والتفكر في إبطال هذه الأحوال من جملة الواجبات الآن.

استغرق خوارزمشاه في هذه الفكرة التي تبعث على الحيرة، فبأي طريقة يعبر عن هذه الحال، ويبلغه إياها؟ وأخبر الشيخَ بهذه الحال مجموعة من محبيه، وفي اليوم التالي أرسل محمد خوارزمشاه قاصدًا من خاصته إلى حضرة سلطان العلماء قائلًا: لو يقبل شيخنا مملكة بلخ، يكون المُلك والممالك والعساكر ملكًا له بعد اليوم، وليسمح لي بالرحيل إلى إقليم آخر، والإقامة فيه. فلا يجوز أن يوجد سلطانان في إقليم واحد. وقد تحقق لسلطان العلماء نوعان من السلطة ولله الحمد؛ الأول: سلطنة هذا العالم، والآخر: سلطنة الآخرة. ولو يؤثرنا بسلطنة هذا العالم، ويتركه، ستكون عنايته عميمة ولطفه عظيمًا.

لما بَلَّغه قاصِد السلطان الرسالة على هذا النحو، قال له بهاء ولد: بَلِّغ سلطان الإسلام السلام، وقل له: إن ممالك ملك الفناء والعساكر والخزائن والدفائن والعرش والحظ في هذه الدنيا تليق بالملوك، ونحن دراويش، فأي ملاءمة للمملكة والسلطنة لحالنا؟!

شعر (مجتث)

الشخص الذي أصابت روحه نوبة الفقر فخري

كيف يبالي بالتاج والعرش واللواء؟!

ولنسافر نحن برضا تام، حتى يستقل سلطاننا بأتباعه وأحبابه.

ولَمَّا عاد القاصد بالجواب الشبيه بالماء، أشار بهاء ولد على

أصحابه بأن: سافروا تصحوا وتغنموا[1]. وقال: هكذا ينبغي علينا السفر، فاستعدوا باسم الله، ولنعقد العزم.

يقولون: إنهم أعدوا ما يقرب من ثلاثمائة حمل بعير من الكتب النفيسة، وأثاث بيوت الأصحاب، والزاد والزواد، وشدوا رواحلهم. ومضى في ركابه أربعون من المفتين الكاملين، والزُّهَّاد العاملين. مثلما هاجر الرسول -عليه السلام- من مكة المباركة إلى المدينة بسبب إيذاء المنافقين وشر الحاسدين.

وعلا ضجيج أهالي بلخ وصخبهم الذين كانوا مريدين له ومحبين. وعمَّ التعصب، وحدثت فتنة عظيمة، فخاف خوارزمشاه، وأرسل الرُّسل الثقات إلى سلطان العلماء مرة أخرى. وقدم العذر في البداية، وطلب المغفرة، حتى يهدأ الناس. وبعد صلاة العشاء جاء السلطان بصحبة وزيره إلى بهاء ولد، وتواضعا له، وتضرعا إليه بشدة، حتى يعدل عن عزمه، ويفرغ من أمر السفر، فلم يقبل من دون شك.

وبعد اللُّتيَّا والتي طلب السلطان منهم أن يغادروا من دون أن يدري الناس، وإلا تندلع الفتن، ويحدث خراب عظيم. فقبل بهاء ولد قول السلطان، وفي يوم الجمعة ألقى خطبة عظيمة، فانفعل المجلس للغاية، وتجاوزت جلبة الأصحاب الحَدَّ، وسالت قِرَب الدماء من أعين المحبين بدلًا من الدمع. وقد استهل كلامه على هذا النحو قائلًا: اعلم يا مَلك المُلك الفاني، وأدرِك، لو أنك لا تعلم، ولا تدرك، أنك

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، وابن عبد البر في التمهيد من طريق داود بن رشيد ثنا بسطام ابن حبيب ثنا القاسم بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن بن عباس -رضي الله عنهما.
المكتبة الشاملة، أرشيف ملتقى أهل الحديث -٢ al-maktaba.org

لست السلطان، وأنني أنا السلطان. إنهم يقولون لك: سلطان الأمراء، ويطلقون عليَّ سلطان العلماء، وأنت مريدي. وكما أن سلطنتك وملكك مرهونان بنَفَس، فإن ملكي وسلطنتي مرهونان بنَفَس أيضًا. ولمَّا ينقطع نَفَسك ذلك عن نَفْسِك، لا تبقى أنت، ولا يبقى العرش ولا الحظ ولا المملكة ولا الأعقاب والأنساب ولا الأسباب. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾[1]. وتنعدم جميعها تمامًا. ولكن حين يصعد نَفَسنا النفيس من النَّفْس، سوف تبقى أنسابنا وأولادنا -الذين هم أوتاد الأرض- حتى قيام القيامة. كل سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي[2].

سوف أرحل الآن، لكن ليكن في علمك أن جيش التتار الجرار -الذين هم جند الله والجراد المبثوث، وصفاتهم: وخلقتهم من سخطي وغضبي- سوف يصل في عقبي، ويستولي على إقليم خراسان، ويذيق أهل بلخ شراب الموت المُر، وسوف يدمر العالم، ويزيح المَلك عن ملكه في ألم وحسرة، وسوف تهلك في النهاية على يد سلطان الروم.

ويُروى أنه شهق شهقة في أثناء هذا الكلام على حين غرة، ففقد أغلب الجماعة الصواب، وتحرك المنبر من جانب المحراب إلى وسط المسجد. وما أكثر الناس الذين ضحوا بأرواحهم بسبب تلك الهيبة الإلهية! وفي يوم السبت هاجر من ديار بلخ مباركًا مستخيرًا الله تعالى، ورحل إلى بغداد دار السلام.

---

(١) سورة يونس، جزء من الآية ٢٤.

(٢) الحديث رواه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب عن عكرمة، قال: تزوج عمر، ثم ذكر قصة فيها ذكر عمر للحديث ولفظه: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي.
المكتبة الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث -٢ al-maktaba.org

كذلك كانت لبهاء ولد حاضنة تدعى «نصب خاتون»، كانت غزيرة العلم، وكانت من أهل الفتوى، كما كان لها في فنون علوم الظنون نصيب بلا نَصَب ونصاب أوفر. يقول البعض: إنها كانت أخته. وقد ترك المذكورة وزوجها في ذلك المكان.

ويُقال: إن مولانا جلال الدين محمد كان في الخامسة من عمره في ذلك الوقت، وكان أخوه علاء الدين محمد في السابعة من عمره.

حكاية

هكذا روى عزيز من الأصحاب الفضلاء: أن مجلس سماع مهيب أقيم ذات يوم في مقام جنيد الزمان شلبي حسام الحق والدين -قدس الله سره العزيز-(١) في عِزِّ الشتاء القارس. وقد اضطرب مولانا في ذلك اليوم اضطرابًا شديدًا، وبعد ذلك كشف عن صدره المبارك، وكان يتأوه آهات العشق. فكان الرفاق يشفقون عليه للغاية. ثم قال في ذلك الوقت: مرَّ زمن، وكان قلب ذلك العارف قد تألم، والآن تثأر له خراسان المسكينة. ثم توجه إلى أرض خراب، لا تصلح للعمارة أصلًا، وأنشد هذا البيت:

---

(١) **حسام الدين شلبي:** هو حسام الدين حسن شلبي، مريد مولانا جلال الدين الرومي وملهمه وخليفته. وُلد في قونية سنة ٦٢٢ هـ، وينتسب إلى ترك أرومية، ويعده البعض ابن أخي ترك، لأن أباه كان صاحب أحد بيوت الفتوة في أطراف قونية. صحب مولانا من سنة ٦٦٢ هـ إلى سنة ٦٧٢ هـ ونظم مولانا المثنوي المعنوي بناء على طلبه. وورد ذكره في المثنوي مرات عدة، إلى حد أنهم يطلقون على المثنوي «حسامي نامه». وكانت لحسام الدين منزلة كبيرة عند مولانا، ويُروى أن مولانا كان يذهب مع جماعة الأصحاب لعيادة حسام الدين ذات يوم، فاعترضهم كلب في وسط المحلة، فأراد أحدهم إيذاءه. فقال مولانا: لا يجوز إيذاء كلب حي شلبي. وتوفي سنة ٦٨٣ هـ في قونية، وخلف مولانا في إرشاد المريدين.
انظر: fa.wikipedia.org

شعر (رمل)

ما دام قلب العارف لم يظهر الجفاء

فإن الله لم يفضحه في أي زمان

إن غضب الرجال يجفف السحاب

وقد خَرَّب غضب القلوب العالم

بعد السماع سأله شلبي حسام الدين -رضي الله عنه- عن تلك الحال، فحكى السيد حكاية انزعاج الأب من أولها إلى آخرها.

وعلى هذا النحو لَمَّا خرجوا من مدينة بلخ، ومضوا، كان أهالي البقاع والقلاع -التي كانت في الطريق- جميعهم يرون الرسول -عليه السلام- في المنام سابقًا، يخبرهم قائلًا: إن سلطان العلماء بهاء ولد البلخي سوف يصل، فاستقبلوه بترحاب شديد واعتقاد تام، وبَجَّلوه. ولم يكد سلطان العلماء يصل إلى ذلك المكان، حتى كان أهل ذلك المنزل وتلك البقعة يمضون إليه مسيرة يوم، ويقيمون الولائم في إعزاز تام.

ولمَّا اقتربوا من ضواحي بغداد بعد الحط والترحال، هرول خفراء المدينة متسائلين: أي قوم أنتم؟ ومن أين تأتون؟ فأطَلَّ بهاء ولد برأسه من الهودج، وأجاب: من الله وإلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. إننا نأتي من اللا مكان، ونمضي إلى اللا مكان.

تعجب خفراء العرب، وأرسلوا خفيرًا إلى الخليفة، وأخبروه بالحال قائلين: لقد وصل جمع غفير، أغلبهم من العلماء والفضلاء، وهم يأتون من خراسان. فأصابت الخليفة الحيرة بسبب سماع أحوال

تلك الجماعة، وأرسل رجلًا إلى شيخ مشايخ الزمان شهاب الدين السهروردي -رحمة الله عليه[1]- كي يحضر إلى دار الخلافة. ولمَّا سمع الشيخ هذه الحكاية من الخليفة، قال: ما هذا إلا بهاء الدين الولد البلخي، لأن هذا النوع من الكلام، وهذا الطراز من القول، لم يتفوه به أي شخص في هذا العصر سوى بهاء الولد.

وعلى هذا النحو استقبل أكابر بغداد وأصاغرها جميعهم صحبة الشيخ بعشق تام وصدق كامل، ولمَّا التقيا، نزل الشيخ شهاب الدين من على البغل، وقَبَّل ركبة الشيخ بشفة الأدب، وأظهر له الولاء والطاعة، ثم مضى إلى خانقاه. قال سلطان العلماء: إن المدرسة أكثر مناسبة للأئمة. ونزلوا في المدرسة المستنصرية. وألبس الشيخ الجرموق بنفسه، وأحسن معاملته.

قال بهاء ولد: إننا كنا نريد الاستقرار في هذا المكان، وننوي الإقامة فيه، لكنه آثر للشيخ الإحرام لزيارة بيت الله الحرام، إن شاء الله وحده العزيز.

يُقال: إن الخليفة في الوقت ذاته وضع ثلاثة آلاف دينار مصري في طبق ذهبي، وأرسلها مع أنواع من النُّزُل حق القدوم لبهاء ولد، فلم يقبلها، لأن مال الخليفة حرام ومشكوك فيه. وقال: إن الشخص الذي يدمن على المُدامة، ويستمع إلى طنطنة أوتار الأغاني والمزمار،

(١) **شهاب الدين السهروردي:** هو شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي الشافعي (٥٣٩-٦٣٢ هـ)، أحد علماء أهل السنة والجماعة، ومن أعلام التصوف في القرن السابع الهجري، ومؤسس الطريقة السهروردية الصوفية، وصاحب كتاب «عوارف المعارف».

ar.wikipedia.org

لا تجوز رؤية وجهه، أو الجلوس في مجلسه.

لمَّا وصل هذا الخبر إلى سمع الخليفة، ضاق للغاية، وتبرم. ويقولون: إنه لم يكن هناك ظالم وغاشم ومتهور مثله قَط بين الخلفاء الأتقياء. ودعا الخليفة الشيخ إليه قائلًا: ينبغي أن أرى وجه هذا الرجل بالضرورة. قال الشيخ: يا خليفة الأرض، إنه يرفض لقاءك أصلًا، وقد بقيتُ أنا متحيرًا بين هيبة ولاية ذلك الشريف وسياسة الخليفة. قال الخليفة: لا بد من تدبير أمر، لَعَلِّي أستطيع رؤية وجهه المبارك. قال الشيخ: ربما نستطيع رؤيته في المسجد يوم الجمعة.

نهض الشيخ، وجاء إلى سلطان العلماء، وطلب منه الوعظ قائلًا: إن أهالى بغداد كافة مشتاقون ومتعطشون لمجلسكم بسبب الإخلاص وضرورة العشق. ومصداقًا لقوله: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١). والرجاء هو ألاَّ ييأسوا أو يشعروا بالإحباط. فأجابه سلطان العلماء إلى طلبه، وقَبِل.

وما إن ذاع الخبر في مدينة بغداد بأن بهاء ولد البلخي سوف يعظ يوم الجمعة، حتى اجتمع جميع أهل بغداد في المسجد الجامع، وتلا كل حافظ من الحُفَّاظ عِذاب الألفاظ، الآيات والأعشار في كل مكان. وتحدث بهاء ولد بالكثير من اللطائف والرقائق والغرائب والأمور الدقيقة إلى حد أنْ ذُهِل الحاضرون في المجلس جميعًا، وفقدوا الصواب. وبكى الخليفة بكاءً لا يمكن وصفه.

---

(١) سورة الذاريات، آية ٥٥.

وعلى هذا النحو خلع بهاء ولد عمامته المباركة في ختام الوعظ، وتوجه نحو الخليفة قائلًا: يا خَلْف خَلَف أسوأ آل عباس، إنك لست خلفًا صالحًا للأسف، أهكذا ينبغي أن تحيا؟ أهكذا ينبغي ألَّا تتبع الشريعة في دين الشريعة؟ عجبًا! هل قرأتَ هذا الدليل في كتاب الله؟ وهل وجدتَ هذه الفتوى في الأخبار النبوية؟ وهل طالعتَ هذه الحجة في أقوال الخلفاء الراشدين وأفعال أئمة الدين؟ أو شاهدت برهانًا في مذهب مشايخ الطريقة؟ ألا تقول في النهاية بأي وجه تستسيغ هذه الأفعال وتبيحها لنفسك، وتحيد عن جادة المُشرِّع؟ ألا تخشى عقاب الله تعالى؟ ألا تخجل من المصطفى عليه السلام؟

شعر (هزج)

تأتي إلى السوق مزدانًا ثملا

ألا تخشى ذلك اليوم الذي تُبتلى فيه؟

إنني أُبشِّرك الآن بأن الأشرار الثائرين -أي جيش المغول- سوف يصلون، ويقتلونك بالتقدير الإلهي، ويفتكون بك في ضعف وذلة تامة، ويثأرون منك للدين المحمدي. فاستعد، وارفع حجاب الغفلة عن عين القلب، واصْغُ بأذن العقل، وانشغل بالإنابة والإيابة والاستغفار.

كان الخليفة يصيح، ويبكي منتحبًا. وفي ذلك اليوم أدوا صلاة الجنازة على سبعة من أهل المجلس. وكلما أرسل الخليفة المتاع والخيول والنقود، لم يقبل بهاء ولد، وقال: لا تحل الصدقة لغني، ولا

لذي مرة سوي[١]. إن لدينا ما يكفينا من الأسباب والأموال، ولا يلزمنا أي شيء، لأننا لو نقبل عطاياه، ربما منعنا قضاء الحق. لا راد لقضائه ولا مانع لحكمه، يفعل الله ما يشاء، ويحكم ما يريد.

ولم يكد بهاء ولد يغادر بغداد، حتى وصل الخبر إلى الخليفة بأن جيش جنكيز خان الذي يبلغ عدده نحو خمسمائة ألف مغولي قد حاصر مدينة بلخ، وخرب بعض مدن إقليم خراسان، وأغار عليها، وأخذ عبيدًا وأسرى يفوق عددهم الحصر.

ويقولون: إن جنكيز خان لمَّا قصد مدينة بلخ، قابله أهلها بالحرب والقتال العنيف، وقُتل جغتاي بن تولي خان الذي كان ابن جنكيز خان. فغضب جنكيز خان بشدة، وأمر كذلك بعقاب كل من يقع في أيديهم من الصغار والكبار والأطفال بالقتل، وبأن يشقوا بطون النساء الحوامل. ويذبحوا حيوانات المدينة كلها، وبأن يسووا بلخ بالتراب.

ويُروى كذلك أنهم أشعلوا النار في اثني عشر ألف مسجد في مدينة مَحلات، واحترقت أربعة عشر ألف نسخة من القرآن بداخلها، وقتلوا ما يقرب من خمسين ألف عالم وطالب علم وحافظ للقرآن إضافة إلى عوام الناس.

---

(١) حديث شريف.

الراوي: عبد الله بن عمرو

المحدث: الترمذي

المصدر: سنن الترمذي

خلاصة حكم المحدث: حسن

التخريج: أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

ويقولون: إنهم آذوا مائتي ألف إنسان، وما نهبوه وما سلبوه ليس له نهاية، وجعلوا ذلك الملك كله خرابًا يبابًا، وتعقبوا محمد خوارزمشاه، حتى يقضوا عليه. وفي تلك الوهلة التي انشغل فيها جيش المغول بالهجوم والقتال، كان هناك عزيز من مريدي بهاء ولد، وكان صاحب كشف وكرامات، فاستغاث به أكابر بلخ جميعهم قائلين: سَلِ الله تعالى العفو عن ذنوبنا، وكن شفيعنا، نحن العاصين، حتى تنقشع ظلمات هذا القضاء.

سهر الدرويش في تلك الليلة حتى السَّحَر، وبالغ في التضرع والابتهال، فهتف به هاتف من عالم الغيب في السَّحَر قائلًا: «يا أيها الكفرة، اقتلوا الفجرة». وبعد اليوم الثالث قتلت تلك الجماعة ذلك العزيز. ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1].

يقولون: إن خليفة بغداد حزن حزنًا شديدًا بسبب سماعه لهذا الخبر السيئ، وتبدلت حاله، وكان يشاهد أثر زوال الدولة وانتقال المملكة بنفسه.

يُروى أن بهاء ولد اتجه إلى الكعبة عن طريق الكوفة، ولمَّا رجع من زيارة الكعبة المعظمة، ووصل إلى دمشق، كان ذلك في عهد الملك الأشرف. وكان أهل الشام يحبونه حبًّا عظيمًا، ويريدون أن يقيم هناك، فلم يقبل، لأن الإشارة الإلهية تقتضي أن يسكن إقليم الروم، وأن يكون قبره في دار الملك قونية[2].

---

(١) سورة الرعد، جزء من الآية ٢٩.

(٢) **قونية**: مدينة تركية، وهي في محافظة تحمل نفس الاسم تقع في وسط جنوب الأناضول، بلغت ذروة مجدها عندما كانت عاصمة الدولة السلجوقية قبل الغزو المغولي.ar.wikipedia.org

ولَمَّا خرج إلى مدينة ملطية[1]، في سنة أربع عشرة وستمائة توفي جنكيز خان. وكانوا قد نصَّبوا ابنه أوكتاي خان خليفة لأبيه[2]. وكان السلطان علاء الدين الرومي قد جلس على عرش سلطنة الروم في نوى. وفي سنة ست عشرة وستمائة (هجرية) ذاع الخبر في مدينة سيواس أن جلال الدين خوارزمشاه أفلت من يد المغول، وقد حاصر مدينة أخلاط[3]، وكان يريدها عاصمة له، وقد حنق على الروم، وكان يُظهِر شغفًا شديدًا بذلك.

كما أن السلطان علاء الدين كيقباد هزم هو وملك الشام الأشرف جيش الخوارزميين في «ياسي جومان»؛ أي «جمن» شمال أرزنجان. وفرَّ خوارزمشاه إلى خرتبرت، وقُتل على يد كتيبة من الأكراد. ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

---

(١) ملطية: ملطية هي مدينة كبيرة في منطقة شرق الأناضول في تركيا وعاصمة محافظة ملطية. تقع قرب نهر الفرات في تركيا، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٨١ , ٠٨١ نسمة، وهم خليط من الكرد والترك.

ar.wikipedia.org

(٢) خطأ تاريخي، لأن جنكيز خان توفي سنة ٦٢٤ هـ، وخلفه أوكتاي خان سنة ٦٢٦ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٢٢.

(٣) أخطأ المؤلف هنا أيضًا، لأن جلال الدين خوارزمشاه اقترب من أخلاط سنة ٦٢٢ هـ وحاصرها سنة ٦٢٦ هـ.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٤) سورة الأنعام، آية ٤٥.

شعر (رمل)

قُتل ظالم من أهل الدنيا، وبقي حيًّا

كل من عكف على طاعة الله

سقط في البئر العفنة

لأن ظُلمَه حلَّ على رأسه

ووقعت هذه الواقعة في سنة عشرين وستمائة (هجرية)[١].

حكاية

يُروى أن بهاء ولد لمَّا كان قد نزل في المدرسة المستنصرية في بغداد، كان يطلب الماء في منتصف كل ليلة، فكان ابنه مولانا جلال الدين محمد ينهض بثياب النوم، ويمضي في طلب الماء، ولمَّا كان يصل إلى باب المدرسة، كان باب المدرسة ينفتح له من دون مفتاح بأمر الفتاح، مثل يوسف الصديق. وكان جلال الدين يملأ الإبريق بالماء من شط بغداد، ويحضره إلى خلوة أبيه، وكان باب المدرسة يُغلق مثلما كان. إلا أن بَوَّاب المدرسة كان رجلًا خلطًا عارفًا يقظ الضمير، وكان قد شاهد هذه الحال مرات عديدة، ولم يكن يتحدث قَط. ولما تجاوزت تلك الحال الحد، غمز به لدى مشايخ بغداد، فغضب بهاء ولد من ذلك الفعل، ووبخ البَوَّاب قائلًا: لماذا فعلتَ هكذا؟ فندم البواب المسكين، وصار مريدًا له.

---

(١) وقعت موقعة ياسي جمن سنة ٦٢٧ هـ. وبناء عليه فإن التاريخ الذي ذكره الافلاكي غير صحيح. انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٢٣.

يُروى أنهم لمَّا خرجوا من مدينة ملطية، وكان يمضي بمحاذاة أرزنجان، التمس أصحاب الشيخ الكرام الشيخ الرباني جهواره جر وخواججي والشيخ الحجاج وغيرهم -الذين كانوا خاصة مريديه- منه النزول في أرزنجان، فقال لهم: غير مسموح لنا أن ننزل مع الجماعة في تلك المدينة، لأن الأشرار كثيرون فيها.

ورووا كذلك أن الملك فخر الدين الأرزنجاني(١) -رحمة الله عليه- كان من جملة الأتقياء المعتقدين في الأولياء، هو وزوجه عصمتي خاتون التي كانت عائشة الدهر وخديجة العصر والزمان في العفة والعصمة، وقد اشتهرت ولايتها، وعلمت من عالم الغيب أن قطبًا وعالمًا مثل هذا يمر من ضواحي المدينة، فركبت جوادًا نجيبًا في الحال، ومضت في إثر بهاء ولد. وبمجرد أن علم غلمان الملك فخر الدين الخاصة بوقوع الحال، تتبعوها مع عديد من الفرسان، ولحقوا بها بالقرب من آقشهر(٢) التابعة لأرزنجان، ونزلوا من على جيادهم، وقبَّلوا الأرض بين يديها. واطمأن بهاء ولد، وقبل إرادة الاثنين كليهما.

وعلى هذا النحو توسل له الملك فخر الدين حتى يعود إلى أرزنجان، لكن العودة لم تكن ممكنة. وقال له بهاء ولد: لو أنك طالب

(١) **فخر الدين الأرزنجاني:** هو صهر السلطان ركن الدين سليمان شاه السلجوقي، زوج ابنته للسلطان عز الدين كيكاوس الأول (مدة سلطنته ٦٠٧ هـ - ٦١٦ هـ)، وحكم أرزنجان.
انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٢٤.

(٢) **آقشهر:** آقشهر أو أكشهير مدينة ومنطقة تابعة لمقاطعة قونية الواقعة في منطقة وسط الأناضول في تركيا، يبلغ عدد سكانها ٦٣,٠٠٠ نسمة.
انظر: ar.wikipedia.org

وعاشق لي، شَيِّد لي مدرسة في هذه القصبة، حتى أقيم فيها مدة. وبناء عليه بنوا له مدرسة في آقشهر التابعة لأرزنجان، وكان يُدَرِّس فيها للعامة أربع سنوات بالتمام. وكانت «ملكة جهان» ملكة العالم تلازمه، وبمجرد أن توفي الملك فخر الدين وعصمتي خاتون إلى رحمة الله تعالى بتقدير مقدر الأمور ومفرق الجمهور، انتقل بهاء ولد من منزل إلى منزل حتى وصل إلى مدينة لارندة[1] من توابع قونية.

كان هناك شخص من نواب سلطان الإسلام علاء الدنيا والدين كيقباد يُدعى الأمير موسى، وكان قائد تلك الولاية وحاكمها، لأنه كان رجلًا تركيًا شجاعًا ومخلصًا وطالبًا صادقًا. سمع أن مثل هذا الرجل يصل من ملك خراسان، وعلم أن مثل هذا النور لا يسطع في أي مكان بسهولة، فاستقبله مترجلًا مع أهل المدينة جميعهم والجنود، والتحقوا بإرادته. ومع أنه دعا بهاء ولد إلى قصره، فإنه لم يرضَ، وأراد مدرسة من دون شك، فأمر الأمير موسى، فبنوا له مدرسة في وسط المدينة.

ويُقال: إنهم كانوا يقيمون في تلك المدرسة ما يقرب من سبع سنوات أو أكثر، حتى بلغ مولانا جلال الدين محمد، فزوجوه ابنة السيد شرف الدين لا لا السمرقندي. وكان شرف الدين رجلًا معتبرًا كريم الأصل شريف النُّجَار. وكانت له ابنة جميلة ولطيفة للغاية، لا نظير لها في الجمال والكمال، اسمها جوهر خاتون. وأقاموا عُرسًا بهيجًا،

---

(١) لارندة: ويطلق عليها الآن مدينة قرمان أو قرامان، وهي عاصمة محافظة قرمان، وتقع في جنوب وسط تركيا، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٠٥,٣٨٤ نسمة.
ar.wikipedia.org

وولدت له سلطان ولد وعلاء الدين في سنة ثلاث وعشرين وستمائة هجرية.

ويقولون لمَّا كان سلطان ولد يجتمع مع والده في أي مجمع، كان أغلب الناس يظنون أنهما أخوان. وكان مولانا في الثامنة عشرة من عمره لمَّا تزوج، وكان سلطان ولد يجلس إلى جانبه في أي محفل كان يوجد فيه.

وعلى هذا النحو لمَّا أقاموا مدة طويلة في مدينة لارندة، وشى جماعة الوشاة والحُسَّاد بالأمير موسى إلى السلطان علاء الدين، وبأن مولانا بهاء ولد البلخي قد وصل إلى أطراف ديار الروم، ونَوَّر هذه الولاية بنور ولايته. ولم يكن الملك يعلم بمقدمه أصلًا، وأزعجه تصرف الأمير موسى الذي هو من جملة عبيد السلطان وقادته؛ وقد أبقى بهاء ولد في مدينة لارندة، والتحق بإرادته، وبنى له مدرسة، وتَصَرَّف بمثل هذه الجرأة والشجاعة، ولم يخشَ السلطان.

غضب السلطان، وحزن للغاية، فهدَّأ الوزير من روعه بكثير من التلطفات واللطائف. وقال السلطان: نتحرى عن هذه الحال أولًا، وبعد ذلك تتم مجازاة الأمير موسى. وأصدر سلطان الإسلام أمرًا ملكيًّا، فكتبوا إلى الأمير موسى رسالة تتضمن أنواع التهديد والترهيب متسائلين لماذا بالغ في هذا الذهول والتغافل، ولم يعرض نبذة عن حال ذلك الشيخ. ولمَّا وصل أمر السلطان إلى أمير موسى، دخل على بهاء ولد مرتعدًا خائفًا بسبب خشيته الشديدة من السلطان، وأخبره بما حدث، وعرض عليه مكتوب السلطان، فقال ولد: إن الملك علاء الدين يشرب الخمر،

ويستمع إلى صلصلة الصنج، فكيف أستطيع رؤية وجهه؟

كان الأمير موسى نفسه يطلب الإذن من بهاء ولد في كل لحظة قبل هذه الواقعة كي يخبر السلطان بحاله، وينبئه عن عظمة ولايته، لكن بهاء ولد لم يأذن له، وقال الشيخ: انهض، واذهب إلى السلطان من دون تهرب، واعرضْ عليه ما رأيته، وما سمعته كما ينبغي.

وعلى هذا النحو مضى بنفسه استجابة لأمر السلطان، ولمَّا دخل على السلطان، تذلل له، وقَبَّل قاعدة العرش بشفة الأدب. وسأله السلطان عن كيفية قدوم بهاء ولد، فقصَّ عليه القصة كما كانت. سُرَّ السلطان بسبب صحة خبر الخير ذلك للغاية، وبكى كثيرًا، وشكر الله شكرًا جزيلًا على أن مثل ذلك العالم الرباني والعارف الصمداني شَرَّفَ مُلك مَلك الروم بقدومه المبارك، وسعد به سعادة غامرة، وقال: لو يُتعب الشيخ قدمه، ويأتي إلى دار الملك، ويجعل مدينة قونية محتد أولاده، لن أسمع الأغاني وصلصلة الصنج مرة أخرى طوال عمري، وإنني لم ألتحق بإرادة شخص قَط، وسوف أصبح خادمه ومريده.

منح السلطان الخلع للأمير موسى، وأرسلها مع خاصته إلى ذلك السلطان. ولمَّا بَلَّغَ القُصَّاد الرسالة بالتمام والكمال، اصطحب بهاء ولد الأولاد والأصحاب، واتجه إلى دار الملك قونية. ولمَّا وصل خبر مقدم سلطان العلماء إلى مسامع سلطان الأمراء، استقبله هو وجميع أرباب القلم وأصحاب العلم وأهالي قونية، ونزل من على الجواد من مكان بعيد، وقَبَّلَ ركبة الشيخ، وكان يريد أن يسلم عليه ويصافحه، فمَدَّ له مولانا عصاه بَدَلًا من يده، فارتعد السلطان من تلك المهابة، ومن نظرة مولانا الحادة.

شعر (رمل)

إنها هيبة الحق، وليست من الخلق

وليست هيبة هذا الرجل صاحب الخرقة

إنها هيبة الباز على القطا النجيب

وليس للذباب نصيب من تلك الهيبة

وعزم السلطان على أن يُعِد له مكانًا في حَمَّامه، فلم يقبل مولانا، وقال: إن المدرسة مناسبة للأئمة، والخانقاه ملائمة للشيوخ، والقصر لائق بالأمراء، والخان جدير بالتجار، والزوايا للرنود، والمصطبة مناسبة للغرباء. كما أنه نزل في مدرسة التونبا[١]. ويقولون: لا توجد مدرسة أخرى غير تلك المدرسة في قونية حتى الآن، ولم يكونوا قد أنشأوا قلعة المدينة[٢].

وكما هي عادة سلاطين الزمان وأكابره، فقد أرسلوا أنواع الهدايا من مال ومتاع وغيره، فلم يقبل الشيخ شيئًا من أي شخص قائلًا: إن أموالكم مشبوهة ومشكوك بها، وإن لديَّ متاعًا بقدر الكفاية، وإنني ما زلت أحتفظ بميراث آبائي وأجدادي الذي كانوا قد جمعوه من غنائم

---

(١) **مدرسة التونبا:** توجد هذه المدرسة الآن في قونية، ولكنها تحولت إلى متحف.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، ص ٢٩.

(٢) أخطأ الأفلاكي في هذا الأمر، لأن قلعة مدينة قونية قد شُيدت سنة ٦١٨ هـ، كما أن بهاء الدين ولد جاء إلى قونية سنة ٦٢٦ هـ.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

الغزو. فتعجب الجميع من كمال تقواه الصادقة واستغنائه، والتحقوا بإرادته بصدق وإخلاص، وأصبح الرجال والنساء مريدين له، وكان سلطان الإسلام ووزراؤه وخاصته يندهشون من هذه الحال.

ويُقال: إن شابين مُقبلين كانا قد أصبحا مريدَين مَقبولَين لديه في ذلك الوقت، كان أحدهما يعمل خبازًا، وكان الآخر قصابًا. وكان قد منح كل واحد منهما ألف دينار حتى يدبرا راتب مطبخ الدراويش على الدوام، وكانوا يعيشون بذلك القدر.

يُروى أن السلطان علاء الدين -رحمه الله- عقد مجلسًا عظيمًا ذات يوم، ودعا الشيخ إلى القصر؛ وحضر جميع علماء المدينة، والعارفون والحكماء والشيوخ الكبار وأرباب الفتوة والمعتكفون. ولمَّا دخل بهاء ولد من الباب استقبله سلطان الإسلام، وأراد أن يجلس مولانا على العرش، وقال له: يا سلطان الدين، أنا عبد، وأريد أن أكون حارسك بعد اليوم. وأن يتولى مولانا السلطنة، لأن سلطنة الظاهر والباطن هي مِلك لك من قديم العهد. وعلى هذا النحو أكرم وفادة بهاء ولد للغاية، وقَبَّلَ عينَي السلطان، وأثنى الحاضرون في المجلس على السلطان، وبَجَّلوه وأنصفوه ومدحوه.

قال بهاء ولد: أيها الملك حسن السيرة، لتعلم يقينًا أنك امتلكتَ مُلك الدنيا والآخرة. فنهض السلطان، والتحق بإرادته برغبة مُلِحَّة ويقين تام، وأصبح الخاصة جميعهم والجيش مريدين له موافقة للسلطان، ونثروا المال، ومنحوا الصدقات لأرباب الحاجات. وربما جال بخاطر السلطان في ذلك الوقت أن مولانا كان يتحدث، ويتفوه

بالمعارف، حتى يستفيد الحاضرون. قال مولانا: يا من يطلقون عليك ملك العالم، إن سلطان العلماء يأتي. ولم يَقُل إن فصالًا يقع حتى يلملم المُلك المتفرق. فلو تراقب[1] بإخلاص وبحضور القلب، وتحافظ على أدب الباطن، يتيسر لك مطلوب القلب ومقصوده من دون قول اللسان.

شعر (رمل)

كل طاهر كفء

يصل نثار القلب إليه

تلك الحاجة وذلك الحضور هما شراعك

فاحذر ولا تذر حجر الفجور في طرفك

حكاية

رُوِيَ عن عدول الرواة كذلك أنه كان هناك قاضٍ في ذلك العهد جليل للغاية، وكانوا يقولون له «بهاء الدين الطبري». كان رجلًا متبحرًا، إلا أنه كان قد خاض في عرض بهاء ولد يومًا في حضرة السلطان بسبب الحسد، ولغرض في نفسه. وبالصدفة حضر المذكور في محفل السلطان ذات يوم. قال بهاء ولد: انتبه أيها القاضي الطبري، ولا تتطاول

(١) **المراقبة:** استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله. وقيل حقيقة المراقبة أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وقال بعض أهل الإشارات: المراقبة على ضربين: مراقبة العام ومراقبة الخاص، فمراقبة العام من الله تعالى خوف، ومراقبة الخاص من الله تعالى رجاء.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت؛ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م، ص ١٦٠.

علينا، ولا تؤذِنا، فإنك سوف تموت خلال هذه الأيام العديدة، ولن يبقى أي شخص من أعقابك، وهكذا هو التقدير الإلهي أن يموت جميعهم، وينقطع عناء رشوتك عن مظلومي الأمة، لكن أنسابنا وأعقابنا وأصحابنا سوف يبقون ويحيون إلى يوم القيامة.

ويقولون: إن وباء حلَّ بعد عدة أيام، وتوفي القاضي بهاء الدين الطبري، ومات قومه جميعهم. ويقولون أيضًا: أصابه الرُّعاف سبعة أيام كاملة، ثم رحل. ويقولون كذلك: إنهم أنشأوا برج قونية وربضها في ذلك التاريخ.

رُوِيَ: أنه لمَّا انقضت مدة، لازم بهاء ولد الفراش، فنهض السلطان، وجاء لعيادته، وبكى كثيرًا، وقال: كنتُ أريد أن يجلس سلطان العلماء على العرش مستقلًّا استقلالًا تامًّا، وأكون أنا قائد جيشه، حتى أقوم بالفتوحات، وأفتح البلدان. فقال مولانا: مع أن نيتك هذه خالصة، فقد صار يقينًا أنني سوف أسافر من عالم الشهادة إلى عالم السعادة، وأنت أيضًا ستلحق بإيوان سماء الأرواح السابعة بعد مدة وجيزة. وبعد اليوم الثالث سكن إلى جوار جلال الرحمة الإلهية في ضحى يوم الجمعة، الثامن عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة (هجرية) ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

(١) سورة القمر، آية ٥٥.

شعر (طويل)

فسار إلى الفردوس يبغي نزوله

بمقعد صدق في جوار المهيمن

شعر (رمل)

مضى طاووس العرش ذلك نحو العرش

لما جاءه الهاتف بأثر من العرش

تألم سلطان الإسلام بشدة، واضطرب، ولم يخرج من القصر طوال سبعة أيام كاملة، ولم يركب الجواد طوال أربعين يومًا، ونزل من على العرش، وجلس على الحصير، وأقام مراسم العزاء، وعقد مجالس قراءة القرآن في مسجد القلعة الجامع أربعين يومًا بالتمام. ومَدَّ الموائد لخلق العالم، ووزع الصدقات على المساكين، وأمر فأقاموا حرمًا حول تربة الشيخ المباركة، وسجلوا تاريخ الوفاة على حجر من المرمر. وبعد عدة سنوات رحل سلطان الإسلام أيضًا إلى دار السلام.

شعر (هزج)

الوجه الذي يشبه وجهك قليلًا يكون وردة

وقد مضى هو أيضًا، ووهبك الحياة

﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾(١).

---

(١) سورة النساء، جزء من الآية ٦٩.

حكاية

روى كذلك الولي الرباني المستور بقباب سبحاني الشيخ حجاج النساج -رحمة الله عليه- الذي كان من جملة مقبولي بهاء ولد المقبلين، أن قاضي «وخش» كان رجلًا معتبرًا، وكان من علماء هذا العالم، وكان يريد أن يمحو لقب سلطان العلماء بهاء ولد من ديباجة كتب المعارف والفتاوى. علم مولانا بهذه الحال، وقال: إن اسم ذلك الشيخ وكنيته سوف ينمحيان من دفتر عالم الوجود قريبًا. وبعد خمسة أيام معدودة انتقل إلى الآخرة.

كما أنه كان يطلع على ضمائر الخلق دائمًا، وينبئ بوقوع الوقائع الغيبية، ويتحدث بفوائد أخرى، فكان الجميع يندهش. وعلى هذا النحو كان منكروه يقبلون عليه جوقًا جوقًا باعتقاد تام بعد مشاهدة الكرامات، ويلتحقون بإرادته، وكثيرًا ما كان المنكرون المتعصبون يموتون كافرين بشؤم إنكارهم له.

ويقولون إن سبب إرادة السيد برهان الدين محقق الترمذي -رضي الله عنه- كان رؤيا فحواها أن علماء بلخ رأوا في المنام أن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- أشار بأن يلقبه الجميع بـ«سلطان العلماء»، ويعدونه أفضلهم وأعظمهم.

حكاية

كان جمال الدين الحصيري يجادل ويتزمت في أثناء الكلام ذات

يوم في درس عام، فرفع بهاء ولد العصا، ووكزه قائلًا: أيها الرجيل الصُّحُفي، العصا لمن عصى، شتان بين الدر والحصى. إذا لم يبقَ أي شيء من هذه الصحف التي تتباهى بها، ومن تلك القوة التي تغير بها في كل ناحية، وإذا انعدمت واندرست تمامًا، وإذا لم يبقَ في ممالك الدنيا مدرسة أو مسند، ماذا سوف تفعل؟ ومن صفحات أي صُحُف سوف تدرس؟ وأي صحف سوف تسبق إلى قراءتها؟ فاجتهِد في أن تحفظ صفحة من لطيفة صحيفة القلب، حتى يبقى ذلك المعنى مؤنسًا لروحك إلى أبد الآباد، ولا ينمحي من ذاكرتك في أي وقت، وعِلم العشق ذلك هو الذي ينفعك بعد الموت، كما قالوا:

شعر (رمل)

أيها الفقيه، تَعَلَّم عِلم العشق من أجل الله

فأي مجال لمراعاة الحِل والحرمة بعد الموت؟

يُروى أن مولانا قدسنا الله بنور الأحرار كان يبين عظمة أبيه ذات يوم في جمع للأصحاب الأبرار، وكان يقول: إن بهاء ولد كان يعظ في بلخ يوم الجمعة، وقال: إن الحق سبحانه وتعالى سيجزي المؤمنين بالحور وقصور الجنات يوم القيامة؛ جزاء العمل الصالح والأخلاق الحسنة والإحسان.

فجأة نهض رجل هَرِم مُنْحَنٍ من زاوية المسجد، وقال: يا إمام المسلمين، إننا ننشغل اليوم في هذا العالم بأخبار عن أحوالهن، وغدًا سوف نكتفي بالفرجة على الحور والقصور، ومن ثم كيف سوف تحدث المشاهدة؟ فأجاب: يا عزيزي، إن رموز الحور والقصور من

أجل قصور فهم العامة، وإلا فإن الأصل هو مشاهدة الحبيب، وتتحقق تلك المشاهدة في أنواع الصور، فيشاهدون لكل مصنوع صانعًا، ويطالعون في كل ذرة وجه شمس الحقائق.

حكاية

حكى شمع جمع الأصحاب الشيخ محمود صاحب القران -رحمه الله- الذي كان من جملة محارم مريدي الشيخ، كذلك أن أَخي الناطوري كان في حَمَّام «بوستين دوزان» في زمان الشيخ، وقد بلغ العاشرة بعد المائة من العمر، وكان من جملة مريدي بهاء ولد. وكنا نحن أطفالًا في ذلك الوقت. ذات يوم كان الأصحاب الكرام يتكلمون عن مناقب بهاء ولد، فحكى أَخي الناطوري أنه رأى عوانًا وقفت ذات يوم أمام بهاء ولد، وكانت تؤذي مظلومًا، فوكز بهاء ولد تلك العوان بعصاه بمقتضى قوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾[1]، فأسلمت العوان روحها إلى جهنم في الحال، ورفعوها، وحملوها إلى قبرها.

اضطرب خاطر «سلطان الإسلام» بسبب هذه القضية، إذ كيف قتل تلك العوان من دون سبب؟ وماذا كان السبب؟ فقال مولانا: إن ورقة لا تسقط من شجرة من دون أمر الحق، حتى لا يبقى السلطان في ريبة.

شعر (رمل)

لا تسقط أي ورقة من شجرة

من دون قضاء سلطان البخت ذلك وحكمه

(١) سورة القصص، جزء من الآية ١٥.

وإنني في الحقيقة قتلت كلبًا، وخَلَّصتُ مظلومًا من ظلمه. أمر السلطان، ففتحوا قبر تلك العوان، فوجدوا كلبًا أسود نائمًا، فأذعن السلطان، وانشغل بالتمهيد للاعتذار. وقال: إن ذلك الشخص الذي يتطبع بطبع الكلب والسباع، وكان يعقر، وأحس بإحساس الكلب في عاقبة الأمر، فسوف يحشر على صورة كلب كذلك، كما قال: إن وقوع الحشر على السيرة الغالبة على وجودك واجب. فبكى السلطان، وقَبَّل يد الشيخ وقدمه، وطلب المغفرة، واجتنب المنهيات.

حكاية

رُوِيَ كذلك عن أخي الناطوري أن السلطان طلب من بهاء ولد ذات يوم في رغبة تامة وإلحاح شديد أن يعظ ويُذكِّر. فقال بهاء ولد: أخرِجوا المنبر إلى مقابر قانعي. وحضر أهل المدينة جميعًا من الذكور والإناث إلى ذلك المكان. وصعد مولانا المنبر، وقرأ حفاظ التجويد الألفاظ من العُشر والقوارع من كل سورة. وساق مولانا الدلائل على بيان الحشر والنشر والعرض يوم القيامة، وجزاء الأعمال ومجاري أهوال أحوال ذلك اليوم، والسؤال والجواب والميزان والصراط، وميزة أهل الجنة على أهل الجحيم، وكيفية ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ ﴾(١) إلى حد أن أوثقت عقول عقلاء العالم بعقال الحيرة، وتعالت آهات الحسرة من شغاف أرواحهم، وأصيب الناس بالعجز من كثرة البكاء، ومن شدة ألم القلب.

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٠٦.

فجأة انشق قبر، وظهر كفن ملفوف، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله. ثم رقد مرة أخرى، ففقد عدة آلاف من الخلق الصواب بسبب تلك الهيبة، وأسلم الكثيرون الروح.

كان ذلك الدرويش يحلف بالأقسام المغلظة قائلًا: إنني شاهدت تلك المعجزة بعين الظاهر تلك. وفي ذلك اليوم التحق عدد من الرجال والنساء لا يمكن حصره بإرادة الشيخ. ولم يَمُر شهر على هذه الحكاية، حتى انتقل مثل ذلك السلطان إلى عناية الله تعالى.

رُوِيَ كذلك أن مريدي بهاء ولد كانوا أناسًا مضطربين للغاية، وكان جميعهم من أهل التقوى والرياضة، وكانوا يذهبون في بعض الأوقات إلى الشيخ في المقابر، ويتلون القرآن في خشوع. ولما كان مولانا يدعو، كان أهل المقابر يشعرون، ويُخرِجون أيديهم من جيوب المقابر، ويُؤَمِّنون على دعائه.

حكى كذلك سلطان ولد -قدس الله لطيفته- أن حال المراقبة كانت قد اعترت أبي ذات يوم في مقبرة مولانا بهاء ولد، وكان يردد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدة مرات، فسألته: ما سبب قولك الحوقلة؟ فقال: كان أحدهم ينطلق بجواده في صحراء فلوباط، فقلتُ: وماذا حدث؟ قال: إنهم لا يخشون بهاء ولد، وقد سكن هنا.

وروى درويش كذلك أن مولانا جلال الدين كان قد جاء لزيارة تربة بهاء ولد ذات يوم، وكان معتادًا على أن يأتي بكل حال ومشكلة وواقعة

وقعت إلى تربة أبيه، ويراقب، فكان يَحل تلك العقدة، ويسمع إجابة صريحة صائبة من روضة ضريح الأب.

فجأة مرَّ فارس مسرعًا كالبرق من جانب التربة، وكانوا يقولون له: معروف ولد فخر الدين الشاهد، وكان من جملة خواص السلطان. فغضب مولانا جلال الدين بشدة، وانصرف عن ذلك الحضور، وقال: ألا يعلم هذا الشخص أن عروق بهاء ولد قد التفت حول التربة، وأن جسده المبارك مدفون في هذا المرقد؟ وفي الحال طرح الجواد ذلك الفارس أرضًا، وجَرَّه على الأرض إلى حد أن مزَّقه إربًا إربًا. حتى يفهم سفلة الطريق والمغرورون بالجاه، ويأخذون العبرة، ويخشون غيرة الأولياء، ولا يتطاولون عليهم أو يتجرأون مغرورين فرحين.

شعر (رمل)

كان كسوف الشمس بسبب الجسارة

وَرُدَّ الباب في وجه عزازيل بسبب الجرأة

رُوِيَ كذلك أن معاملة بهاء ولد مع مريديه كانت على النحو الآتي: لمَّا كانوا يدخلون خلوة الشيخ، كان يقول لهم: لا تنظروا إلى وجهي بعيون دَنِسة، واغسلوا عيونكم بقطرات العبرات، وبعد ذلك انظروا إلى وجوه رجال الحق، لعلكم تستطيعون رؤية تلك الأنوار الغيبية والعينية المتشعشعة.

وكان يخاطبهم كذلك قائلًا: احذر يا فلان أن تنظر إلى وجه شاهد

لأن زنى العيون النظر[1]، واترك صحبتنا.

وكان يقول لأحدهم: التهيت في الطفولة، فَطهِّر نفسك، لأن الله قدوس وطاهر، ويحب المتطهرين. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

شعر (رمل)

لا تلوِّث العين بالنظر إلى الخد والخال

فملك ملوك البقاء سوف يأتي

وإذا تلوثت، تغسلها بالدموع

لأن الدواء يكمن في ذلك الدمع

حكاية

روى علماء الأصحاب أن سلطان ولد قال: إن ملك المتألهين فقيهنا أحمد -رحمة الله عليه- انشغل بتحصيل علم الفقه لدى بهاء

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى، أدرك ذلك لا محالة، فزنى العين النظر، وزنى اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدِّق ذلك أو يكذِّبه.

الراوي: أبو هريرة

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٢٢.

ولد، وكان رجلًا تركيًا تقيًّا، كما كان مريدًا له أيضًا، وأصبح عالِمًا بلا نظير بنظرة واحدة من جدي.

واعترته حال، فرمى الكتاب من يده، واضطربت حاله، وسلك الطريق إلى الجبال، وغرق في بحر الحيرة والقدرة، وكان يطوف في الجبال سنوات طويلة، ويرتاض. وفي نهاية الأمر تمثل للفقيه النبيه سِر أويس القرني -رضي الله عنه- فصار مجذوبًا مسلوبًا تمامًا.

سألت جماعة بهاء ولد عن أحواله وجنونه، فقال: هناك قطرة من أرطالنا الثقيلة -تلك التي كان يَجُرُّها السيد العالم بالأسرار- قد بلغت هذا الرجل.

وقال أبي كذلك ذات يوم: كان سُكر الفقيه أحمد أثرًا لا غير من بحر سُكر مولانا شمس الدين التبريزي.

شعر (هزج)

أنت ثمل من الخمر وأنا ثمل من رائحتها

وآثار الخمر ليست قليلة في محفل كيقباد

ورد في الخبر أن الشيخ حجاج النساج -الذي كان قد بلغ مرتبة «لا يعرفهم غيري»- كان يعمل في نسج الثياب بعد وفاة بهاء ولد، ويشتري خبز الفقراء المتعفن، ويبلله في الماء، ويتناوله ليلًا. وما كان يحصل عليه من الكسب الحلال، كان ينفقه، وكلما كان يجمع مائتي درهم أو ثلاثمائة، كان يحضرها، وينثرها في نعل مولانا جلال الدين المبارك، وكان يواظب على هذا، ما دام كان باقيًا على قيد الحياة.

ولمَّا رحل عن العالم، أحضروا الغسَّال، حتى يغسِّله. فمدَّ الغسَّال يده حتى يرفع ستر العورة، ويُطَهِّرها. فقبض الحجاج يده بشدة إلى حد أنه فقد الصواب، وصاح بشدة. ومهما استجمع الأصحاب قواهم لم يستطيعوا تخليص يد الغسَّال من قبضته! أخبروا مولانا جلال الدين، فجاء، وتشفع له، وهمس في أذن الحجاج قائلًا: سامحه، إنه لم يعرفك، حَمِّلني وزره، فترك الحجاج يده في اللحظة نفسها. وبعد اليوم الثالث توفي الغسَّال أيضًا.

رُوِيَ كذلك: أن سلطان ولد قال ذات يوم: إن جدي بهاء ولد توفي في الخامسة والثمانين من عمره.

يقال: إن بهاء ولد كان يطوف حول المقابر دائمًا، ويدعو قائلًا: إلهي، اجعلني حسن الخلق صبورًا. وكان يقول: تنزهوا في المقابر نهارًا، وطالعوا كواكب السماء الثواقب ليلًا، فإن سنة رسولنا -عليه السلام- ووصيته هي أن تشاهدوا العجائب.

رُوِيَ كذلك: أنه لم يكن قد بقي في فم بهاء ولد سوى بضع أسنان معدودة بسبب شدة الرياضة والمجاهدة، وأنه لم يكن يفرغ لحظة من التهجد في الليل والاجتهاد في النهار. وسأله أصحاب الحال عن تلك الحال، فقال: إنه من أجل أولادنا وأصحابنا.

رأى عزيز طاهر القلب بهاء ولد في المنام ذات ليلة، وكان مفرقه المبارك قد لامس ساق العرش المجيد، وصار طويلًا للغاية، فسأله: بِمَ نلت ما نلت؟ قال: ببركة نَفَس ابني جلال الدين محمد اللطيف وسلوكه العظيم. وقد اشتاقت أرواح الأنبياء كلها، وملائكة السماوات، ونورانيو

العرش العظيم إلى جماله. ويثني على سلوكه جميع الأولياء الكُمَّل، وتتباهى روحي برَوْح تلك الحال، وتفتخر، وتزهو كذلك. وإذا لم يصبح العرش العظيم والكريم مانعًا لي، لكان طول قدي يتجاوز حد الخلاء، ويبلغ المنزل الذي تفقد المنازل مكانتها بسبب هيبته.

شعر (رمل)

قَدَرك هذا هو درس تلاميذنا

فأين الكر والفَرّ في ملحمتنا؟

أين ذلك المكان الذي لا سبيل لمكان إليه؟

وليس فيه سوى سنا برق الله الوَضَّاء

إنه بمنأى عن كل الأوهام والتصورات

إنه نور نور نور نور نور النور

المكتوب الذي كان بهاء ولد قد أرسله إلى الملك يغان تكن -رحمه الله- جد خوارزمشاه، متشفعًا للقاضي الرومي الذي كان قد حبسه:

بعد السلام والدعاء للملك الذي لا يُؤَثِّر سعد الأنجم ونحسها على مُلكه، إن أي عمل لا يكتمل سوى العمل الحسن، ولا ينبغي الميل إلى الغلبة والقوة، فالغلبة راسخة في حقيقة الدين والتقوى. ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(١).

---

(١) سورة الصف، جزء من الآية ٩.

إن القاضي إمام الرومي لم يتحلَّ بالمعروف فحسب، بل اتسم بالديانة والصلاح، وربط السعادة بالمعاونة على البر والتقوى. ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(١). والسلام على من اتبع الهدى. فأعَزَّه الملك وبَجَّله في اللحظة نفسها.

هناك مكتوب آخر أرسله إلى خوارزمشاه من أجل مظلوم، فحواه: الشكر لصاحب الجاه الذي هو مرجع المظلومين، ودافع الظلم عن المقهورين، لا سيما أصحاب التصوف وأرباب الخير، عريق الأصل الذي حظي بتربية السلاطين الحاليين -تغمدهم الله بغفرانه، وذكرهم الجميل بالنصر رائج في ذلك المكان، حمدًا لله تعالى أن تلك السدة المنيعة والجناب الرفيع -زاده الله رفعة- مُتحَلٍّ بتلك الحلية، وقد ورد في المثال الكريم أن المتغلب يبدو ملكًا في الامتثال، فلْيصَّدق عليه، حتى لا يصبح بلا فائدة والسلام.

حكاية

يُروى أن الأمير بدر الدين جوهر تاش، المعروف بدزدار، الذي كان غلام السلطان علاء الدين كيقباد، كان رجلًا عظيمًا وقائدًا وثريًّا وصاحب خيرات وأستاذ القصر الخاص. وقد كان سبب اعتقاده وإرادته أن بهاء ولد كان يعظ في مسجد السلطان ذات يوم، وكان جميع العلماء والفقراء والأمراء والسلطان حاضرين. وكان بهاء ولد يذكر سبب نزول كل آية، ويشرحها، ويفسر أسرار الكلمات المختلفة جميعها، ويسترسل في الكلام.

---

(١) سورة المائدة، جزء من الآية ٢.

ربما جال بخاطر بدر الدين جوهر تاش: ما أطيب ذهنه الصافي، واستحضاره العظيم للمعلومات، واطلاعه الواسع، حتى إنه يوضِّح كل هذه الأقاويل والأمثال! وليس هذا في مقدور أي مفسر أو واعظ. فأشار بهاء ولد على المنبر قائلًا: اقرأ عُشرًا يا أمير بدر الدين، فبدأ في قراءة سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] بغتة من غاية الدهشة والهيبة من السلطان. فقال له: استمع إذن، وكان يفسر كلمة «قد» ويشرح معانيها أيام جُمَع عديدة من دون استحضار أو اطلاع واسع. فعلا ضجيج الخلق، وفي الحال أعرب بدر الدين جوهر تاش عما جال بخاطره للسلطان، ونزل، وقبَّل المنبر، وأصبح خادمًا ومريدًا له.

قال له بهاء ولد: شَيِّد مدرسة من أجل أبنائي؛ امتنانًا لهذه الحال. وحدث أن بنى مدرسة خداوندجار، وأوقف عليها الأوقاف، وبقي في قند الحياة ما دام كان باقيًا على قيد الحياة، وكان قد أوقف نفسه تمامًا على خدمة أسرته.

حكاية

رُوِيَ كذلك: أن خليفة بغداد كان قد أرسل الشيخ شهاب الدين السهروردي -رحمة الله عليه- برسالة إلى السلطان علاء الدين كيقباد.

ولمَّا وصل إلى قونية، كان السلطان قد ذهب للتنزه في قلعة «جواله» واصطحب معه مولانا بهاء ولد. فأمر السلطان بأن يحضروا الشيخ أيضًا

(١) سورة المؤمنون، آية ١.

إلى القلعة. وأكرم بهاء ولد وفادة الشيخ بعد تبليغه رسالة الخليفة، لأنه كان قد أدى خدمات تفوق الحد في بغداد. وكان يقول له: السهروردية عُتقاء، وهم الأقارب المقربون لنا.

وفي الليلة نفسها رأى سلطان الإسلام منامًا عجيبًا، ونهض متحيرًا، وحكى المنام لبهاء ولد والشيخ، وقال: إنني أرى في المنام أن رأسي قد أصبح من الذهب، وأن صدري صار فضة خالصة، وقد استحال جسدي من السُّرَّة إلى أسفله نحاسًا، وأن فخذَي من الصُّلب، وقد صارت قدماي من البَرَد.

عجز جميع المفسرين المعتبرين عن تفسير هذا المنام. كما أن الشيخ شهاب الدين أحال تفسيره إلى بهاء ولد، ولم يتحدث قَط.

قال سلطان العلماء بهاء ولد: إن أهل العالم سيبقون مطمئنين أصفياء رفيعي الشأن مثل الذهب ما دمت باقيًا في العالم. وبعد انتقالك يكون زمان ابنك بمنزلة الفضة بالنسبة إلى زمانك، بعد ذلك يكون بمرتبة النحاس في عهد ابن ابنك، ويسود الخلق قليلو الهمة كثيرو النهمة. ولمَّا تصل سلطنة المملكة إلى النسل الثالث، يضطرب العالم، ولا يبقى صفاء ووفاء وشفقة بين الخلق. ولمَّا تصل نوبة السلطنة إلى النسلين الرابع والخامس، تصير ممالك الروم كلها خرابًا يبابًا، ويستولي أهل الفساد السفلة الأشرار على جميع الديار والبلاد، ويزول آل سلجوق، ولا يبقى نظام في العالم أصلًا، ويصبح الصغار الوضعاء كبارًا، وتقع الأشغال الخطيرة في يد السفلة الحقراء، كما قال سلطاننا: إذا وسد الأمر إلى غير

أهله فانتظر الساعة[1]. ويخرج الخوارج في كل مكان، ويُخَرِّب استيلاء المغول مملكة العالم، ولا يبقى أثر لعلماء الدين والشيوخ المتمكنين، وتنقطع البركات عن وجه الأرض، ويبحث الخلائق عن القيامة الكبرى بالقناديل.

بكى سلطان الإسلام علاء الدين كيقباد والحاضرون، وتضرعوا، وفي ذلك اليوم منح سلطان الإسلام بهاء ولد والشيخ الصلات العظيمة الثمينة، وأمر بجزل العطايا لسائر العلماء والفقراء، ودعا الله كثيرًا. وعلى هذا النحو تغيرت الحال كما كان بهاء الدين قد فسرها، وبيَّنها.

شعر (رمل)

كل شيء يشاهده الشاب في المرآة

يشاهد الشيخ أكثر منه في الآجُر

ذات يوم قال سلطان ولد كذلك: إن جدي بهاء ولد كان قويًّا جسيم

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** بينما النبي -صلى الله عليه وسلم- في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يُحَدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكَرِه ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: أين -أراه- السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: فإذا ضُيِّعت الأمانة، فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة.

الراوي: أبو هريرة

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

البدن ضخم الهيكل. ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[1]، كانت صفة ذاته. وكانت عظامه كبيرة للغاية، حتى إنه ضرب ثلاثة جَمَّالين واحدًا تلو الآخر في طريق بغداد، وأهلكهم، فتابوا، وأذعنوا له. ولمَّا كان يركب الجواد في الغزو، يكون حيدرًا كَرَّارًا في صف الهيجاء.

قال سطان ولد كذلك: إنهم حكوا في حضرة أبي ذات يوم أن فلانًا يطعن في القرآن. فقال: إنه يتحدث بالسوء، ويلقي الكلام جزافًا. ولا يجوز هذا، لا يجوز. فلو أنه مريد أبي بهاء ولد، فإن مولانا بهاء الدين ولد انشغل بقراءة القرآن وتفسيره، وبالصلاة والتضرع حتى آخر عمره، وفي ذلك الوقت الذي كان يقرأ فيه القرآن، كان يكرر كل كلمة خمس مرات أو ست، كما أنه كان يردد: الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله. وفي أثناء تلك الحال كان نور عظيم يسطع من جسده المبارك، ويتصل بالملأ الأعلى.

ورُوِيَ عن سلطان ولد أيضًا أن مولانا بهاء ولد قال يومًا: أريد أن أرى جمال شيث -عليه السلام، فلأذهب إلى حضرة الله إذن حيث سوف يجتمع الجميع، وأشاهد جمال شيث والأنبياء جميعهم -عليهم السلام.

وقال سلطان ولد: لمَّا أنظر إلى تربة جدي وأبي، أرى نورين عظيمين يتصاعدان فوق التربتين كلتيهما، ويجولان حتى يصلا إلى عنان السماء، وبعد برهة يصبح النوران كلاهما نورًا واحدًا؛ أي إنها إشارة إلى أن كلينا شخص واحد ونور واحد.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٤٧.

شعر (رمل)

لمَّا ترى صاحبين منهم مجتمعين

فهما صاحب واحد، وستمائة ألف صاحب أيضًا

قال سلطان ولد كذلك: إن أبي قال عند رحيله: اعلم يا بهاء الدين، وأدرِك، أننا وجملة المريدين سوف نستظل بظل مولانا بهاء ولد يوم القيامة، وجميعنا سوف نلحق بالحق بسببه، وسوف يرحم الله تعالى الجميع من أجل خاطره.

رُوِيَ أن العارف الرباني، الواقف على أسرار المعاني خواجكَي كَهواره كَر «خواججي جهواره جر» كان من مريدي مولانا بهاء ولد -رضي الله عنه- الواصلين، وسأل الشيخ يومًا: كيف تصير حال من يشرب الخمر؟ فقال الشيخ: يصير كلبًا، يصير خنزيرًا، يصير قردًا.

روى خواججي تلك الحكاية للسيد برهان الدين، فقال: أفتى شيخي بأن كل من يصير هكذا، يكون حرامًا عليه. ولو تصير هكذا، لا تشرب الخمر، ولولا تصير، لا تكن ذلك.

شعر (رمل)

اللقمة والنكتة حلال على الكامل

وأنت لست كاملًا، فلا تأكل، واخرس

رُوِيَ كذلك أن بهاء ولد لمَّا انتقل من عالم الملك إلى ملكوت السماوات، كان مولانا جلال الدين في الرابعة والعشرين من عمره،

وقد تزوج في السابعة عشرة من عمره، وكان يقول مرارًا في مجمع الأصحاب: إذا كان مولانا بهاء ولد يُعَمِّر سنوات طويلة، لكنتُ محتاجًا إلى شمس الدين التبريزي،، لأنه لا بد لكل نبي من أبي بكر، والحواريون يليقون بعيسى.

شعر (رمل)

أظهر كل نبي معجزة في هذا الطريق القويم
وطلب الأصحاب

حكاية

رُوِيَ أنه بعد وفاة بهاء ولد -رضي الله عنه- بفترة وجيزة، وصل خبر وصول جلال الدين خوارزمشاه إلى السلطان علاء الدين. فزار تربة الشيخ، وقَبَّلَها، وتضرع، وطلب العون والهمة. وتم الاستعداد لاستقباله.

ولمَّا وصل الجيش الخوارزمي إلى حدود أرزن الروم، أخبر جواسيسُ الملك سلطانَ الإسلام بانتصار جيشه. فانتاب جيش الروم وهم عظيم. وفكر السلطان في كيفية إدراك حاله وعقيدته، حتى يستعد على هذا المنوال.

ذات ليلة بَدَّل ثيابه، واختار بعض الجياد سريعة العدو غير الموسومة، والتحق مع بعض الأتراك بجيش الخوارزميين عن طريق الجبل. استفسر الأمراء الخوارزميون عن أحوالهم، فقالوا: نحن من أتراك هذه الديار؛ ونقيم في أنحاء جبال أرزن الروم، وكان أجدادنا من نهر آموية. وقد

أهملَنا السلطان كيقباد خلال هذه السنوات العديدة، وضَيَّق علينا. وكُنَّا دائمًا في انتظار مقدم العساكر الخوارزميين المنصورين، لعلنا نتخلص من ظلمه، لمَّا بلغت هذه القضية مسامع السلطان، سُرَّ للغاية واستبشر، وأمر فمدوا مائدة خاصة، وجلس الأمراء والوزراء والخواص وأركان الدولة كل في مكانه، وأعدوا دستور السلطنة، وأحضروهم، فَقَبَّلوا أرض الملك، وطالعوا نظامه ودستوره بالتمام والكمال، واستعرضوا الخيل.

أكرم السلطان وفادتهم، وخلع عليهم الخلع، ووعدهم وعدًا جميلًا، ونصبوا خيمة معينة، وأعدوا العلف. وفي منتصف الليل جال بخاطر خوارزمشاه أن في كل مكان مررنا عليه في ممالك علاء الدين، كان الرعايا يشكرون فيه، فما معنى أن شكا بضعة الأتراك هؤلاء منه؟ ويذيع أن السلطان علاء الدين قد وصل إلى هذه الأنحاء، وهو عيار ماهر ومراوغ. ربما كان هؤلاء الأتراك جواسيسه -لا قدر الله. والأفضل من هذا ينبغي تقصي الحال. والحزم سوء الظن.

استدعى خوارزمشاه الملك مغيث الدين[1]، الذي كان ملك أرزن الروم، في الحال، وتشاور معه، وقال: نبحث الأمر غدًا.

وفي الليلة نفسها رأى السلطان علاء الدين في المنام أن بهاء ولد كان يأتي، ويقول له: انهض، واركب الجوادِ، فأي مجال للنوم؟ ولما استيقظ، فكر، وقال: نتنزه غدًا، ثم نمضي. واستغرق في النوم مرة

(١) الملك مغيث الدين بن قلج أرسلان الثاني (حكم من ٥٥١ هـ - ٥٨٨ هـ).
انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٥٠.

أخرى، فرأى مولانا بهاء ولد وقد ضرب بالعصا على سرير السلطان، واعتلى السرير، وضربه على صدره قائلًا: لماذا نمت؟ فاستيقظ من شدة الهيبة، وسرت في جسده رعشة شديدة، وأيقظ الأصحاب في منتصف الليل، وأسرج الجياد، ووضع السرج بيده على جواده، ومضوا.

لمَّا حَلَّ آخر الليل، أمر خوارزمشاه بأن يترصد بعض الأمراء المعتبرين أنحاء خيمتهم قائلًا: سوف نتقصى أحوالهم اليوم. وفي الصباح تجسسوا، ولم يجدوا لهم أثرًا، لأنهم كانوا قد ذهبوا جميعًا. وأخبروا السلطان، فأرسل ألفين أو ثلاثة آلاف فارس شجاع في إثرهم، وتعقبهم هو أيضًا بنفسه.

لمَّا شاهد السلطان علاء الدين غبار جيش تصاعد خلفهم، أرخى العنان، والتحق بجيشه. وعاد الخوارزميون خائبين خاسرين. عَضَّدَ السلطان علاء الدين جيشه، ومنحه أموالًا وفيرة، ووهبه خزائن كثيرة. وقال: إننا مؤيدون وغالبون بعناية الحق وهمة بهاء ولد. واستقر جيشه في ياسي جمن التابعة لأرزنجان، وحاربوا أيامًا عديدة. وفي اليوم الخامس هبت ريح السعادة والظفر بغتة من مهب أنفاس أولياء الله تعالى، وتناثر الغبار والتراب من ناحية جيش الروم على ناحية الجيش الخوارزمي، وقال السلطان، بموجب إشارة ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١): شاهت الوجوه. وأثَّر في قلوبهم خوف الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين. وعلت رايات السلطان بآيات سبحان، وانتصر. واقترن وفود جنوده بالظفر والنصر وحسن الحظ، حتى يصير

---

(١) سورة الأنفال، جزء من الآية ١٧.

معلومًا للعالمين علم اليقين أن مثل هذا الجيش ذي الهيبة والأهبة صار مخذولًا ومقهورًا بيُمن همة قطب الوقت ذلك. والحقيقة هي أن عناية هذه الطائفة سوف تكون سبب السعادة الأبدية والنجاح والنجاة السرمدية في الدين والدنيا. وكان السلطان علاء الدين يطلب المدد من روضة شيخه في كل مهمة يقدم عليها، وكان يعود منها مظفرًا ومؤيدًا.

رُوِيَ كذلك أن بهاء ولد قال: إنني مغير في ميدان المعنى ما دمت حيًّا، ولا يبدو شخص مثلي. فابقَ أنت حتى أعبر، فترى كيف يصبح ابني جلال الدين محمد، إنه سوف يخلفني، وسيصبح أعلى شأنًا مني!

قال السيد -رضي الله عنه: إنني رأيت في المنام هذه الليلة أن بابًا من تربة شيخي بهاء الدين ولد -قدس الله روحه- قد انفتح، وخرج منه نور عظيم، ووصل إلى دارنا، ودخل الدار، ولم يحجبه أي جدار، أو يمنعه، ولم يستطع أي جدار بسط ظله عليه.

ولمَّا دخل ذلك النور دارنا، نهضتُ من النوم، وكنت أقول: لا إله إلا الله، من هيبة ذلك النور وبهجته. وكان ذلك النور يزداد، حتى عَمَّ المدينة كلها، وكان يزداد حتى صار محيطًا، وشمل العالم. بعد ذلك فقدت الصواب، ولم أعلم كيف أصبحت. وتفسيره هو أن أسرار هذه الأسرة المفعمة بالأنوار سوف تشمل العالم، وسوف يصبح أهل العالم مريدين ومحبين لها.

شعر (رمل)

شمل نور الرجال المشرق والمغرب

وسجدت له السماوات بسبب الدهشة

رُوِيَ كذلك أن عالمًا كان قد وقف للصلاة في المسجد الجامع، وكان يضع رداءه على كتفه، ولم يكن يخرج يده من كمه، وكان يصلي.

فقال له بهاء ولد: أخرِج يدك من كمك، وعندئذ صلِّ، حتى يتحقق الحضور. فانشغل الرجل بالإجابة بسبب السفاهة والجهل، متطلعًا لما سوف يحدث. قال بهاء ولد: سوف ينقطع نفَسَك، وتطيع الأمر. فسقط الرجل في الحال، ومات. فضجَّ الناس. ويقال إن عدة آلاف من العلماء والفقراء والأمراء التحقوا بإرادته في ذلك اليوم في إخلاص تام. وآمنوا بكرامات الأولياء التي هي تِلْو معجزات الأنبياء، وتاب الكثيرون.

حكاية

رووا أنه كانت هناك حظيرة صغيرة قبل إنشاء ربض قونية محل المرقد الذي رقد فيه بهاء ولد. وقد ركب بغلًا ذات يوم ووصل إلى ذلك المكان، وتوقف برهة، وأشار إليه قائلًا: إن هذا المكان نفسه سوف يكون قبري أنا وأبنائي وأعقابي وأحفادي.

ولمَّا انتهى السلطان علاء الدين -رحمه الله- من إنشاء قلعة المدينة، تضرع إلى بهاء ولد، وطلب منه الطواف حول القلعة مرة، والتنزه فيها. فقال له مولانا: إنك أرسيتَ أساسًا حسنًا لدفع السيل ومنع

الخيل، وأنشأتَ قلعة حصينة، لكن ماذا تستطيع أن تفعل أمام سهم دعاء المظلومين الذي يتجاوز مائة ألف برج وبَدَن، ويخرب العالم؟ فاجتهِد بالله عليك، وجاهِد حتى تشيد قلعة الإحسان والعدل، وتحصل على جيش من أدعية الخير الذي هو أفضل لك من آلاف القلاع الحصينة. وفي ذلك أمن العالم وأمان الخلق.

وقد جعل السلطان علاء الدين إشارة تلك الحضرة آلته وعدته بصدق تام، واجتهد في نشر العدل والحسنات حتى مماته، وحظي بالسعادة.

شعر (منسرج)

هلك قارون الذي امتلك أربعين كنزًا

ولم يمت أنوشيروان لأنه ترك السيرة الحسنة

رُوِيَ كذلك أن كيقباد كان قد جاء لزيارة مولانا ذات يوم. فمَدَّ مولانا عصاه المباركة بدلًا من يده. فحيَّاه السلطان، وقَبَّلَه. لكن جال بخاطره: ما أعجبه من عالم متكبر! فقال مولانا في الحال: إن ذلك التملق والتواضع يفعله العلماء المتسولون، لا سلاطين الدين الذين تمسكوا بالأصل، واشتغلوا به.

الفصل الثاني

في مناقب السيد المطَّلع على السِّرّ برهان الحق والدين الحسين الترمذي -روح الله روحه العزيز

هكذا أخبر رواة الأخبار الذين كانوا أخيار أصحاب الأخبار -نور الله أضرحتهم- أن السيد اشتهر في ملك خراسان وترمذ وبخارى وغيرها، وأنهم كانوا يطلقون عليه: «السيد المطلع على السِّرّ»، وأنه كان يتحدث دائمًا عن المضمرات والغيبيات السفلية والعلوية.

وفي ذلك الوقت الذي هاجر فيه بهاء ولد من ديار بلخ، كان السيد المطلع على السِّرّ قد ذهب إلى مدينة ترمذ، واعتزل فيها. وبعد مرور الأيام انشغل بالحديث عن المعرفة يومًا، وفي ظهيرة يوم الجمعة، الثامن عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة، صاح صيحة عظيمة، وبكى كثيرًا، وقال: يا للحسرة، لقد رحل شيخي عن عالم التراب إلى العالم الطاهر. فسجل الجماعة الذين حضروا في ذلك الوقت تاريخ اليوم والسنة في الحال. وبعد أن وصل إلى مُلك الروم، حدث ما كان قد قاله.

وأدى صلاة الجنازة، وأقام مراسم العزاء، وكان أكابر تلك الديار كافة يقيمون الحداد أربعين يومًا كاملة. وقال بعد مراسم اليوم الأربعين: إن ابن

شيخي جلال الدين محمد بعيد عني، وهو ينتظرني. وفرضُ عينٍ عليَّ أن أذهب إلى ديار الروم، وأُعَفِّر وجهي بتراب قدمه، وألزم خدمته. وقد عهد شيخي لي بهذه الأمانة، وأنا أطيعه. وحزن شيوخ ترمذ لفراق السيد.

سلك السيد الطريق مع بعض الرفاق، وكان يجوب المنخفضات والمرتفعات، ولمَّا وصل إلى دار الملك قونية، كان قد مَرَّ عام. وربما كان جلال الدين قد ذهب إلى مدينة لارندة في تلك الأثناء.

اعتكف السيد بضعة أشهر في مسجد سنجاري. وأرسل مكتوبًا إلى مولانا يتضمن أنواع الحِكَم مع درويش خادم، فحواه: أن يعقد العزم، ويدرك هذا الغريب المضطرب في مقبرة أبيه، لأن مدينة لارندة ليست مكان الإقامة والسكن. وسوف تندلع النار من ذلك الجبل في قونية. ولَمَّا قرأ مولانا مكتوب السيد، أشفق عليه بشدة، ثم سعد، ومسح عينيه بالمكتوب، وقبَّله، وأنشد:

شعر (مجتث)

ينبغي أن تمر ألف سنة

حتى يزهر غصن السعادة وردة مثلك في بستان الفضل

لا يوجد مثلك في أي قران وفي أي قرن

وقد يبدو في العالم شخص مثلك عند الضرورة

عاد مولانا جلال الدين بسرعة، ولمَّا وصل إلى المدينة، نهض في عجلة تامة، وذهب لزيارة السيد. فخرج السيد من باب المسجد مسرعًا، واحتضن أحدهما الآخر.

شعر (رمل)

تآلف البحران كلاهمـــا

والتحمت الروحان من دون لاحم

وفقد كلاهما الصواب. وعلا ضجيج الأصحاب. بعد ذلك أجابه السيد إجابات مختلفة عن كل علم استفسر عنه.

نهض السيد، وأخذ يُقَبِّل الأرض تحت قدم مولانا جلال الدين، وأثنى عليه كثيرًا، وقال: لقد تجاوزتَ أباك بمائة درجة في العلوم الدينية واليقينية جميعها. لكن أباك بلغ الكمال في علم القال، وأدرك الغاية في علم الحال. وأنا أريد منك بعد اليوم أن تنشغل بعلم الحال. وهو علم الأنبياء والأولياء، ويطلقون عليه «العلم اللدني». وآتيناه من لدنا علمًا، تصدق عليه. وقد تعلمت ذلك العلم من شيخي، وتلقاه أنت أيضًا مني، حتى ترث أباك في جميع الأحوال ظاهرًا وباطنًا، وتصبح هو بعينه. فأطاعه في كل ما أشار به عليه. وجاء بالسيد إلى مدرسته، والتحق بخدمته تسع سنوات بالتمام.

يقول البعض: إنه صار مريد السيد في تلك الوهلة. ويقول البعض: إنه كان قد التحق بإرادته في بلخ في عهد أبيه بهاء ولد. وكان السيد يحمله على كتفه -وفقًا لعادة الخدم والأتابكة- في أغلب الأوقات، ويتجول به.

حكاية

رُوِيَ أن خليفة الحق شلبي حسام الدين -قدس الله سره- حكى عن لسان مولانا جلال الدين كذلك: أن سيدنا وصل إلى مدينة تُدعى بيابانك في مُلك خراسان[1]، فاستقبله جميع أكابرها وصدورها، وعَزَّزوه، وبَجَّلوه. وكان شيخ الإسلام رجلًا مشهورًا في تلك القصبة. وبسبب الخيلاء والتكبر لم يأتِ الرجل ذو الفنون والمتبحر لاستقباله، ولم يهتم به.

نهض السيد من دون تردد، وذهب للقاء شيخ الإسلام. فأخبروا شيخ الإسلام بأن السيد على الباب. أسرع شيخ الإسلام من على السجادة حافي القدم إلى باب الخانقاه، وقَبَّلَ يد السيد، وكان يعتذر.

قال له السيد: إنك سوف تحتاج إلى الحمَّام في العاشر من شهر رمضان، وسيخرج الملاحدة إلى طريق الحمَّام، ويقتلونك. وقد أخبرتك، حتى لا تغفل. وكانت هذه الإشارة في العشر الأواخر من شعبان.

صاح شيخ الإسلام، وصرخ، وعَرَّى رأسه، وتوسل إلى السيد. قال

---

(١) **خراسان:** يشمل إقليم خراسان الإسلامي شمال غرب أفغانستان، وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة إلى مقاطعة خراسان في إيران. ومن مدنه التاريخية: حيرات ونيسابور وطوس (مشهد اليوم) وبلخ ومرو.
ar.wikipedia.org

السيد: لا، لا. ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[١]. بلى، إنك تؤمن بسبب هذا الابتهال والتضرع الذي أبديته، ولا تحرم من لقاء الباري مرة.

وفي العاشر من شهر رمضان قتله الملحدون، كما كان قد قال.

حكاية

روى إخوان الصفا وخلان الوفا كذلك أن السيد استأذن مولانا جلال الدين بعد صحبة طويلة في أن يذهب إلى القيصرية[٢]، ويقيم هناك مدة. ولم يكن مولانا يرغب في أن يرحل السيد عن قونية. وكانت هذه الفكرة تلح على خاطر السيد في كل وقت، لكنه لم يجد الفرصة، حتى يرحل.

ذات يوم ركَّبَت مجموعة من الأصحاب الملازمين لمولانا السيد بغلًا، وذهبوا للتنزه في البساتين. وفي ذلك الوقت جال بخاطر السيد خيال القيصرية، وانفصل عنهم. فقفز البغل في الحال، وأطاح بالسيد، وانكسرت قدمه المباركة داخل النعل، فتأوه آهة، وفقد الصواب.

أمسك الأصحاب بالبغل، ورَكَّبوا السيد مرة أخرى، وحملوه إلى بستان همام الدين أسفهسالار. ولم يتحدث السيد قَط عن كيفية الحال. ولمَّا خلع الأصحاب النعل، كانت أصابعه قد اهترأت. فبكى مولانا جلال الدين والأصحاب، وتألموا.

قال السيد: ما أعجب المريد الذي يكسر قدم الشيخ! لكن مولانا

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢١٠.

(٢) **قيصرية**: مدينة قيصرية هي عاصمة محافظة قيصرية في تركيا، ويبلغ تعداد سكانها ٥٣٦,٣٩٢ نسمة.

ar.wikipedia.org

جلال الدين وضع يده المباركة على ذلك الموضع، وقال شيئًا، فاندمل ذلك الجرح في الحال، وصحَّ. ثم سافر السيد بإذن جلال الدين إلى دار الفتح القيصرية، لأن السيد كان يحب مدينة القيصرية حبًّا شديدًا، وكان يذهب إلى جبل علي -رضي الله عنه، ويعكف على المناجاة أيامًا وليالي.

يقال: إن الدستور الأعظم شمس الدين الأصفهاني -طيب الله ثراه- كان حاكم المدينة في ذلك الوقت، والتحق بإرادة السيد وكان يؤدي الخدمات المختلفة. وأصبح خادمه ومريده في آخر الأمر، وكان موضع عنايته.

رُوِيَ كذلك: أنهم كانوا قد نَصَّبوا السيَد إمامًا في مسجد في القيصرية، فكان يقضي يومًا كاملًا في قيام الصلاة بسبب شدة استغراقه، وهكذا كان يفعل في الركوع والسجود. وكان بعض الجماعة يعجزون عن ذلك، فاعتذر للجماعة يومًا قائلًا: لديَّ عذر، ويغلبني جنون طول الوقت، ولا تليق الإمامة بي، فاعذروني، وابحثوا عن إمام عاقل. فصاح الجمع قائلين: إن ركعة صلاة لنا خلفك تساوي ألف ركعة، ونحن راضون بذلك الجنون. ثم تخلى عن الإمامة في عاقبة الأمر.

رُوِيَ كذلك: أن السيد بعد أن أصبح مريدًا لبهاء ولد، كان يتجه نحو الصحراء كالمجنون زمنًا، ويصيبه الاضطراب والتشتت بسبب غلبات أنوار التجليات وتواتر الحالات. وبلغت رياضته الحد الذي كان يطوف فيه في الغابات والجبال اثني عشر عامًا حاسر الرأس حافي القدم. وكان لديه كيس، ملأه بدقيق الشعير، وكان يصنع الرشيدية مرة كل عشرة أيام

بثلاث حبوب، ويتناولها، حتى إن أسنانه كانت قد تساقطت جميعها من شدة الجوع. فهتف به هاتف من عالم الغيب بغتة في وقت السحر قائلًا: اترك الرياضة بعد اليوم، ولا تشق على نفسك مرة أخرى. فأجاب السيد: بالله الذي بعث نبيًّا محمدًا على الأسود والأحمر، لا أكف عن المجاهدة، ما لا أشاهده عيانًا. وكل شيء كان يريده، كان يتيسر له من قِبل حضرة العزة، وانشغل بحال الباطن فارغ البال -بعد كمال الولاية والمكاشفات اللا نهائية- حتى نهاية أيام العمر العزيز.

حكاية

هكذا روى كرام الأصحاب أنه بعد سقوط بغداد ومقتل الخليفة، كان شيخ من أبناء المشايخ قد جاء بصحبة جماعة إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن السلطان علاء الدين برسالة، لطلب الضرائب وأموال الروم وأداء الخراج، في سنة ست وثلاثين وستمائة (هجرية).

ولمَّا وصل ابن الشيخ إلى القيصرية، استقبله الصاحب الأصفهاني الذي كان وزير السلطان، وأنزلوه في خانقاه، قال ابن الشيخ: لِنَزُر السيد برهان الدين. دخل الصاحب شمس الدين بيشترك على السيد برهان الدين، فوجده وقد سكن في صومعته، ومَدَّ رجليه خارج الباب، وكانت الصومعة ضيقة إلى حد أنها لم تكن تسع جسده المبارك.

طأطأ الصاحب رأسه من بعيد، وقال: إن شيخًا وملكًا من أبناء مشايخ بغداد يأتي لزيارة السيد، فصاح السيد برهان الدين قائلًا: اسكت، أنا ملك وهو ملك! فلو أن هناك مَلَكًا غيري، أحضِره، حتى أقطع رقبته.

اضطرب الصاحب بسبب الهيبة من السيد. وجاء الشيخ، وطأطأ رأسه، وقَبَّل يد السيد، وكان يمسح بها على وجهه. قال السيد: قل «إن فقيرًا محتاجًا صادقًا يأتي، حتى يحظى بعناية رجال الحق». وتمضي فترة وجيزة فيشعر هذا الدرويش الغريب بالعجز، وينثر الشيخ الدنانير على قدم السيد. وأمر السيد، فاغتنمها مساكين المدينة.

رُوِيَ عن مولانا جلال الدين كذلك أنه قال: كان السيد برهان الدين يقيم في حجرة في مدرستنا، وكان البارئ تعالى يتجلى على السيد ثمانين مرة في ليلة. وفي كل مرة كان السيد يصيح، ويناجي.

وذات يوم كان يخرج من المدرسة، وكان يمضي مسرعًا وهو في غاية الاضطراب، ويبسط طرف فرجيته، وكنت أنا أتعقبه، لأرى إلى أين يذهب. فجأة مَثُل عاقل أمام السيد وقال: انتبه أيها الدرويش، ولملم طرف فرجيتك. فقال له: إنني لا أنشغل بذلك، أصلِح أنت لسانك. وفي الحال شُلَّ لسان ذلك الشخص الطنَّاز، فجثا على قدم السيد مستغيثًا. وفي اللحظة نفسها صحَّ لسانه.

يقولون: إن الأصحاب لما كانوا يشتهون الطرشي، كان يقول لهم: إن مخلل اللفت مفيد، وإنه أفضل المخللات، وإنَّ تناول اللفت الطازج يقوِّي البصر. ذلك لأن السيد برهان الدين كان بارعًا في العلوم الطبية والحكمة الإلهية، وكل شيء كان يقوله، كان يبدو له من عالم الغيب في الحال.

كان الصاحب الأصفهاني قد جاء لزيارة السيد برهان الدين ذات يوم، فأعلن الخادم أن الوزير قد جاء لزيارة الشيخ. فخرج السيد، وجلس على الأرض أمام باب الحجرة. وجلس الصاحب والأمراء على

الأرض. واستغرق السيد في الحديث عن المعارف والأسرار إلى حد أن فقد الصاحب الصواب.

واحتشد جمع عظيم أمام حجرة السيد. ولمَّا انتهى من الحديث عن المعارف، قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1]. ثم نهض، ودخل البيت، وأحكم غلق الباب. فتصدق الصاحب شمس الدين -وهو في غاية السعادة- بالدنانير على الفقراء؛ امتنانًا، ومضى باكيًا متأوهًا.

روى الأصحاب القدماء كذلك عن مولانا -رضي الله عنه- أنه قال يومًا: كان شيخي السيد برهان الدين محقق يقول في كل وقت: «هناك لقمة في معدتي منذ ما يقرب من سبعة أعوام أو ثمانية، ولم تهضم». وكانت تلك الحال تبدو عجيبة لي، وكنتُ أبقى حائرًا. والعليم ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾[2].

«والآن منذ ما يقرب من ثلاثين سنة لم تبقَ لقمة في معدتي ليلة». وكان يريق قدرًا من الماء من أجل دفع ظنون الخلق، والتعلق بالطبع البشري، وبمقتضى فبال وتوضأ[3]. وصفة عظمة البشر نفسها -سر

---

(١) سورة يوسف، جزء من الآية ٩٢.

(٢) سورة غافر، آية ١٩.

(٣) **إشارة إلى الحديث:** عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما، قال: كنت مع النبي -صلي الله عليه وسلم، فبال، وتوضأ، ومسح على خفيه.

صحيح، متفق عليه.

موسوعة الأحاديث النبوية hadeethenc.com

﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[1]- بعيدة عن الأفهام والأوهام البشرية.

يقولون: إن رجلًا عجوزًا دَلَّك السيد برهان الدين في الحمَّام، وبالغ في خدمته، فكان السيد يعجب بخدمته وتودده له، ويريد أن يعتني بأمره. وبمجرد أن انشغل ذلك العجوز برجل آخر، أخذ يُظهِر له التودد والتملق أيضًا. فقال السيد: لقد كان هذا الرجيل ليف الحمَّام وجاروف السقاية، ووضع درهمًا في يده، وخرج.

حكاية

روى أعزة الأصحاب أن سيدة جليلة -كانت آسيا زمانها- كانت قد التحقت بإرادة السيد برهان الدين. وذات يوم سألته على سبيل المطايبة: ما معنى أنك لا تصوم في هذا الوقت المتأخر من العمر؟ ولماذا تفوتك أغلب الصلوات؟ وكنتَ قد بلغتَ الكمال في شبابك في المجاهدة والرياضة! فقال: أيتها الابنة، إننا نتحمل المشاق مثل الجِمَال، وقد حملنا الأحمال الثقيلة، وكابدنا شدائد الزمان العسيرة، وسلكنا الطرق النائية الطويلة، وطوينا المنازل والمراحل التي لا حد لها، وجززنا صوف الوجود ووبره، وأصابنا الهزال والنحافة والإخفاق، وأنهكتنا الأعباء الثقيلة، من ثم أطعمونا الشعير عدة أيام، ولمَّا نسمن نصبح الأضحية في عيد وِصَال السلطان، لأنهم لا يستخدمون الأضحية الهزيلة في مطبخ السلطان، ويكون السمين للسمين دائمًا.

---

(١) سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

شعر (رمل)

اعلم أن بِقرة موسى وهبتني الحياة

وأن حشر كل طاهر هو حشر جزء من أجزائي

لو تنام البقرة ولو تعلف شيئًا

فإنه يربيها من أجل العيد والذبح

رُوِيَ كذلك: أن الشيخ صلاح الدين -نور الله ضريحه- الذي كان من جملة مريدي السيد برهان الدين، حكى في أول الحال: أن السيد كان يوصي الأصحاب دائمًا قائلًا: إذا لم تستطيعوا أداء أي طاعة أو عبادة، أستحلفكم بالله لا تهملوا الصوم، واحرصوا دائمًا على تجويع البطن، والتوجع من الألم، فليست هناك طاعة أفضل من الصوم، وخلاء البطن معول ينابيع الحكمة. وقد فاضت ينابيع الحكمة من باطن الأنبياء والأولياء الفاطن ببركة الجوع والصوم، لكن بالتدريج. وليس هناك أي موصل للسالك الناسك إلى المنزل المقصود أفضل من مركب الصوم. ودعوات الصائمين مستجابة ومقبولة، ولها أثر عظيم عند حضرة العزة، والصوم مفتاح خزائن الحكمة.

رُوِيَ كذلك عن شلبي عارف -قدس الله سره- أن السيد برهان الدين كان قد ثمل بالخمر الإلهي، وجلس بجوار خندق القيصرية، وكان جيش المغول يغير على المدينة، واستل مغولي مهيب السيف بغتة، ووصل إلى صومعة السيد، ونادى عليه قائلًا: انتبه، أي شخص

أنت؟ قال السيد: انتبه أنت، ولا تتحدث. فمهما تتخفى في هيئة مغولي، فإنك لست مستورًا عنا، وإنني أعلم أي شخص أنت. فنزل المغولي من على الجواد في الحال، وطأطأ رأسه، وجلس برهة، ثم مضى.

وسأل أصحاب الحال عن حاله، فقال: إنه من مستوري قباب الحق، وقد استتر بالقباء. وبعد لحظة عاد المغولي، ونثر بضعة دنانير على قدم السيد، وسجد، وأصبح مريدًا له، ومضى.

روت كذلك ولية الله في الأرض فاطمة خاتون، ابنة الشيخ صلاح الدين -رضي الله عنها وعن أبيها وعن بعلها: أن السيد قال في دارنا ذات يوم: شرحت حالي للشيخ صلاح الدين، وآثرت قالي لمولانا.

وقال السيد برهان الدين يومًا: إن طلب الإنسان للزيادة في غير هذه الأحوال الثلاث فضول:

أولًا: من كل طعام ذلك القدر الذي يكفيه.

ثانيًا: من الملبوسات ذلك القدر الذي يقيه من البرد ومن الحر.

ثالثًا: من السيادة ذلك القدر الذي يكفي ألَّا يتخذوه سخرة.

حكاية

هكذا روى أخص الأصحاب -الذين كانوا أرباب ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1]- أنه لما انقضى عمر السيد برهان الدين، وحان وقت رحيله عن تلك الدنيا، أشار إلى خادمه بأن يعد وعاء ماء ساخن. قال الخادم: لمَّا سخنت الماء، قال: اذهب إلى الباب، وأحكِم غلقه،

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٦٩.

وقال أيضًا: امض، ونادِ قائلًا: إن السيد الغريب رحل عن العالم.

قال الخادم: كنت قد تنصت على باب الصومعة، لأرى ماذا سوف يفعل، فوجدته وقد نهض، وتوضأ، واغتسل، وارتدى ثيابه، وتجرع كأس الأجل، ووقف في زاوية الصومعة، وصاح صيحة، فحضرت السماوات الصافية والأفلاك الساطعة كلها، والأرواح الطاهرة والأتقياء جميعهم، وقال: أيها الحاضر والناظر، يا من كنت قد عهدت لي بأمانة، تلطف، وتعالَ، وخذها. ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1]. وصاح صيحة الرحيل، وقال:

شعر (رباعي)

أيها المحبوب، اقبلني، واقبض روحي

اجعلني ثملًا، واحملني بعيدًا عن العالمَين كليهما

أي قلب لي يستقر مع الجميع من دونك!

فأشعِل النار بداخلي، وخذني

وسَلَّم الروح للحق. فصرخ الخادم، ومَزَّق ثيابه، وبمجرد أن وصل خبر وفاة السيد إلى الصاحب شمس الدين والأكابر، جاءوا وهم ينوحون ويبعثرون شعورهم. وكشف جميع أعاظم دار الفتح وأصاغرها رؤوسهم. ودَفَنَ الحفاظ قارئو القرآن، والشيوخ الذاكرون، والعلماء المعممون، والمؤذنون السيدَ -مثل أركان أهل الإيمان- في حظيرته المباركة.

---

(١) سورة الصافات، جزء من الآية ١٠٢.

أنفق الصاحب شمس الدين أموالًا كثيرة، وأعد مراسم العزاء. وعقد مجالس تلاوة القرآن، وأمر فسقفوا تربة السيد، لكن السقف انهار بعد بضعة أيام، فأمر مرة أخرى، فشيدوا طاقًا أعلاها، وانهدم أيضًا.

ذات ليلة رأى الصاحب شمس الدين في المنام السيد برهان الدين يقول له: لا تبنِ فوق رأسنا.

بعد أن مَرَّ الأربعون، أرسل رسالة إلى مولانا جلال الدين تتعلق بهذا الأمر، فتكرم مولانا والأصحاب الكرام بالزيارة، وسافر إلى القيصرية، وزار السيد، وأقاموا مراسم العزاء من جديد.

وعرض الصاحب شمس الدين عليه كتب السيد كلها ودفاتره، فأخذ منها ما أراد، وأعطى الصاحب بعض الدفاتر على سبيل التبرك وتذكارًا عن السيد وتوجه إلى قونية مرة أخرى.

رُوِيَ كذلك عن مريدي بهاء ولد: أن السيد برهان الدين كان يستغرق في بعض الأوقات في سماع معارف الشيخ (بهاء ولد)، وكشف الأسرار إلى حد أنه كان يضع قدميه كلتيهما في نار المنقل، وكان يطفئ جمرات اللهب بيديه. وكان بهاء ولد يصيح قائلًا: أخرِجوه من المجلس، حتى لا يشوِّش حضورنا. ولمَّا كان صوت الشيخ يصل إلى سمع السيد، كان يهدأ في الحال.

روى كذلك شلبي عارف -قدس الله لطيفته- عن مولانا -قدس الله سِرَّه- أنه حكى ذات يوم أن رياضة السيد بلغت الحد الذي لم يكن يأكل معه طوال عشرة أيام أو خمسة عشر يومًا. ولمَّا كانت نفسه تشتهي الطعام، وتفتقر إليه، كان السيد ينهض، ويذهب إلى دكان الرَّوَّاس (بائع

رؤوس الغنم) عازمًا على الشراب من الحساء الذي كان قد تبقى في الطست الذي كانوا يسكبونه فيه للكلاب، ويقول: أيتها النفس الحقيرة الفضولية، هذه هي مقدرتي، فاعذريني، ولا تؤذيني مرة أخرى، فلو أنكِ تدركين سر الشراب اشربي. وكان ينشد:

شعر (رمل)

خبز الشعير حرام حقًّا على النفس وحسرة

فقدِّم لها خبز النخالة

دع النفس تبكي منتحبة

واقترض منها الإذعان

رُوِيَ كذلك عن سلطان ولد -قدس الله سره- أن جماعة سألت السيد برهان الدين يومًا: هل لطريق الحق نهاية أم لا؟ فقال السيد: إن للطريق نهاية، لكن المنزل لا نهاية له. لأن السير سيران: سير إلى الله، وسير في الله.

السير إلى الله له نهاية، لأنه سير من الوجود والدنيا الدنيئة، والتخلص من الأنيَّة، وهذا كله له آخرة ونهاية. لكن ما دمت قد وصلت إلى الحق، فيعقب ذلك السير في العلم والمعرفة بالله، وليس له نهاية. كما أنشد:

شعر (رمل)

آثار القدم موجودة على شاطئ البحر

ومن ثم فإن آثار القدم موجودة داخل بحر لا

ومنازل اليابسة على سبيل الاحتياط هي القرى والأوطان والأربطة

ومنازل البحر ثابتة في وقت الموج والحبس

من دون عرصة السقوف

لا يبدو لتلك المراحل سنام

وليس هناك أثر لتلك المنازل ولا عنوان

قال سلطان ولد كذلك: إن السيد برهان الدين لَازَم صحبة مولانا بهاء الدين أربعين يومًا في عنفوان شبابه، وكل شيء حظي به من الولاية والكشوفات كان خلال تلك الأربعين يومًا.

حكاية

رُوِيَ كذلك أن السيد برهان الدين لمَّا سمع خبر وفاة بهاء الدين ولد، أهال التراب على رأسه، وحزن عامًا كاملًا، وكان يحترق في فراقه، كما أنه رأى الشيخ في المنام ذات ليلة، كان ينظر إليه بِحِدَّة، ويقول: كيف لا تلحق يا برهان الدين بمولانا جلال الدين، وتتركه وحيدًا؟ وهذه ليست طريقة التربية والتعليم، وبماذا سوف تبرر هذا التقصير؟ فاستيقظ بسبب الهيبة من تلك الحال، وعزم على السفر إلى بلاد الروم بسرعة تامة، وأدرك مولانا جلال الدين، وانشغل بأداء الخدمات المختلفة.

رُوِيَ عن الصاحب الأصفهاني أنه طلب من السيد برهان الدين ذات يوم أن يغسل له ثيابه المباركة. ولم يكن الأمر ممكنًا بالتأكيد. وقد مضى ما يقرب من اثني عشر عامًا، لم تكن قد غُسلت خلالها.

فقال السيد برهان الدين: لو تتسخ مرة أخرى، ماذا أفعل؟ قال:

نغسلها مرة أخرى. قال السيد: هل جئنا إلى العالم من أجل غسل الثياب؟ لا تفعل هذا الفضول مرة أخرى، ولا تؤذِني، وتطهير الروح أفضل من تطهير الثياب.

ذكر الصاحب شمس الدين كذلك أن شيخ الإسلام شهاب الدين عمر السهروردي -رحمة الله عليه- لمَّا كان قد جاء من دار الخلافة إلى بلاط سلطان الروم، كان يريد أن يزور السيد برهان الدين، واستأذن السيد، ولمَّا دخل على السيد، رآه كان قد جلس على الأرض، ولم يتحرك أصلًا. فسجد الشيخ من بعيد، وجلس. ولم يتحدثا قَط. ثم نهض الشيخ منتحبًا، ومضى.

قال المريدون: لماذا لم يَدُر بينكما حوار؟

فقال الشيخ: يلزم لسان الحال مع أهل الحال لا لسان القال.

شعر (رمل)

أصبح صمتك أمام المبصر منفعة لك

ولهذا السبب جاء خطاب أنصِتوا

من ثم كن بَارًّا صامتًا

طاعة لأمر الشيخ والأستاذ

لأنه من دون تلك الحال، لا تحل المشكلات في وقتها، بمجرد القال.

سأل الصاحب شمس الدين وأقرانه الشيخ شهاب الدين: كيف وجدتَه؟ فقال: إنه بحر مواج بدُرَر المعاني، وغُرَر حقائق الأسرار

المحمدية، إنه في غاية غاية الوضوح، وفي غاية غاية الغموض. ولا أظن أن أحدًا في العالم بأسره غير مولانا جلال الحق والدين -قدس الله سره- يفهمه، ويدركُ حاله.

الفصل الثالث

في ذكر بعض مناقب مولانا، سِرّ الله الأعظم، قدسنا الله بسِرِّه المعظم

هكذا روى رواة الأخبار وحواة الأسرار -الذين كانوا أحبار الحقائق- أن مولانا كان يقفز من مكانه في بعض الأوقات وهو في الخامسة من عمره، ويصيبه الاضطراب، إلى حد أن مريدي بهاء ولد كانوا يرأفون لحاله. ذلك لأن الصور الروحانية والأشكال الغيبية كانت تتمثل له. أعني سَفَرة الملائكة وبَرَرة الجن وخواص الإنس المستورين تحت قباب الحق. مثلما كان الملائكة المقربون يتمثلون للرسول في أوائل الحال، ومثلما كان جبريل يتمثل لمريم، وكما كان الملائكة الأربعة يتمثلون للوط والخليل وسائر المرسلين -عليهم السلام.

وكان سلطان العلماء يستميله قائلًا: إنهم أهل الغيب، وهم يُظهِرون أنفسهم لك، حتى ينثروا نثار العناية عليك، وقد أهدوك الهدايا العينية والغيبية.

وكان هذا النوع من الأحوال والسكْر يتواتر عليه. ولفظ «خداوندگار»؛ أي «مولانا» أطلقه بهاء ولد -رضي الله عنه- عليه.

وولد مولانا في بلخ، في السادس من ربيع الأول، لسنة أربع وستمائة (هجرية).

حكاية

هكذا روى الشيخ بدر الدين يواش النقاش المولوي قائلًا: إنني سمعت من سلطان ولد أنه قال: إنهم وجدوا مكتوبًا بخط بهاء ولد المبارك في صحيفةٍ، فحواه: كان ابني جلال الدين محمد في السادسة من عمره في بلخ، وكان يسير على سطوح ديارنا يوم الجمعة، ويقرأ القرآن. وكان أبناء أكابر بلخ يأتون إليه في كل يوم جمعة، ويصحبونه، ويأنسون، به، ويبقون معًا حتى وقت الذهاب إلى المسجد.

وحدث أن قال طفل منهم لآخر: تعالَ، حتى نقفز من هذا السطح إلى ذلك السطح الآخر، وكانا يتراهنان على ذلك. فأجابهما مولانا مبتسمًا: أيها الإخوة، إن هذا النوع من السلوك يسلكه القط والكلب والحيوانات الأخرى. ألا يكون من الحيف أن ينشغل به الإنسان المكرم! فلو أن في أرواحكم قوة روحانية وميلًا روحانيًّا، تعالوا، حتى نُحَلِّق في السماء، ونسير إلى منازل الملكوت. وغاب عن نظر تلك الجماعة، وهو على تلك الحال.

ضجَّ الأطفال جميعهم بسبب شدة الوهم، وصاحوا. فعلم الناس بتلك الحال، وشاهدوه، وقد بهت، وظهر تغير في جسمه المبارك، ثم عاد.

كشف جميع الأطفال رؤوسهم، وعَفَّروا وجوههم بتراب قدمه، وصاروا مريدين له. وقال: في تلك البرهة التي كنت أتحدث فيها معكم، رأيت جماعة ترتدي أقبية خضراء قد حملتني من بينكم، وطافت

بي حول أطباق الأفلاك وبروج السماوات، وأطلعتني على عجائب العالم الروحاني. ولما سمعتُ صياحكم، أنزلوني إلى هذا المكان مرة أخرى. ويقال إنه غالبًا ما كان يأكل مرة في ثلاثة أيام أو أربعة، أو مرة في الأسبوع.

رُوِيَ كذلك عن السيد برهان الدين أنه قال: إن شيخي بهاء ولد -قدس الله روحه- كان يقول للأصحاب الكبار مرارًا وتكرارًا: إن مولاي جلال الدين من نسل عظيم، وهو سلطان أصيل، وولايته ثابتة، لأن جدته ابنة شمس الأئمة السرخسي.

ويقولون: إن شمس الأئمة كان شريفًا، ويصل نسبه من ناحية الأم إلى أمير المؤمنين علي المرتضى -كرم الله وجهه، ومن ناحية الأب إلى أبي بكر الصديق -رضي الله عنه.

وأمي ابنة محمد خوارزمشاه البلخي، وأم جدي أحمد الخطيبي، ابنة ملك بلخ إبراهيم بن أدهم(١) أيضًا.

والغرض من ذكر هذه الأنساب هو مدح نسبهم الظاهر، حتى يعلم النَّسَّابون والمناظرون الجاهلون أن آباءهم الكرام وأجدادهم العظماء كانوا ينتسبون إلى مثل هؤلاء الملوك الصوريين والمعنويين، وأنهم قد انتموا إلى ذلك العنصر الطاهر، فيعتزون بعرقهم الطاهر -بموجب

---

(١) **إبراهيم بن أدهم:** هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم، من أهل بلخ، كان من أبناء الملوك، وخرج متصيدًا فهتف به هاتف أيقظه من غفلته، وجعله يسلك طريق الزهد والورع. صحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض، ودخل الشام، ومات بها سنة ١٦١ أو ١٦٢ هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م، المجلد الأول، ص ٦٣٦.

الحديث النبوي: العرق دساس[1]- ويعظمونه.

شعر (رمل)

لقد كان نسبه هذا جلده

وقد انتمى إلى ملوك عظماء

إن دماغه بمنأى عن النسب ونزيه عنه

وليس هناك أحد ينتمي إلى جنسه من السمك إلى السماك

أسلافه جميعهم سادة الهزل والجد والملاحم

حتى صلب آدم

رُوِيَ كذلك أن مولانا قال يومًا: إنني كنت أقرأ دائمًا سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[2] في صلاة الصبح وأنا في السابعة من عمري، وأبكي. فتجلى الله تعالى عليَّ برحمته الواسعة بغتة، حتى إنني فقدت الصواب، ولمَّا عدت إلى رشدي، هتف بي هاتف: يا جلال الدين، لا تجاهد هذه المجاهدة بعد ذلك بحق جلالنا، وقد جعلناك محل

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس. أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية، وقال إنه روي عن عمر وابن عمر وأنس وعائشة، فأما لفظ حديث عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم، فهو: تخيروا لنطفكم، وانتخبوا المناكح، وعليكم بذوات الأوراك فإنهن أنجب. وأما حديث ابن عمر ففيه أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوصي رجلًا، فقال له: يا فلان، أقل من الدَّين تعش حُرًّا، وأقل من الذنوب يهن عليك الموت، وانظر في أي نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس. وبيَّن الإمام ابن الجوزي بعد أن سرد ألفاظ الحديث وطرقه أن الحديث ضعيف.

islamweb.net

(٢) سورة الكوثر، آية ١.

المشاهدة. وكنتُ أعكف على العبادة؛ شكرًا لتلك العناية، وأجتهد، وأسعى مصداقًا لقوله: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[1]. كي أستطيع أن أُبلِّغ أصحابي جمالًا وكمالًا وحالًا. كما قال:

شعر (رمل)

صار قلبي وروحي مثل خيط في الشهود

حتى بدا لي أول الخيط

لقد سلكنا الطرق الوعرة حتى نهايتها

ومهَّدناها لأهلنا

حكاية

رُوِيَ عن كبار الأصحاب أن بهاء ولد لمَّا رحل عن العالم الفاني إلى العالم الباقي، سافر مولانا (جلال الدين) في العام الثاني (بعد وفاته) إلى الشام، حتى يتعلم علوم الظاهر، ويبلغ الكمال. ويقال: إنه كان سفره الأول. ولمَّا وصل إلى مدينة حلب مباركًا، نزل في مدرسة

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** قام النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا!

الراوي: المغيرة بن شعبة

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

التخريج: أخرجه البخاري

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

الحلاوية، والتحق بخدمته بعض مريدي أبيه، وأقاموا هناك مدة.

كان مَلك مُلك حلب كمال الدين بن عديم ملك أمراء حلب، وكان رجلًا فاضلًا وعلَّامة وعاقلًا وعارفًا ونقيَّ السريرة، وكان يؤدي خدمات كثيرة لمولانا بسبب شدة اعتقاده فيه، كما كان يلازمه دائمًا، لأنه كان ابن سلطان العلماء، وكان ينشغل بالتدريس. ولمَّا كان يجد فطنة وذكاء شديدين في ذات مولانا، كان يجتهد في تعليمه وتفهيمه بلا حد. وكان يلقنه درسين أو ثلاثة أكثر من طلبة العلم جميعهم، وقبلهم أيضًا.

كان بعض خواصه وطلبة العلم وغيرهم يملُّون من ملازمته له، وإقباله عليه بسبب إنكارهم وحسدهم. وكذلك كان بَوَّاب المدرسة جاهلًا بخاصة النواب، وكان يشكو إلى نواب الملك مرات من أن مولانا كان «يغيب عن حجرته في منتصف كل ليلة، وأنا لا أعلم إلى أين يذهب، والعجيب أنني أجد باب المدرسة مغلقًا، ولا أعلم الباقي، وكيف تكون الحال».

كان الملك كمال الدين يندهش من شماتة أولئك السفلة السفهاء، فاختبأ ذات ليلة في حجرة البواب، وأراد أن يدرك الحال. ولمَّا مضى منتصف الليل، شاهد مولانا وقد خرج من حجرته، ومضى، ولمَّا وصل إلى باب المدرسة، انفتح الباب، وخرج مولانا.

مشى الملك كمال الدين خلفه على مهل، ولمَّا وصل مولانا إلى بوابة المدينة، انفتحت البوابة كذلك، وخرج، وذهب إلى مسجد خليل الرحمن. ونظر كمال الدين، فرأى قبة بيضاء مكتظة بأهل الغيب الذين يرتدون الثياب الخضراء، ولم يكن قد رأى طوال عمره أناسًا نورانيين

مثلهم، وقد استقبلوا مولانا جميعًا، وسلَّموا عليه. ففقد كمال الدين الصواب بسبب تلك الهيبة.

نام الملك كمال الدين فاقدًا الصواب حتى الشروق، ولمَّا استيقظ، نظر، فلم يرَ قُبَّة، ولم يجد شخصًا في تلك الأنحاء. ونهض منتحبًا، وندم على تلك الجرأة، ومضى في تلك الصحراء الشاسعة، وكان يسلك الطريق طوال النهار حتى الغروب، ويذرف الدمع. ولم يصل إلى منزل أو عمران أصلًا. وكانت قدماه قد أصيبتا بالبثور بسبب الرقة الشديدة، لأنه لم يكن قد ترجل طوال عمره، وكان يصيح طوال الليل حتى السحر، ويستغفر.

ومن ناحية أخرى لمَّا لم يرَ خواصُّ الملكِ الملكَ كمال الدين ليلتين بيومَيْهما، أصيبوا بالجنون. وذاع في المدينة هذا الخبر ألا وهو: إن ملك حلب اختفى فجأة.

استفسر حُجَّاب الملك عن الحال من بَوَّاب المدرسة. وفي الصباح خرجت مجموعة من الجنود من البوابة، وانتشرت في تلك الصحراء للبحث عنه. والتقى مولانا بجمعهم فجأة، فطأطأوا رؤوسهم في مذلة تامة، وبكوا جميعًا. ولمَّا كان مولانا يعلم سبب بكائهم، قال: اذهبوا إلى طريق مسجد الخليل، حتى تجدوا ضالتكم.

في ذلك اليوم كان سائس الملك يسوق الجواد طوال اليوم، فوجد الملك عاجزًا منهكًا في صحراء، وقد يئس من حياته تمامًا بسبب شدة الجوع والعطش. نزل السائس بالمكان، وطأطأ رأسه، وبكى كثيرًا، وقدم للملك الماء والطعام الذي كان قد حمله.

قال له الملك: كيف عثرتَ عليَّ؟ فقال: كنا قد خرجنا مع جيش مدينة حلب بحثًا عن الملك. وأدركتُ أنا العبد مولانا من بعيد، وعرضتُ عليه الأمر، فأشار عليَّ بالمُضيِّ إلى هذه الناحية. وقد وجدتُ مطلوبي ولله الحمد.

لم يقل الملك شيئًا، وركب جوادًا عربيًّا، ولمَّا وصل إلى المدينة، عقد مجلسًا، وأقام وليمة عظيمة، وصار مريدًا مخلصًا برغبة تامة. وخجل الحُسَّاد جميعهم، وتبرموا. وصار أهل حلب نساءً ورجالًا مريدين له.

ولمَّا جاوز الغلو العام الحد، فرَّ من آفة الاشتهار، وفي اليوم الثالث رحل مولانا إلى دمشق. وبعد عدة شهور كان السلطان عز الدين الرومي قد أرسل ملك الأدباء بدر الدين يحيى -رحمه الله- برسالة إلى كمال الدين ملك حلب يدعو فيها مولانا إلى العودة إلى مقر عِزِّه. فشرح له كمال الدين هذه القضية بالتمام والكمال. وأصبح ملك الأدباء بدر الدين يحيى مريدًا له كذلك، وحكى هذه الحكاية لسلطان الإسلام وخواصه لمَّا عاد، فصار جميعهم عاشقين لمولانا معتقدين فيه.

رُوِيَ كذلك أن الشيخ صلاح الدين -رضي الله عنه- قال: كنت قد جلستُ للمراقبة في حضور تام في خدمة السيد برهان الدين محقق -عظم الله ذكره. وكان يتحدث عن عظمة جلال مولانا، وقال: في أوان الصبا، حين كنت مربيًا ومعلمًا لذلك السلطان، وضعته على قفاي أكثر من عشرين مرة في أوقات عروجي، وحملته فوق العرش، حتى أدرك هذه العظمة. وإن لي عليه حقوقًا كثيرة، وإن له عليَّ حقوقًا أضعافًا

مضاعفة وآلافًا مثلها. ولمَّا حكيت هذه الحكاية لمولانا، قال: هو كذلك، وأضعاف مضاعفة، ورحمة تلك الأسرة وإحسانها وفيران، ولا نهاية لهما. وأنشد هذا البيت:

بيت (بسيط)

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان(١)

حكاية

روى الشيخ سنان الدين الأقشهري -الذي كان من كبار أصحاب الكشف- كذلك أن مولانا لمَّا سافر إلى دمشق لتحصيل العلوم، وصلت قافلة الشام إلى مغارة في ولاية سيس، ونزلوا فيها.

وكان يوجد في تلك المغارة أربعون راهبًا مرتاضًا منقطعًا، إلى حد أنهم كانوا يكشفون أسرار عالم المُلك، ويخبرون عن الغيبيات السفلية، ويتحدثون بمضمرات الناس. وكانت الهدايا والنذور تُحمَل لهم من أطراف الولاية. وبمجرد أن شاهدوا مولانا، أشاروا إلى طفل، فطار في الهواء، وعلق بين الأرض والسماء.

كان مولانا قد أطل برأسه المبارك، وراقبه. فصاح ذلك الطفل فجأة قائلًا: دبِّروا لي حيلة، وإلا فإنني أعلق في المكان نفسه، وأهلك بسبب

(١) بيت لأبي فتح البستي وهو علي بن محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز، ولد في بست بالقرب من سجستان، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه السلطان محمود بن سبكتكين، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر، فمات غريبًا في بلدة أورزجند ببخارى. aldiwan.net.

الهيبة من ذلك الشخص المراقب. فقالوا له: انزل. قال: إنني لا أستطيع النزول، وكأنني تسمرت بمسمار في هذا المكان، ومهما حاولوا معه، لم يستطع النزول.

أحنى الجميع رؤوسهم على قدم مولانا، وقالوا: يا سلطان الدين، استرنا، ولا تفضحنا. قال: ليست هناك وسيلة سوى قول كلمة التوحيد. وفي الحال نطق الطفل بالشهادة قائلًا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»، ونزل في يسر.

آمن جميع الرهبان باقتناع تام، وكانوا يريدون أن يمضوا في صحبة مولانا، لكنه لم يأذن لهم، وقال: انشغلوا بعبادة الحق في مكانكم، ولا تنسوني من دعاء الخير. عكف الرهبان على العبادة والرياضة، وصارت الغيبيات العلوية والسفلية مِلكًا لهم، وكانوا يعدون زاوية في ذلك المكان، ويخدمون الصادر والوارد.

رووا كذلك أن مولانا لمَّا وصل إلى دمشق المباركة، استقبله علماء المدينة وأكابر الدهر، ونزل في مدرسة المقدمية، وأدى خدمات عظيمة. وانشغل مولانا بالعلوم الدينية والرياضة التامة. ويقولون: إنه أقام في دمشق قرابة سبع سنوات، ويقال: إنه أقام فيها أربع سنوات. وفي المرة الأولى سافر معه السيد برهان الدين من قونية، وبقي في القيصرية عند الصاحب الأصفهاني، ولمَّا عاد مولانا، لازمه إلى قونية مرة أخرى.

رُوِيَ كذلك أنه كان يسير في ميدان دمشق، فقابل شخصًا عجيبًا وسط الخلائق، كان يرتدي لبادًا أسود، ويضع قلنسوة على رأسه، وكان يتجول.

لمَّا اقترب ذلك الشخص من مولانا جلال الدين، قَبَّل يده المباركة، وقال له: أدرِكني يا صرَّاف العالم. وكان ذلك الشخص هو مولانا شمس الدين التبريزي. وما إن التفت إليه مولانا جلال الدين، حتى اختفى في الغلباء.

بعد مدة وجيزة سافر مولانا إلى الروم، ولمَّا وصل إلى القيصرية، استقبله أكابر العلماء والعارفين، وبجَّلوه تبجيلًا عظيمًا. وكان الصاحب الأصفهاني يريد أن يصحبه إلى قصره، لكن السيد برهان الدين لم يُمَكِّنه من ذلك، لأن سُنَّة مولانا بهاء الدين هي أن ينزل في مدرسة.

ولمَّا فرغ مولانا من غلبة زيارة الناس، قال له السيد برهان الدين بمودة: لله الحمد والمنة، إنك تساوي مائة ألف مثل أبيك في علوم الظاهر جميعها. وإنني أريدك أن تتبحر في علوم الباطن أيضًا، حتى تكشف دُرر غُرر العلوم اللدنية. كما أنني أرغب في أن تختلي عندي.

تلقى مولانا إشارة السيد برهان الدين بصدق تام. وقال له السيد: صُم سبعة أيام. فقال مولانا: إن قواي ضعيفة. وأعد السيد خلوة، وأجلس مولانا فيها أربعين يومًا، وسَدَّ باب الحجرة بالطين. ويقال: لم يكن هناك شيء سوى إبريق ماء وعدة أرغفة من الشعير.

وبعد أن مَرَّ أربعون يومًا، فتح السيد برهان الدين باب الخلوة، ولمَّا دخل، وجد مولانا وقد وضع رأسه في تلابيب التحير في زاوية التفكر في حضور تام، واتجه إلى تدبر عالم الباطن، وانشغل بمشاهدة عجايب اللا مكان، واستغرق في سر: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(١).

(١) سورة الذاريات، آية ٢١.

شعر (هزج)

كل شيء موجود في العالم ما هو إلا أنت

اطلبه في ذاتك، فأنت كل ما تريد

مكث السيد برهة، ولم ينتظر، وخرج في هدوء، وأغلق باب الخلوة. ولمَّا مرت أربعينية أخرى، عاد السيد برهان الدين مرة أخرى، فوجد مولانا جلال الدين كان يصلي ويتضرع، وقد فاضت من عينيه المباركتين ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾[1]. ولم ينتبه إلى السيد برهان الدين قطعًا. خرج السيد برهان الدين أيضًا، وأحكم غلق الباب، وانشغل بمراقبة حاله. ولمَّا مرت الأربعينية الثالثة، هدم السيد باب الخلوة صائحًا، فوجد مولانا وقد تجلى أمامه مبتسمًا في الخلوة، وكانت عيناه المباركتان قد ثملتا بخمر البحر الإلهي الموَّاج.

شعر (رمل)

شاهِد خيال محبوبنا في عينيه

فهو يرقص في سواد ذلك البصر

سجد السيد برهان الدين شكرًا، وانتحب كثيرًا، وأخذته شفقة، واحتضن مولانا، ونثر القبلات على وجهه المبارك، وحيَّاه مرة أخرى، وقال: لقد كنت بلا نظير بين العالمين في جميع العلوم النقلية والعقلية والمكتسبة والكشفية. وفي الحالة هذه صرتَ المشار إليه بالبنان

(١) سورة الرحمن، آية ٥٠.

من قِبل الأنبياء والأولياء في أسرار الباطن وسَيْر سِيَر أهل الحقائق والمكاشفات، وقد احتار جميع المشايخ السابقين والعلماء وأصحاب البصيرة السليمة في كيفية الوصول إلى سلطان مثلك، والحصول على أصول كيفية الوصول. ولله الحمد في الآخرة والأولى أنني أنا العبد الضعيف النحيف أدركت هذه السعادة السرمدية، والسرور الأبدي، وعاينتهما. فامضِ باسم الله، واغمر أرواح العالمين بالحياة البهيجة والرحمة الواسعة، وأَحْيِ موتى عالم الصورة بالمعنى وبعشقك.

وحدث أن ذهب مولانا جلال الدين إلى قونية، وانشغل بتدريس علوم الظاهر، وفتح أبواب المواعظ والنصائح والتذكير، وكان يطوي عمامته كالفقهاء بموجب الحديث النبوي: «العمائم تيجان العرب»(١)، ويسدلها. وكان يرتدي رداء واسعَ الكم كما هي سُنة العلماء الحقيقيين.

وبعد مرور الأيام انتقل السيد برهان الدين من ممالك الملك إلى عوالم الملكوت، فذهب مولانا جلال الدين إلى القيصرية، وزار السيد، كما ذُكر. ثم عاد إلى قونية بعد ذلك. ولم يمضِ وقت حتى وصل سلطان الفقراء مولانا شمس الدين -قدس الله سره- إلى قونية للمرة الثانية في السادس والعشرين من جمادى الآخرة لسنة اثنتين وأربعين وستمائة (هجرية).

---

(١) «العمائم تيجان العرب»

الراوي: علي بن أبي طالب

المحدث: السفارنيني الحنبلي

المصدر: شرح كتاب الشهاب

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

حكاية

هكذا هي بداية حكاية مولانا شمس الدين التبريزي -عظم الله ذكره- أنه كان مريدًا للشيخ أبي بكر التبريزي السَّلَّال في مدينة تبريز. وكان ذلك التقي فريد زمانه في الولاية وكشف القلب. وكان شمس الدين التبريزي قد بلغ مكانة في طي المقامات والمراتب، فلم يكن يستحسنه، وكان يبحث عن مقام أعلى من ذلك المقام، حتى يصبح أعلى مقامًا وأعظم درجة ببركة تلك الصحبة، ويبلغ درجات الكمال، ويرتقي، وكان يطوف حول العالم عاجزًا من أجل هذا الطلب، وكان يتنقل سائحًا، فكانوا يطلقون عليه «شمس برنده»؛ أي شمس الطائر، واشتُهر بذلك الاسم.

وحدث أن اضطرب اضطرابًا شديدًا ذات ليلة، وفقد الاستقرار، وثمل بسبب الاستغراق في التجليات القدسية، وكان يقول في المناجاة: إلهي، أرجوك أن تُظهِر لي واحدًا من محبوبيك المستورين. فصدر خطاب العزة: إن ذلك الشاهد المستور، والوجود المفعم بالجود، المغفور له الذي ترجوه هو ابن سلطان العلماء بهاء ولد البلخي المحبوب. قال: إلهي، أطلعني على وجهه المبارك. فجاء الجواب: ماذا تمنح شكرًا لذلك؟ قال: رأسي.

شعر (رمل)

عاهدت تبريز لمَّا يأتي شمس الدين

أن أسجد شكرًا، فإنني لا أملك غير هذا

وجاءه الإلهام: اذهب إلى إقليم الروم، حتى تدرك المقصود والمطلوب الحقيقي. فشد وسط الروح بنطاق الإخلاص، ومضى إلى ملك الروم في صدق تام وعشق عظيم.

يقول البعض: إنه جاء من دمشق إلى الروم. وقال البعض: إنه عاد إلى تبريز، ثم جاء إلى الروم. ولمَّا وصل إلى مدينة قونية، وكما هو مشهور، نزل في خان بائعي السكر، وأجَّر حجرة، وكان يضع قفلًا نادرًا على باب الحجرة ثمنه ديناران أو ثلاثة دنانير، ويربط المفتاح في طرف منديل ثمين كان يطرحه على كتفه. فظن الخلق أنه تاجر كبير، ولم يكن لديه في الحجرة سوى حصير قديم وإناء مكسور ووسادة من اللَّبِن الخام. وكان يثرد قطعة من الرغيف اليابسِ في حساء الأكارع، مرة كل عشرة أيام أو خمسة عشر يومًا، ويتناولها.

يروى كذلك أن سلطان عالم الروح ذلك كان قد جلس على باب الخان. وحدث أن خرج مولانا جلال الدين -قدس الله لطيفته- من مدرسة «پنبه فروشان» بائعي القطن، وركب بغلًا سريعًا. ومشى جميع طلاب العلم والعلماء في ركابه، وكانوا يعبرون من هناك مترجلين.

نهض مولانا شمس الدين، وهرول، وأمسك لجام البغل بإحكام،

وقال: يا صرَّاف العالم، ونقود المعاني، وعالم الأسماء، قل: أيهما أعظم؛ محمد رسول الله أم أبو يزيد؟ فقال: لا، لا، محمد المصطفى زعيم الأنبياء والأولياء جميعهم وسيدهم، والعظمة له في الحقيقة.

شعر (منسرح)

محبوبنا حسن الحظ، والتضحية بالروح عملنا

والمصطفى زعيم قافلتنا وفخر العالم

قال شمس التبريزي: لماذا إذن يقول المصطفى: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»، ويقول أبو يزيد: «سبحاني ما أعظم شأني!»[1]، و«أنا سلطان السلاطين»؟ فنزل مولانا جلال الدين من على البغل، وصاح صيحة بسبب هيبة ذلك السؤال، وفقد الصواب.

كان مولانا جلال الدين قد نام برهة. واجتمع خلق العالم في ذلك المكان. ولمَّا ثاب مولانا جلال الدين إلى رشده من عالم الغشيان، أمسك بيد مولانا شمس الدين، واصطحبه مترجلًا إلى مدرسته، ودخلا حجرة، ولم يأذنا لأي مخلوق بالدخول عليهما طوال أربعين يومًا بالتمام. ويقول البعض: إنهما لم يخرجا من الحجرة طوال ثلاثة أشهر بالتمام.

---

(١) **أبو يزيد و«سبحاني»**: يعد أبو يزيد البسطامي ٢٦١ هـ أول من ربط بين التوحيد والفناء، وجعل فناء العبد عن نفسه، وعن صفاته الذميمة وأفعاله الخسيسة، وفناءه عن الخلق، وعمَّا سوى الله، ثم بقاءه بالحق، هما سبيله إلى التوحيد. ويرى أن العبد الموحد حين يستهلك في الفناء، يرى الحق مرآته، ويشاهد نفسه الحق في تلك المرآة، فيتحدث بلسان الحق، أو يتحدث الحق على لسانه، وهو فانٍ. لذلك قال: «سبحاني ما أعظم شأني!»، وقد انتابته تلك الحال.

انظر: د. منال اليمني عبد العزيز، التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد ٤٦، العدد الأول، يناير، مارس ٢٠١٨ م.

يروى كذلك أن مولانا جلال الدين قال ذات يوم: لمَّا سألني مولانا شمس الدين هذا السؤال، وجدتُ كوة فُتِحَت في مفرقي، وتصاعد منها دخان إلى قمة العرش العظيم. كما أنه ترك التدريس في المدرسة، والوعظ على المنبر، وصدارة المسند، وانشغل بمطالعة أسرار ألواح الأرواح، وأنشد كذلك:

شعر (هزج)

كنتُ أتباهى بالكتاب مثل عطارد

وكنت أتصدر مجلس الأدباء

ولمَّا رأيتُ جبهة الساقي

ثملت وحطَّمت الأقلام

وعلى هذا النحو لمَّا جاوزَت تلك الصحبة، والانقطاع الكلي والخلوة الحدَّ، غضب خلق قونية كافة، وتبرم المحبون والأصحاب بسبب الغيرة والحسد، ولم يعرف أي شخص من يكون شمس الدين، ومن أين جاء. واتفقوا على استهدافه، وأصاب الأصحاب فتور عظيم.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر شوال، لسنة اثنتين وأربعين وستمائة (هجرية)، اختفى مولانا شمس الدين. وبحثوا عنه ما يقرب من شهر، ولم يظهر له أثر، فلماذا مضى، وإلى أين ذهب؟

ومن ثم أمر مولانا جلال الدين، فأعدوا له فرجية هندبارية، ووضع قلنسوة من الصوف العسلي على رأسه. ويقال: إن الثوب الهندباري كان يرتديه المأتم في تلك الولاية، وكانت تلك قاعدة القدماء. كما أنهم

كانوا يتغطون بالغاشية في هذا العهد. وارتدى كذلك قميصًا مفتوحًا من الأمام، وانتعل نعلًا وخُفًّا، ولفَّ عمامة ذات طرف، وأمر، فصنعوا ربابة لها ستة أضلاع، لأن ربابة العرب كان لها أربعة أضلاع من قديم العهد. وقال: إن أضلاع ربابتنا الستة تشير إلى أقاليم العالم الستة، وأَلِف الوتر تُبيِّن تآلف الأرواح بإلف الله.

مصراع (رمل)

لو أن لك أذنًا، اسمع. ولو أن لك عينًا، انظر

بعد ذلك شرع السماع، فشملت فتنة العشق وغوغاء العاشقين أطراف العالم، وتوجه خلق العالم من وضيع وشريف وقوي وضعيف وفقيه وفقير وعالم وعامي ومسلم وكافر، وجميع أهل الملك وأرباب المذاهب والدول إلى مولانا، وأصبح الناس جميعهم منشدين للأشعار، ومن أهل الطرب، وانشغلوا دائمًا ليلًا ونهارًا بالسماع والتواجد، ولم تكن لديهم لحظة للهدوء والسكينة. وكثيرًا ما استغاث المنكرون والحساد والمغرورون والأنانيون والمتجبرون أصحاب القلوب العمياء، والمحجوبون والمتكبرون -الذين ابتدعوا في الشريعة، وارتدوا عن الطريقة- من الأطراف، وأطلقوا ألسنة الطعن. وقالوا: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[1]. وا أسفاه! رجل عزيز وعالم وابن ملك أصيب بالجنون فجأة، وأصبح مختل العقل بسبب المداومة على السماع والرياضة والجوع، وصار مجذوبًا. مثلما كان صناديد الكفار قد قالوا بشأن محمد المختار. وشعر الجميع بالإحباط بسبب صحبته

(١) سورة هود، آية ٧٢.

لذلك الشخص التبريزي. وقال البارئ تعالى قهرًا لهم: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[1]. ويقول المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه: لا يصح إيمان العبد بربه أبدًا، ما لا يتهمه الجهال بالجنون.

شعر (رمل)

إذا أصيب أفلاطون بهذا النوع من الجنون

خضِّبوا دفتر الطب بالدم

وقد حطَّم مثل ذلك الجنون القيد قائلًا:

لينصحني جميع المجانين

ولمَّا أصبحت حقيقة حقيقته معروفة للعالمين، صار أولئك الذين كان توفيق الحق وعنايته قد صارا رفيقي أرواحهم، خادمين ومريدين له، وندموا، واستغفروا. وأصبحت الجماعة التي تعصبت لطغيانها وكفرها مخذولة ومنكوبة في مدة وجيزة. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[2]. كما قال:

شعر (هزج)

لا تنكر الأتقياء، واتقِ طعن الشجعان

فإن صبر أرواح الحزناء يجعلك فانيًا معدومًا

أرجو أن تُذكَر أفضال مولانا شمس الدين كلها في فصل مناقبه إن شاء الله تعالى وحده العزيز.

---

(١) سورة القلم، آية ٢.

(٢) سورة فاطر، جزء من الآية ٣٩.

رُوِيَ كذلك: أن كرا خاتون[1] زوجة مولانا -رحمها الله- التي كانت مريم الثانية في طهارة الذيل ونقاوة العِرض، حكت أن مولانا جلال الدين كان قد اختلى في عِز الشتاء مع شمس التبريزي، واستند إلى ركبة شمس الدين. وكنتُ قد استرقت السمع إليهما من خلال شق باب الخلوة، لأعرف أي أسرار يتحدثان بها، وماذا يجري بينهما. وفجأة رأيتُ جدار البيت قد انشق، ودخل ستة أشخاص مهيبين من أهل الغيب، وسلموا، وطأطأوا رؤوسهم، ووضعوا باقة ورد أمام مولانا جلال الدين، وكانوا قد جلسوا في حضور تام حتى موعد صلاة الظهر. كما أن كلمة لم تُقَل أصلًا.

أشار مولانا جلال الدين إلى شمس الدين قائلًا: فلْنصلِّ، وأُمَّنَا أنت في الصلاة. فقال شمس الدين: لا يبلغ شخص الإمامة في وجودكم. وأَمَّ مولانا جلال الدين الصلاة. ونهض أولئك الأشخاص الستة الكرام مكرمين بعد إتمام الصلاة، وخرجوا من ذلك الجدار مرة أخرى. وفقدتُ أنا الصواب بسبب تلك الهيبة، ولما ثبتُ إلى رشدي، رأيت مولانا قد خرج، ومنحني باقة الورد تلك قائلًا: احتفظي بها.

وقد أرسلتُ بضع أوراق من ذلك الورد إلى دكاكين العطارين، لأننا لم نرَ هذا النوع من الورد قط، فمن أين هذا الورد؟ وما اسمه؟

اندهش جميع العطارين بسبب نضارة ذلك الورد ولونه ورائحته، فمن أين جاء مثل هذا الورد الغريب في عِز الشتاء؟ كان هناك رجل معتبر بين تلك الجماعة، اسمه شرف الدين الهندي، كان يذهب إلى

---

(١) **كرا:** لقب من ألقاب السيدات اليونانيات.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٩٠.

بلاد الهند دائمًا للتجارة، وكان يحضر أمتعة غريبة وعجيبة. ولمَّا عرضوا الورد عليه، قال: هذا ورد الهند، وإنه يزهر في تلك الولاية خصوصًا، في أنحاء سرنديب، وما شأنه بإقليم الروم في هذه الحالة؟ ينبغي عليَّ أن أدرك هذه الحال، وكيف جاءت هذه الهدية إلى الروم.

حملت خادمة كرا خاتون أوراق الورد، وعادت إلى البيت، وحكت الحكاية. فازدادت حيرة كرا خاتون. ودخل مولانا فجأة، وقال: اخفي باقة الورد تلك يا كرا، ولا تظهريها لغير محرم، فقد أحضرها مستورو حرم الكرم، وبُسْتانيو جنة إرم -الذين هم أقطاب الهند- حتى يقوى أنف روحك، وتقر عين جسدك، فاحفظيها جيدًا بالله عليكِ، حتى لا تصيبكِ عين السوء.

ويقال: إن كرا خاتون كانت تحتفظ بها حتى النفس الأخير، وربما كانت قد منحت جرجي خاتون، حرم السلطان، بعض أوراق الورد، وكان ذلك بإذن مولانا أيضًا.

وكل من كانت عينه تؤلمه، كان يمسح بورقة ورد عليها، ويُشفَى! ولم يكن لون ذلك الورد أو رائحته يتغير أصلًا، وكان مسك الجيب ببركة أيادي أولئك الأعزاء.

رُوِيَ كذلك عن كرا خاتون -رضي الله عنها- أنها قالت: كانت في بيتنا مشكاة، كانت تطاول قدَّ الإنسان. وكان مولانا جلال الدين يقف على قدميه من أول الليل حتى طلوع الفجر، ويطالع معارف بهاء ولد[1].

---

(١) كتاب يشتمل على مجموعة من أفكار بهاء ولد ومعتقداته وخطبه ومواعظه وأقواله، جُمعت بواسطة أتباعه.

وذات ليلة اشتكى لي جماعة من الجن -الذين كانوا سكان بقاعنا- قائلين: إننا لا نحتمل حرارة المصباح، ونتأذى من ضوئه أذى شديدًا! لا قدر الله أن يصاب أهل البيت بأذى منا. قالت كرا خاتون: بَلَّغت مولانا بهذه الشكوى، فابتسم ولم يُجِب قَط طوال ثلاثة أيام. وقال بعد ذلك: لا تحزني بعد اليوم، فإن الجن أصبحوا مريدين لنا ومعتقدين فينا، ولن يؤذوا أي شخص من أولادنا وأصحابنا.

حكاية

كان فخر الأصحاب جلال الدين القصاب -رحمة الله عليه- الذي كان من مريدي مولانا القدماء، وحظي بكثير من لطائف العالم وظرائفه؛ يعتاد على أن يشتري الغلمان العرب، ويعتني بهم، ثم يبيعهم إلى الأكابر. وكانت لديه جياد حسنة في الإصطبل دائمًا.

رَوى كذلك أن مولانا كان قد اعتراه اضطراب شديد في عالم الله تعالى، وكان يربط عمامته المباركة تحت العنق كالعرب أربعين يومًا بالتمام. فجأة رأيتُه وقد غرق في العرق، ودخل من الباب في هيبة تامة. فطأطأت رأسي كالمسكين، واندهشت.

قال مولانا لي: اسرج الجواد الفلاني الحسن. فأسرجته أنا وثلاثة شباب من الخدم بجهد بالغ ومشقة، وسحبته. فركب مولانا، ومضى نحو القبلة. قلتُ: أيأتي غلام مولانا أيضًا؟ فقال: ساعدنا بالهمة.

وفي أثناء الليل رأيته وقد عاد مغبرًا. وكان مثل ذلك الجواد ضخم الجثة الشبيه بالفيل قد صار نحيفًا للغاية، وهزل. وفي اليوم الثاني رأيته عاد، وطلب جوادًا آخر أفضل منه، وركبه، ومضى، وعاد في وقت صلاة

العشاء، وكان الجواد العربي قد أصابه الضعف والهزال. وفي اليوم الثالث عاد، وقد ركب جوادًا آخر، ومضى. وجاء عند صلاة المغرب كذلك، ونزل من على الجواد، ودخل البيت، وجلس فارغًا تمامًا، وأنشد:

شعر (رمل)

البُشرى البُشرى أيتها الجماعة المرحة

إن كلب الجحيم عاد إلى الجحيم مرة أخرى

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١).

لم يكن لديَّ مجال لسؤال مولانا عن الحال بسبب الهيبة. وبعد عدة أيام وصلت قافلة كبيرة من ناحية الشام، وأعلنوا أن جيش المغول خرَّب مدينة دمشق تمامًا.

يقال: إنه كان هولاكو خان الذي استولى على بغداد في سنة خمس وخمسين وستمائة (هجرية)، وقتل الخليفة، وتوجه إلى الشام في سنة سبع وخمسين وستمائة (هجرية)، واستولى على حلب. ويقال إنه ساق كتبوغا مع جيش جرار إلى دمشق. وفي تلك الوهلة التي كان الجيش قد حاصر فيها دمشق، شاهد أهالي دمشق مولانا عيانًا في ذلك المكان، وقد جاء لمعاونة جيش الإسلام. وغُلِب المغول، وانهزموا هزيمة بالغة، وعادوا خائبين خاسرين.

يقول راوي الخبر: جئت إلى مولانا مسرورًا بسبب بشاشة الاستماع إلى هذا الخبر، حتى أصف له حال دمشق. فقال: بلى، إنه جلال الدين.

---

(١) سورة الأنعام، آية ٤٥.

شعر (رمل)

ذلك الفارس الذي نصر الجيش

هو سلطان البصر لأهل الدين

ضج الأصحاب جميعهم وصاحوا، وحدثت فتنة بين العالمين، وسروا. وانتشرت هذه الكرامة والقدرة، واستبشر المحبون.

حكاية

روى أكابر الأصحاب أن سيدًا معتبرًا من مدينة تبريز، يتصدق على المحتاجين، كان قد نزل في خان بائعي السكر، وحدث أن سأل سادة قونية ذات يوم قائلًا: مَن مِن المشايخ والعلماء في مدينتكم هذه أشرف بزيارته، وأسعد بتقبيل يديه، وأصحبه، وأفيد من موائد فوائده؟ لأن مقصود عارفي العالم من عناء الترحال، ومطالعة الأسفار، هو إدراك حضور العلماء الكبار والمشايخ الأبرار، لا التجارة المحضة، واكتساب الأسباب. وقد أنشدوا كذلك:

شعر (رمل)

قال الحق: يجب عليك أن تبحث عن رجل أو لا

في كل مكان تسافر إليه

قالوا: إن في مدينتنا هذه مشايخ كرامًا وعلماء عظماء كثيرين، لكن شيخ الإسلام ومحدث الأيام هو الشيخ صدر الدين، عديم المِثْل في جميع العلوم الدينية، وطريقة المشايخ اليقينية.

اصطحبه سادة المدينة، وذهبوا لزيارة الشيخ صدر الدين، وحمل معه هدايا عجيبة، وتحفًا غريبة، تبلغ قيمتها نحو مائتي دينار.

لمَّا وصل السيد التبريزي إلى باب الشيخ، شاهد كثيرًا من الخدم والحشم والشواهد والغلمان، ووجد الحُجَّاب والبواب والطواشي(١) في أبهى صورة، فتضايق من هذه الحال، وتبرم قائلًا: هل جئتُ لزيارة أمير أم عيادة فقير؟ فقالوا له: إن الشيخ لا يضيره هذا، لأنه يحظى بنفس كاملة، كما أن الحلوى لا تضر الطبيب، لكنها تضر المريض محرور المزاج، الذي لا يجوز له تناول الحلوى.

دخل التبريزي مكرهًا تمامًا على ذلك الشيخ، وأدرك صحبته. وطلب العون من الشيخ، وشكا له من الخسائر المتواترة عليه، وطلب الخلاص، وقال: إنني أؤدي الزكاة لأرباب الحاجات وقت حولان الحول، ولا أضن بالصدقات على قدر استطاعتي، لكنني لا أعلم سبب خسارتي. ومهما كان يتضرع ويبتهل، لم يكن الشيخ يلتفت إليه. وعلى هذا النحو عاد خائبًا متبرمًا.

في اليوم التالي، سأل السادة قائلًا: أليس هناك درويش وعزيز آخر يمكن التمتع بصحبته، وبلوغ المقصود، وطلب العون؟ قالوا: إن مثل ذلك الرجل والفارس الذي تبحث عنه هو مولانا جلال الدين. فقد ترك اللذات ما سوى الله. ووطئ برجله دكاكين الكونين، وانشغل بعبادة الله نهارًا وليلًا، وهو بحر المعاني المحيط في تقرير المواعظ والمعارف.

---

(١) **الطواشي**: السادات الذين يكونون في خدمة السلطان أو الأمير.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٩٦.

تضرع السيد التبريزي في شغف تام، قائلًا لهم: دلوني عليه، فقد شعرت بالسرور في باطني بمجرد الاستماع إلى حاله. أرشده بعض السادة إلى مدرسة مولانا، وحمل معه خمسين دينار ذهب معقودة في طرف منديل. ولمَّا دخلوا مدرسة مولانا، كان مولانا قد جلس بمفرده في مكان الاجتماع، واستغرق في مطالعة الكتب.

سجد السادة جميعهم، وفقدوا الصواب، وذهل السيد التبريزي من نظرة واحدة مباركة لمولانا، وبكى كثيرًا. قال له مولانا: لقد كانت دنانيرك الخمسين موضع قبول، والأفضل منها مائتا الدينار التي ضاعت. ويريد الحق تعالى أن يبتليك، ويقدِّر لك أمرًا، فعفا عنك بهذه الصحبة، وتخلصتَ من الآفة. فاحذر، ولا تيأس، فإنك لن تضر بعد اليوم مرة أخرى، ولتطلب العذر عما فات.

احتار السيد المسكين بسبب ذلك النفَس مسكي الرائحة، وسُرَّ، وقال بعد ذلك: إن سبب خسارتك وانعدام بركتك، ونكبتك أنك كنت تذهب ذات يوم إلى محلة في بلاد الفرنجة الغربية. وكان درويش إفرنجي من الأولياء الكبار قد نام في مفترق طرق، وبصقتَ عليه في أثناء مرورك، ونفرت منه. فتأذى قلب ذلك العزيز المبارك منك، ولذلك السبب أصابتك عديد من الحوادث والخسائر، فاذهب، واسترضِه، واطلب الحِل منه، وأبلغه سلامنا أيضًا.

اندهش السيد التبريزي المسكين من هذه الإشارة، قائلًا: أي قدرة ملكية وقوة إلهية تلك! قال مولانا: أتريد أن تشاهده الآن، انظر، وطرَق الحائط بيده المباركة، فانفتح باب من الجدار، وشاهد السيد التبريزي

ذلك الرجل، وقد نام في مفترق طرق في بلاد الفرنجة.

سجد السيد التبريزي في الحال، ومزَّق ثيابه، وانتبه من ذلك السكْر كالمجنون، وسافر، ولمَّا وصل إلى تلك الديار، وكان يطوف في تلك المحلة بحثًا عن ذلك الرجل، وجده نائمًا في المكان نفسه الذي كان قد أُرْشد إليه. فنزل من بعيد، وسجد. قال الدرويش الإفرنجي: ماذا أفعل؟ إن مولانا جلال الدين لا يتركني، وإلا فإنني كنتُ أريد أن أُظهِر لك نفسي، وأُطلِعك على قدرة الله. اقترِب إذن.

اقترب السيد التبريزي، واحتضن السيد، وقبَّله على وجهه، وأمر له بعطايا مختلفة. فقال له الإفرنجي: انظر الآن، حتى ترى شيخي ومولاي، وتشاهده. نظر السيد، فرأى مولانا جلال الدين، مستغرقًا في السماع في المدرسة، ويعبِّر عن الأذواق في هذين البيتين، ويرقص:

شعر (رجز)

ملك يلزمه كل نوع من قبيح وحسن

فكن عقيقًا وياقوتًا أو كن مدرًا وحجرًا فالجميع سواء

لو يطلبك الإيمان ولو يليق بك الكفر

اذهب إلى هذا الحي وكن صادقًا، وامضِ إلى ذاك الحي

وكن إفرنجيًّا

لمَّا عاد السيد التبريزي مباركًا، بَلَّغ مولانا جلال الدين سلام الإفرنجي وتحياته، وآثر الأصحاب بالأسباب الوفيرة، وسكن في قونية، وأصبح من جملة العاشقين المخلصين.

حكاية

رُوِيَ أن سماعًا عظيمًا كان قد أقيم في قصر معين الدين بروانه(1)، وكان الشيوخ الأبرار والعلماء المختارون قد حضروا، وكان مولانا مضطربًا للغاية في تلك الليلة، وكان يصيح باستمرار، وفي آخر الأمر ذهب إلى زاوية القصر، ووقف.

بعد لحظة أمر مولانا بألَّا يقول القوالون شيئًا، فاحتار الأكابر جميعهم، وبعد برهة كانت قد اعترته حال المراقبة خلالها، رفع رأسه، فكانت عيناه المباركتين قد أصبحتا وكأنهما طستان مملوآن بالدم. وقال: تقدموا أيها الأصحاب، وتفرجوا على عظمة أنوار الله عيانًا في عينَي، ولم يستطع أي شخص النظر إلى تلك العين التي بلا نظير، وكل من كان يمعن النظر، كان بصره يزوغ في الحال، ويضعف. وصاح الأصحاب، وسجدوا.

وكذلك نظر مولانا جلال الدين إلى شلبي حسام الدين، وقال: تعالَ يا ديني، تعالَ يا إيماني، تعالَ يا روحي، تعالَ يا سلطاني، والملك الحقيقي، فكان شلبي يصيح، ويذرف الدمع.

وحدث أن نظر بروانه إلى الأمير تاج الدين معتز الخراساني(2)

---

(1) **معين الدين بروانه**: رجل من رجال دولة السلاجقة العظماء، قتل سنة ٦٧٦ هـ.
انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد أول، ص ٩٩.

(2) **الأمير تاج الدين معتز الخراساني**: ابن محيي الدين طاهر، قاضي قضاة جلال الدين خوارزمشاه. وقد أرسله جلال الدين خوارزمشاه مبعوثًا خاصًا له لدى السلطان علاء الدين كيقباد الأول السلجوقي (مدة حكمه ٦١٦-٦٣٤ هـ)، بعد ذلك جاء إلى الأناضول من قبل المغول لتحصيل خراج آل سلجوق. انظر: السابق، ص ١٠٠.

خلسة، وقال: عجبًا، هل ذلك المعنى الذي يقصده مولانا يتحقق في شلبي حسام الدين؟ وهل هو يستحق ذلك الخطاب، أم أن مولانا يتكلف؟ فتقدم شلبي حسام الدين في الحال، وتشبث ببروانه، وقال: لو أنها ليست متحققة أيها الأمير معين الدين، فقد رافقت أرواحنا في الحال لمَّا تحدث مولانا جلال الدين، وأنعم الله بها علينا. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

مصراع (رمل)

أمره كن فيكون وليس موقوفًا على العلل

شعر (رجز)

عُرِفَ أن النحاس يصير ذهبًا بالكيمياء

ولقد جعلَت هذه الكيمياء النادرة النحاس إكسيرًا

وهذا ليس ببعيد عن حسن استقبال مولانا، وشفقته على العباد، وتربيته للمريدين، وليس بديعًا. غرق بروانه في عرق الخجل، وطأطأ رأسه، وطلب المعذرة، وأرسل أموالًا كثيرة امتنانًا لمولانا.

ومن كرامات تلك الحضرة العظيمة كذلك أن أي مخلوق لم يكن يستطيع النظر إلى عينيه المباركتين، بسبب شدة حدة لمعان النور، وقوة الافتتان. وكان يجب على الجميع استراق النظر بسبب ذلك اللمعان، والنظر إلى الأرض.

(١) سورة يس، آية ٨٢.

حكاية

روى ملك المدرسين مولانا شمس الدين الملطي -رحمة الله عليه- الذي كان من كبار الأصحاب المحارم، وكان المشار إليه بالبنان في أنواع الحكم، والمتفق عليه؛ قائلًا: كُنَّا ذات يوم بصحبة مولانا في بستان جنيد الزمان معروف الوقت شلبي حسام الدين، ووضع مولانا جلال الدين قدميه المباركتين في ماء الجدول، وكان يشرح المعارف. وانشغل في أثناء الكلام كذلك بالثناء على صفات سلطان الفقراء مولانا شمس الدين التبريزي، ومدحه مدحًا لا حد له.

تأوه مقبول الأقطاب بدر الدين ولد المدرس -رحمه الله- الذي كان من أكابر الأصحاب الكُمَّل آهةً، وقال: ما أعجبه من حيف! وما أحسنها من آهة! فقال مولانا جلال الدين: لماذا الحيف؟ وأي حيف؟ وأين هذا الحيف؟ وما سبب الحيف؟ وأي شأن للحيف بنا؟ فخجل بدر الدين، وطأطأ رأسه، وقال: إنني أشعر بالحيف، لأننا لم ندرك مولانا شمس الدين التبريزي، ولم نستفد من حضوره المفعم بالنور، أو ننتفع به. وكان تأسُّف العبد وتلهُّفه كله لذلك السبب.

صمت مولانا جلال الدين برهة، ولم يقل شيئًا. ثم قال بعد ذلك: إنك إذا لم تدرك مولانا شمس الدين التبريزي -عظم الله ذكره، فإنك أدركتَ روح أبي المقدسة، الشخص الذي علق مائة ألف شمس تبريزي في كل شعرة من شعره، واحتاروا في إدراك سِر سِره.

شعر (رمل)

شمس التبريزي الذي هو الملك والمحبوب

هو حارسنا مع مُلكه كله

سُرَّ الأصحاب، وأقيم مجلس السماع، وبدأ مولانا في إنشاد هذا الغزل:

شعر (منسرح)

نطقت شفتاي بغتة باسم الورد والبستان

فجاء متورد الوجه ذلك وضربني على فمي

وقال: إنني السلطان، وأنا حياة البستان

أيوجد سلطان مثلي، وعندئذ تذكر فلان!

إلى آخره.

ويُقال: إن شلبي بدر الدين كان قد استلقى أربعين يومًا عاجزًا مهجورًا، واستغفر، فصح جسده، وشرف بعناية الشيخ الخاصة.

وروى كذلك الشيخ محمود صاحب القران، الذي كان قد فاق أترابه وأقرانه، أن القاضي الشهيد المرحوم مولانا عز الدين القونوي(١)، الذي كان وزير السلطان عز الدين كيخسرو -رحمهما الله، وبنى مسجدًا

---

(١) **القاضي عز الدين القونوي:** وهو القاضي عز الدين محمد بن محمود الرازي، قُتل في ٦٥٤ ه أو ٦٥٦ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٠٣.

جامعًا لمولانا في دار الملك قونية، وكان رجلًا عالي الهمة؛ سأل مولانا قائلًا: لقد طالعنا كتبًا في كل فن وعلم من علوم الظاهر طالعتها أنت، على قدر استعدادنا ووسعنا، واجتهدنا في دراستها اجتهادًا لا حد له، لكننا لا نحظى بأي علم أو خبر منها؛ مما صار معلومًا ومفهومًا لك، ولم تدرك عقولنا تلك المعاني أصلًا. فابتسم مولانا، وقال: بلى، لقد اطَّلعنا على ورقتين أو ثلاث من علم الإقبال الذي هو علم الله الذي لم يصل إليكم، ولم تسمعوا عنه. بعض يتعلم، ويُعَلِّم بعضًا. ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ ﴾[1].

شعر (رمل)

العقل الذي يوجد منذ دوران زحل

لا مجال له أمام عقلنا

لقد صار عالمًا بعطارد وزحل

وعلمنا نحن بعدل الصانع اللطيف

علم الإنسان آية طغرائنا

علم عند الله هو مقصدنا

طأطأ القاضي رأسه في الحال، وخرج وهو يبكي.

رُوِيَ كذلك: أن القاضي عز الدين كان منكرًا للسماع بشدة في بداية حاله. وذات يوم اضطرب مولانا جلال الدين اضطرابًا شديدًا، وخرج من مدرسته للسماع.

---

(١) سورة الجمعة، جزء من الآية ٤.

دخل مولانا جلال الدين حجرة القاضي عز الدين، ونادى عليه، وأمسك بتلابيبه، وقال: انهض، وتعالَ إلى محفل الله. وسحبه إلى مجمع العاشقين، وأطلعه على ما يناسبه. فمزق القاضي عز الدين ثيابه، وأقبل على السماع، وكان يدور، ويصيح. وفي عاقبة الأمر، التحق بإرادة مولانا، وأصبح مريدًا مخلصًا تمامًا.

رُوِيَ كذلك أن القاضي عز الدين القونوي، والقاضي عز الدين الآماسي، والقاضي عز الدين السيواسي -رحمهم الله تعالى- الذين كانوا ثلاثتهم من كبار عصرهم؛ سألوا مولانا يومًا: ما طريقتك؟ فقال: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1].

روى جماعة من الأصحاب كذلك أن القاضي عز الدين لمَّا أتم بناء المسجد الجامع في قونية، عقد مجلسًا عظيمًا امتنانًا، ووزع الدنانير على أرباب العلم، وأصحاب العمل، والحُفَّاظ الكرام. وطلب من مولانا أن يعظ في هذا المسجد الجديد، فأجابه مولانا إلى طلبه.

بعد أن انشغل مولانا بوعظ الخلق ونصحهم، حكى حكاية في أثناء الوعظ، وقال: كان هناك طوير في الإقليم الفلاني، ليس له شعر في رأسه. وكان كمال الدين المُعَرِّف[2] يثني عليه، ويقول: أحسنت أيها السلطان الحقيقي، أشكرك على أدبك. فأصبح نائب القاضي مولانا

---

(١) سورة يوسف، جزء من الآية ١٠٨.

(٢) **المُعَرِّف:** هو الشخص الذي كان ينطق أسماء الواردين وألقابهم بصوت عالٍ في المحافل الكبيرة أو في مجالس الأمراء والسلاطين والقضاة، وكان يحدد أماكن الواردين ومحالهم.
انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٠٥.

ركن الدين مريدًا له في اللحظة نفسها، بسبب لطافة تلك الكلمة التي كان قد قالها. ذلك لأن القاضي عز الدين، وكمال الدين أمير المحفل، كليهما كان أقرع، وليس لديه شعر في رأسه. وقد حكى مولانا جلال الدين تلك الحكاية على نحو لم يؤذِ مشاعرهما.

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين كان يمر في محلة ذات يوم. وكان شخصان غريبان يتناقشان ويتشاجران معًا، وكانا يتجادلان. فوقف مولانا بعيدًا، وكان يستمع.

كان أحدهما يقول للآخر: يعني أنك تتحدث إليَّ، فوالله والله، لو تقول لي كلمة واحدة، فإنك سوف تسمعِ ألف كلمة. فتقدم مولانا جلال الدين، وقال: لا، لا، تعالَ، وقل لي كل شيء جدير بالقول لديك. فلو تقول ألف كلمة، لن تسمع كلمة واحدة. فأحنى الخصمان كلاهما رأسيهما على قدم مولانا، وتصالحا.

روى مولانا شمس الدين الملطي -رحمه الله- كذلك أن عالمًا متبحرًا في العلم كان قد جاء مع تلاميذ مستدلين لزيارة مولانا، وكانوا يريدون أن يسألوه أسئلة على سبيل الاستفسار، أو على سبيل الامتحان. وقال بعضهم لبعض: عجبًا، كيف يكون نصيب مولانا من اللغة العربية؟ فإن أستاذنا لا نظير له في ذلك الفن.

ولمَّا زاروا مولانا، وجلسوا، بدأ يحكي لهم حكاية، بعد أن تحدث إليهم بمعارف كثيرة، ولطائف لا تحصى، وقال: إن فقيهًا صادقًا كان قد اتفق مع عالم نحو فصيح، ووصلا إلى حافة بئر فجأة، وكانت البئر قد صارت خرابًا يبابًا.

استهل الفقيه الكلام قائلًا: وبير معطلة[1] من دون همزة. فغضب النحوي، وقال: قل: وبئر، واقرأها مهموزة، تكن أكثر فصاحة. وعلى هذا النحو طال الجدال بين الفقيه والنحوي للغاية، وكانا يتصفحان كتب الصرف والنحو جميعها من أجل بيان همزة الإعلال، ومَلَّا من سوق الدلائل على القول. وفي عاقبة الجدال، لم يصلا إلى منزل أو عمران أصلًا، وبقيا في ظلمة الليل.

وبينما كانا قد عكفا على البحث، سقط النحوي -قضاءً وقدرًا- في بئر عميقة، فكان يصيح من داخل البئر، وينادي قائلًا: يا رفيق الطريق، أيها الفقيه الشفيق، خلِّصني من هذه البئر المظلمة حسبة لله تعالى. فقال له الفقيه: أخلِّصك بشرط أن تحذف الهمزة من كلمة البئر. ولم ينجُ النحوي الفقير المسكين -الذي كان قد اغتر بعلمه- من تلك البئر، ما لم يحذف الهمزة من كلمة البئر.

وعلى هذا النحو إنك لا تنجو من بئر الغرور المظلمة، التي هي بئر الطبيعة والنفس، وغيابة الجب[2]، ما لم تحذف همزة التردد، وتمحُ وجودك عن ذاتك مثل حمزة، ولا تدرك فضاء صحراء ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[3] قَط. وفي اللحظة ذاتها خلع جميع العلماء العمائم، وقطعوا زنار الإنكار، والتحقوا بإرادته بصدق تام، وأصبحوا مريدين مخلصين له.

---

(١) إشارة إلى: سورة الحج، آية ٤٥.

(٢) إشارة إلى: سورة يوسف، آية ١٠.

(٣) سورة الزمر، آية ١٠.

شعر (رمل)

راهناً النحوي على النحو

وعلمناكم نحو المحو[1]

اعلم أن المحو يلزمك هنا لا النحو

فلو أنك فانٍ، فانزل الماء من دون خطر

أيها الرفيق اللطيف، إنك قلما تعرف

فقه الفقه ونحو النحو وصرف الصرف

حكاية

رُوِيَ كذلك أن بعض الأصحاب كانوا يذكرون خيرات معين الدين بروانه، ويتحدثون عن عدله في حضرة مولانا جلال الدين، ويقولون: لقد اطمأن العلماء بوجوده شديد الجود، وكان هناك أمن عظيم ووفرة ونعم لا حد لها، واجتمع العلماء والشيوخ والأفاضل في المدارس والخوانق في عهده، ونعموا بالرفاهية، وكانوا يثنون عليه ثناء بلا حد.

قال مولانا: صدق الأصحاب، وهو كما يصفونه وأكثر، لكن هناك

---

(١) **المحو**: المحو ذهاب الشيء: إذا لم يبقَ له أثر، وإذا بقي له أثر فيكون طمسًا. قال النوري -رحمه الله: الخاص والعام في قميص العبودية، إلا من يكون منهم أرفع. جذبهم الحق، ومحاهم عن نفوسهم في حركاتهم، وأثبتهم عند نفسه. والمحو بإزالة أوصاف النفوس. أو المحو: محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه ومأمنه. قال ابن عطاء: يمحو أوصافهم، ويثبت أسرارهم. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ١٥٨.

شيئًا آخر، وهذه الحكاية تشبه تلك الحكاية: كانت جماعة الحجاج تذهب لزيارة الكعبة، وفي طريق البادية مرضت ناقة درويش، ولم تنهض مهما حاولوا معها، فحَمَّلوا حملها على ناقة أخرى، وتركوها، ومضوا.

وفي اللحظة ذاتها تحلقت الحيوانات المفترسة، والسباع البرية حول الناقة، لكن أحدًا لم يكن يقترب منها. فاندهشت قافلة الحجاج من هذه الحال، وقالوا: عجبًا، لماذا لا تفترسها الحيوانات، وتمتنع عنها!

عاد شخص من القافلة، حتى يدرك الحال. فوجد تعويذة معلقة في رقبة الناقة. ولمَّا فك التعويذة عنها، ومضى. هجمت عليها الحيوانات المفترسة في الحال، ومزقتها إربًا إربًا.

من ثم اعلموا وأدركوا أن هذا العالم مثل تلك الناقة، والعلماء والأمراء والفقراء وغيرهم في هذا العالم مثل قافلة الحجاج تلك، وأن وجودنا مثل تلك التعويذة التي قد علقت في رقبة الناقة. وهي تعمل، ما دامت تلك التعويذة معلقة في رقبتها، وتسير قافلة العالم في أمان. وما داموا يفكون التعويذة عن رقبة ناقة العالم، مصداقًا لقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾[1]، عندئذ تشاهدون كيف يصبح العالم، وإلى أين يذهب الناس، وبأي طريقة يهلك السلاطين وأرباب العلم والقلم. فصاح الأصحاب، وانتحبوا.

---

(١) سورة الفجر، الآيتان ٢٧، ٢٨.

ويقولون: في تلك الأيام التي انتقل فيها مولانا، ولم يَمُر عام كامل، حتى رحل سلاطين الدنيا جميعهم، وأساطين الدين، والأكابر والسادة واحدًا تلو الآخر. وبقي إقليم الروم يتيمًا حزينًا، وانقلب العالم رأسًا على عقب، وزالت آثار السعادة والرفاهية والبهجة عن جميع أنحاء العالم تمامًا. حدث كذلك، كما كان قد قال إلى ما شاء الله.

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين تواجد(١) في أثناء السماع للغاية، واعترته أحوال بلا نهاية، وقال في أثناء تلك الحال: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه.

فجأة تقدم درويش عارف، وهو يصيح. وبالرغم من أنها تعد جرأة، فإن السكارى لا يؤاخَذون. وقال: إن هذا اللفظ فيه ظرفية صريحة، ولا يجوز إطلاق هذا اللفظ في حق البارئ تعالى، أو أن الله يكون في ظرف، أو أن يوجد ظرف في العالم ويكون هو مظروف ذلك الظرف. ويلزم نقض القول بأن شيئًا يحيط به، أو بأن يكون الله داخل شيء أو حيز.

قال مولانا جلال الدين له: لو أنك ثمل، فنحن سكارى أيقاظ. وإذا لم يكن هذا الكلام كاملًا تامًّا، لَمَا قلناه. بلى، يلزم النقض عندما يكون الظرف غير المظروف، ويكون الظرف والمظروف شيئين. وكما أن

---

(١) **الوجد:** الوجد يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف. ولهذا قال المشايخ: الوجد المصادفة، والمواجيد ثمرات الأوراد، فكل من ازدادت وظائفه، ازدادت من الله تعالى لطائفه. والوجد مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده. وسُئل بعضهم عن الوجد فقال: الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ١٨٢.

عالم الصفات قد صار ظرف عالم الذات، وكلاهما شيء واحد لا غير، فإنهما يبدوان اثنين. فكيف يلزم النقض، ما دام العالمان هما عالم واحد في الحقيقة؟

إن الحق تعالى محيط بالخارج وبالداخل، إذا لم نقل بأن له داخلًا، فإنه لا يكون محيطًا بالداخل. وهو محيط بالأشياء كلها والقوام وقيام الكل بوجود واجب الوجود. ومن ثم فهو الظرف، وهو المظروف أيضًا، لأن الإحاطة بكل الموجودات تلزمه. وهو بكل شيء محيط. فسجد الدرويش في الحال، وأصبح مريدًا له.

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين كان قد جلس في دكان الشيخ صلاح الدين زركوب[١] -رضي الله عنه. وكان الأصحاب قد تحلقوا حول الدكان، وكان قد انشغل بشرح المعارف والأسرار.

فجأة دخل رجل عجوز، وهو يقرع صدره، ويصرخ. ثم وضع رأسه على قدم مولانا، وانتحب، وقال: لديَّ ولد في السابعة من عمره، وقد سرقوه، وبحثت عنه بضعة أيام حاسر الرأس، حافي القدم، عاجزًا، ولم أجده.

---

(١) **صلاح الدين زركوب:** هو صلاح الدين فريدون القونوي، المعروف بـ«زركوب»، صوفي القرن السابع الهجري ومحبوب مولانا جلال الدين الرومي وخليفته الأول. كان صلاح الدين مريدًا وتلميذًا للسيد برهان الدين محقق الترمذي. وكان جلال الدين يبدي اهتمامًا خاصًّا وارتباطًا شديدًا واعتقادًا كبيرًا فيه؛ فكان هذا سبب حسد المريدين وحقدهم عليه. والتحق صلاح الدين بخدمة جلال الدين عشر سنوات، وتوفي سنة ٦٥٧ هـ. وعهد جلال الدين بخلافته لحسام الدين شلبي.

انظر: ويكي پديا دانشنامۀ آزاد fa.wikipedia.org

احتد عليه مولانا قائلًا: إنه شيء عجيب! لقد ضل جميع العالمين الله، وهم لا يبحثون عنه أصلًا، ولا يطلبونه، ولا يقرعون صدورهم. فماذا جرى لك حتى تقرع صدرك؟ رجل عجوز وتهلك نفسك، وتتذلل بسبب الهوس بطفلك، لماذا لا ترجو خالق العالم لحظة، ولا تطلب العون والغوث منه، حتى تعثر على يوسف الضال مثل يعقوب؟ فطأطأ الرجل العجوز المسكين رأسه في الحال، واستغفر، واستتر.

وأخبروه -وهو في هذه الحال- بأن الولد المفقود عُثر عليه. وفي ذلك اليوم صار عدد من الخلق لا حصر له عاشقين لمولانا ومريدين له.

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين كان يتحدث بالمعاني والحقائق في مجمع، ودخل شاب معتبر من الباب فجأة، وجلس أعلى شيخ.

قال مولانا بعد برهة: هكذا كان الأمر الإلهي في الزمان الماضي؛ أن كل شاب كان يجلس أعلى المشايخ، كانت الأرض تنخسف به في الحال. وعلى هذا النحو كان قصاص تلك الأمة. لكني في هذا الزمان أرى الشباب اليافع يركل مشايخ الطريقة من دون خجل أو دهشة! ولا يفكرون أبدًا في خسف العاقبة ومسخ الباطن.

وقال: إن أسد الله الغالب علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- كان يذهب إلى مسجد الرسول لصلاة الصبح. فشاهد في وسط الطريق رجلًا عجوزًا يهوديًّا يتقدمه. فاحترم أمير المؤمنين الرجل العجوز، لأن الفتوة والمروءة وحسن الخلق كانت أخلاقه، ولم يسبقه، وكان يتعقبه في بطء.

لمَّا وصل علي بن أبي طالب إلى مسجد الرسول، كان المصطفى

-عليه السلام- قد ركع الركعة الأولى. وفي الحال جاء جبريل بأمر الجليل، ووضع يده على ظهر الرسول المبارك، حتى يتمهل برهة، فلا يُحْرَم علي المرتضى من ثواب ركعة صلاة الصبح الأولى، لأن ثواب الركعة الأولى أفضل من عبادة مائة سنة مقبولة. والركعة الأولى خير من الدنيا وما فيها[1]. هو قول الرسول.

وبعد أن فرغ المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- من الصلاة والأوراد المعهودة، ودعا، سأل جبريل الأمين: ما السر فيما جرى اليوم؟ فقال جبريل: السبب هو: لمَّا كان علي يأتي إلى المسجد، صادف يهوديًّا عجوزًا، فأعزَّه، وبَجَّله، ولم يسبقه بخطوة. ولم يشأ الملك القديم سبحانه وتعالى أن يبقى علي المكي بلا نصيب من نصاب ثواب صلاة الصبح، فأمر بمثل هذه العناية. ومن ثم لمَّا راعى علي المرتضى -رضي الله عنه- حرمة الشيخ اليهودي، حظي بمثل هذه الكرامات من الحق تعالى في مقابل مراعاة تلك الحرمة.

قِس على ذلك. لو يكرم عاشق صادق شيخًا قد هَرِم في سبيل الله، وشابت محاسنه في ملة الإسلام، وأدرك صحبة مشايخ المعنى، وصار

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها.

الراوي: عائشة أم المؤمنين

المحدث: أبو نعيم

المصدر: حلية الأولياء

خلاصة حكم المحدث: هو الصواب

التخريج: أخرجه مسلم

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

مقبولًا من الحق، ويرعى حرمته، ويجلّه، ويعتقد فيه، يغدق الحق تعالى عليه بالنعم الوفيرة عوضًا عن ذلك، وأي لطف يتلطف به عليه!

والعزة لله في الحقيقة ولرسوله ولعباده المخلَصين. ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والله، والله، لو أنك تريد أن تكون قرينًا للحظ السعيد دائمًا. فتشبث بأذيال الشيخ المعنوي. فإن الشاب لم يصبح شيخًا قَط من دون عناية الشيخ الحقيقي، ولم يبلغ كرامة مشايخ المعنى.

شعر (رمل)

اخترَ شيخًا، لأن هذا السفر من دون شيخ
محفوف بالآفات والخوف والخطر
لقد أسميت الحظ السعيد، الشيخ
لأنه شيخ من الحق، لا بفعل الأيام
إنني لا أبحث بعد هذا عن طريق الأسير
بل أبحثُ عن شيخ، أبحث عن شيخ، عن شيخ، عن شيخ

رُوِيَ كذلك أنه كان يتحدث بالمعاني في مدرسته المباركة، وقال: يقول الحق سبحانه وتعالى في القرآن المجيد: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2]، وقد نسب إليه الصوت المُنكر والمكروه من بين جميع الحيوانات؛ ومعروف للأصحاب ماذا يعني.

---

(١) سورة المنافقون، جزء من الآية ٨.

(٢) سورة لقمان، جزء من الآية ١٩.

طأطأ الأصحاب رؤوسهم، وطلبوا منه تفسير ذلك المعنى. فقال: إن لسائر الحيوانات مناجاة ووِردًا وتسبيحًا مخصوصًا، يذكرون به خالقهم ورازقهم، مثل: حنين الجمل، وزئير الأسد، وأنين الماعز، وطنين الذبابة، ودَوِيِّ النحل، وغيرها. وللملائكة في السماء تسابيح وزجل، وللإنسان تسبيح وتهليل وعبادات باطنية وبدنية مختلفة. إلا الحمار المسكين، فإنه ينهق في وقتين محددين: الوقت الأول حين يرغب في الجماع، والوقت الآخر حين يجوع. كما أنهم قد قالوا:

شعر (رمل)

كحمار السوء إن أشبعته

ضرب الناس وإن جاع نهق(١)

ومن ثم فالحمار دائمًا عبدُ الفرج والحَلْق. وعلى هذا النحو فإن كل شخص لا تكمن طاعة الله وأنين العشق في روحه، ولا يشغل الهوس والأسرار فكره، فهو عند الله تعالى أقل من حمار. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ﴾(٢). نعوذ بالله منه.

---

(١) بيت للشاعر ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدرامي التميمي، شاعر عراقي من أشراف تميم، ولُقِّب بالمسكين، وهو من شعراء العصر الأموي.

وقد ورد البيت على هذا النحو:

أو حمار السوء إن أشبعته رمح الناس وإن جاع نهق

aldiwan.net

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية ١٧٩.

شعر (رمل)

اعلم أن هذه النفس البهيمية حمار

وهي أدنى منه وأكثر قبحًا

ولو أنك لا تعرف الطريق، فافعل عكس كل ما أراده الحمار

فذلك هو الطريق القويم

وقال بعد ذلك: طلب ملك ثلاثة أشياء من ملك آخر -على سبيل الامتحان- لا يوجد أسوأ منها، الأول: طعام خبيث، والثاني: نفس خبيثة، والثالث: حيوان خبيث. فأرسل له هذا الملك: الجبن من الأطعمة، والغلام الأرمني من النفوس الفاسدة، والحمار من الحيوانات. واستهل الرسالة بهذه الآية: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين كان يذهب ذات يوم مع جمع الأصحاب إلى بستان شلبي حسام الدين، وكان مولانا قد امتطى حمارًا في ذلك اليوم، وقال: إنه مركب الصالحين. وقد امتطى عديد من الأنبياء الحمار، مثل: شيث والعزيز والمسيح ورسولنا -عليهم السلام.

---

(١) سورة لقمان، جزء من الآية ١٩.

شعر (رمل)

اركب حمارًا مسكينًا يا أبا الفضول

فإنه ليس مسكينًا وقد ركبه الرسول

كان الصاحب الرباني شهاب الدين المتكلم قد امتطى بهيمة، ونهق حماره فجأة. فضرب المذكور الحمار على رأسه عدة ضربات غاضبًا. فقال له مولانا: لماذا تضرب الحيوان المسكين؟ ألأنه يحمل أحمالك؟ ألا تشكره، وأنت الراكب، وهو مركوبك؟ ونعوذ بالله، إذا كان الأمر عكس ذلك. ماذا سوف تفعل؟ إن نهيقه الآن لا يخرج عن حالين: إما من أجل الحَلْق، أو من أجل الفرج. وجميع الخلق مشتركون في هذا الأمر، ومنشغلون به دائمًا، ومهووسون به. ومن ثم ينبغي قرع الجميع على رؤوسهم، وتوبيخهم. فندم شهاب الدين، ونزل، وقَبَّل حافر ذلك الحيوان، وترفق به.

رُوِيَ كذلك أن أحدهم كان يحكي، ويشكو من قلة المنال، وضيق الحال. فقال له مولانا جلال الدين: اذهب، ولا تصحبني بعد اليوم، حتى تواتيك الدنيا. وقال:

شعر (هزج)

تعالَ، وكن مثلي يا قمري الوجه، ولا تبحث عن الثروة

ولا تطلب النعمة

فلو أن هذا كان يتوفر لإبليس، لكان ملكًا وصاحب علم

وقال كذلك: إن صحابي قال للرسول -عليه السلام- ذات يوم: إنني أحبك. فقال له: ولماذا انتظرت؟ ارتدِ الدرع الحديدي، واستقبل البلاء، واستعد للقلة، من دون هدايا المحبين والعاشقين.

شعر (سريع)

قال: ألستُ؟ وقلتَ: بلى

فما سر بلى؟ إنه تحمُّل البلاء

وقال أيضًا: سأل عارف مُنعَّمًا: هل تحب المال أم الإثم؟ فقال: أحب المال. قال العارف: إنك لا تقول الصدق، بل إنك تحب الإثم والوبال أكثر من المال، ألا ترى أنك تدخر المال، وتتحمل الوبال والإثم، وتؤاخذ عند الله تعالى؟ فلو أنك رجل، اجتهد في أن تحصل على المال من دون إثم، وما دمت تحبه، فالوسيلة هي أن تكثر من إرسال مالك لله تعالى ذي الجلال، حتى يدبر لك الأمور هناك. ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[1].

حكاية

روى كذلك الأصحاب الذين كانوا مَحرم الأسرار، ومُحرمي إحرام كعبة الأحرار -رضوان الله عليهم أجمعين، أن معين الدين بروانه -أعلى الله درجته- كان قد اجتمع مع الأكابر في قصره ذات يوم. وحضر في ذلك المجلس جميع العلماء والشيوخ وأرباب الفتوة والمنزوون في الخلوة والمسافرون الذين كانوا قد جاءوا من الأقاليم. وتصدر الصدور

(١) سورة المزمل، جزء من الآية ٢٠.

العظماء المجلس، وجلسوا في الصدارة. وتمنى بروانه لو أن مولانا جلال الدين كان يتكرم بحضوره المفعم بالنور، فقد كان شرف الزمان.

كان مجد الدين الأتابك[1] -الذي كان صهر بروانه، وكان مريدًا لمولانا- رجلًا فاضلًا للغاية معتقدًا في مولانا، فنهض، وأقدم على دعوة مولانا. ففجفج الصدور والأكابر مشوشي الصدور، وقالوا: لو يأتي مولانا، أين يجلس؟ واتفقوا، وقالوا: لقد جلسنا على مقاعد عِزِّنا، وليجلس هو أيضًا حيثما يريد.

لمَّا بَلَّغ مجد الدين الأتابك الرسالة بعبارات بليغة، جمع مولانا جلال الدين، شلبي حسام الدين والأصحاب، ومضوا. وكان الأصحاب يتقدمون، وكان مولانا يتعقبهم.

لمَّا دخل شلبي حسام الدين قصر بروانه، أكرمه جميع الأكابر، وأفسحوا له مكانًا أعلى الصُّفَّة. ثم وصل مولانا عقبه، فهرول بروانه وأركان الدولة إليه. وكان بروانه يُقَبِّل يده المباركة ويعتذر قائلًا: تعب مولانا، لكن العباد رُحِموا. وكان يتلطف به.

لمَّا دخل مولانا جلال الدين القصر، وجد أن الأكابر قد جلسوا أعلى الصُّفَّة وأسفلها، فقال: «السلام عليكم ورحمة الله»، وجلس في صحن القصر.

---

(١) **مجد الدين الأتابك:** هو مجد الدين علي بن محمد الحسن المستوفي الأرزنجاني، وتوفي ٦٧٦ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١١٨.

نهض شلبي حسام الدين، ونزل، وجلس بجوار مولانا، ونزل أغلب الأكابر؛ موافقة له. وبقي أولئك الذين كانوا قد اتفقوا بسبب غلبة النفاق، مثل: ناصر الدين والشيخ شرف الدين هريوه والسيد شرف الدين، ومن تابعهم من السفهاء. وكان كل واحد منهم مكتبة في العلوم المختلفة.

ويقولون: إن السيد شرف الدين كان رجلًا حكيمًا ومتكلمًا ومقدامًا وماكرًا. فلمَّا شاهد هذه الحال، وأن جميع الأكابر هرولوا من أعلى إلى أسفل موافقة له، وأن مثل ذلك الصدر جعل صف النعال مكان الصدارة، وبقيت الصدور خالية، استهل كلامه قائلًا: أين الصدر في هذه الحال؟ وأي مكان يُطلق عليه الصدر في مذهب أهل الطريقة؟ فقال القاضي سراج الدين: الصدر هو وسط الصُّفَّة في مدارس العلماء، وهو موضع مسند المدرس.

وقال الشيخ شرف الدين هريوه: الصدر هو ركن الزاوية في طريقة المعتكفين ومشايخ خراسان.

وقال الشيخ صدر الدين: إنهم يطلقون في مذهب الصوفية على جانب الصُّفَّة في الخوانق الصدر، وإنه في الحقيقة صف النعال.

بعد ذلك سألوا مولانا على سبيل الامتحان: أين محل الصدر في سُنَّتكم؟ فقال:

شعر (رمل)

شتان بين العتبة والصدر في المعنى

أين نحن وأنا؟ إننا في تلك الناحية حيث يوجد محبوبنا

الصدر هو ذلك المكان الذي يوجد فيه المحبوب.

فقال السيد شرف الدين: وأين المحبوب؟ فقال له: إنك أعمى، ولا ترى.

شعر (هزج)

إنك لا تملك عينًا تنظر بها إليه

وإلا فإنه الكل من رأسك إلى قدمك

نهض مولانا جلال الدين، وبدأ مجلس السماع، وجلجل السماع حتى إن جميع الأكابر مزقوا ثيابهم. وفي عاقبة الأمر، لمَّا جاء السيد شرف الدين إلى دمشق بعد وفاة مولانا، أُصيب بالعمى. وكان الأصحاب يذهبون في بعض الأوقات لرؤيته، فكان ينوح، ويبكي قائلًا: وا أسفاه، وا أسفاه؛ ما أكثر ما ابتليت به روحي!

وكان السيد شرف الدين يحكي، ويقول: في تلك اللحظة التي نادى فيها مولانا عليَّ، شاهدتُ سرادقًا أسودَ شُدَّ أمام عيني، ولم أستطع إدراك الأشياء مرة أخرى، أو رؤية ألوانها، لكني أرجوه أن يعتني بي، أنا المسكين المغرور، فإن ألطاف الأولياء بلا نهاية. كما أن قوله السديد هو:

شعر (هزج)

لا تيأس بسبب جرم ارتكبته

فإن بحر الكرم يقبل التوبة

يمحو التسبيح والطاعات ذنبك

لدى قابل التوب عديم النظير

وحكى بعض أرباب الأحباب حكاية كذلك فحواها: لقد وقعت هذه الحادثة في زمان جلال الدين القرطائي[1]، وأنه أمر بعقد مجلس كبير، لمَّا أتم بناء مدرسته. وفي ذلك اليوم ذاته تناقش أكابر العلماء حول الصدر، وفي أي موضع يكون.

وكان مولانا شمس الدين التبريزي قد قدم إلى نوى في ذلك اليوم، وكان قد جلس وسط الناس في صف النعال. وسألوا مولانا جلال الدين: أي مكان يطلق عليه الصدر؟ فقال: صدر العلماء في وسط الصُّفَّة، وصدر العرفاء في زاوية البيت، وصدر الصوفية في جانب الصُّفَّة، والصدر بجوار المحبوب في مذهب العاشقين. ثم نهض، وجلس إلى جوار شمس الدين التبريزي. ويقولون: إن مولانا شمس الدين التبريزي اشتهر بين أكابر قونية في ذلك اليوم. وقد وقعت هذه الحكاية مرة أخرى في عهد بروانه.

---

(١) **جلال الدين القرطائي:** من كبار رجال دولة السلاجقة، توفي ٦٥٢ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٢١.

رُوِيَ كذلك أن معين الدين بروانه كان قد أقام مجلس سماع لمولانا جلال الدين، حضره جميع العلماء والعارفين، وتأجج السماع حتى منتصف الليل. وقد برد الثريد كله، وصار بائتًا.

استدعى بروانه الشيخ محمد الخادم، وعرض عليه مسألة الطعام، وكان يريده أن يبلغ مولانا جلال الدين بذلك عن طريق الكناية. فقال مولانا جلال الدين: من يوقف الساقية، ويعطلها، ويثبتها؟ حتى لا يحمل أميرُ الماءِ الماءَ؟ فطأطأ بروانه رأسه، وأذرف الدمع، وأمر بتوزيع الثريد، وأعدوا طعامًا طازجًا.

حكاية

ورد في الخبر أن أبقراط الزمان[1] مولانا أكمل الدين الطبيب -طيب الله ثراه- كان من أكابر حكماء الروم، ولم يكن له نظير. وكان قد جاء لزيارة مولانا، قبل أن يصبح مريدًا له.

أمره مولانا جلال الدين بإعداد مُسَهِّل وحبات من أجل سبعة عشر صاحبًا مختارًا. وانشغل الأصحاب الكرام برعايته. وفي ذلك اليوم الذي كان يوم تناول الدواء، ذهب مولانا جلال الدين في الصباح إلى بيت أكمل الدين. وأخبروا الحكيم، فخرج، وطأطأ رأسه. دخل مولانا، واحتسى الأقداح السبعة عشر -التي كانت قد أعدت- واحدًا تلو الآخر،

---

(١) **أبقراط**: طبيب يوناني، ولد في ٤٦٠ ق. م تقريبًا، وتوفي ٣٧٠ ق. م. ويعد من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب، وهو سابع الأطباء العظماء في تاريخ اليونان، ولقبه العرب بأبي الطب. وعُرِف أيضًا باسم أبقراط الثاني.

انظر: ar.wikipedia.org

وكان يقول في كل مرة: الحمد لله رب العالمين.

اندهش أكمل الدين بسبب الهيبة من تلك الحال، ولم يكن هناك مجال لقول. بعد ذلك مضى إلى مدرسته، وأخبر الأصحاب جميعًا بهذه الحال، فاندهشوا، إذ كيف سوف يصبح مزاج مولانا المبارك اللطيف الرقيق الشغوف بالرياضة!

انشغل مولانا بالمعارف زمنًا، وكان يتمايل مرحًا. فاضطر أكمل الدين إلى أن ينهض، وقصد المدرسة، حتى يدرك الحال. فيجد مولانا وقد استند إلى محراب المدرسة مثل الشمس. وانشغل بشرح الحقائق، وبسط الدقائق.

طأطأ أكمل الدين رأسه، وسأل مولانا جلال الدين: كيف حال مزاجك المبارك وطبعك؟ فقال له على سبيل المطايبة: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[1]. فقال له: ليجتنب مولانا الماء. فأمر مولانا في الحال، فأحضروا الجليد، وكسروه. وأخذ مولانا يتناول قطع الثلج، وأكل منها كمًّا لا يمكن وصفه!

بعد ذلك ذهب مولانا إلى الحَمَّام، ولمَّا فرغ من الاستحمام، شرع في السماع، واستمر فيه ثلاثة أيام بلياليها. فكان أكمل الدين يلقي بالعمامة على الأرض، ويصيح قائلًا: إن هذه الحال ليست في مقدور البشر، وإن هذه القدرة لم تظهر على شخص من الأولياء. وفي اللحظة نفسها أصبح هو وأولاده وأعقابه مريدين وخادمين له.

---

(١) سورة التوبة، جزء من الآية ٧٢.

وحكى أكمل الدين الحكاية لحكماء العهد وأطبائه، فالتحقوا بإرادته جميعًا في إخلاص تام، وأقروا بأن هذا الرجل الشجاع مؤيد من عند الله، وبأنه ذات عالية الصفات، وحكيم إلهي.

شعر (رمل)

لو يتناول الولي سُمًّا، يستعذبه

ولو يتناوله طالبًا، يهلك

لذلك لم يُضِر الفاروق سُمًّا

وقد كان ترياق الفاروق له قندًا

وكذلك كان النقاش قد احتد في تلك الأيام بين حكماء المدينة وعلماء الدهر، إذ هل النفس الإنسانية تحيا بالدم أم بشيء آخر؟ فأجمع الأطباء على أنها تحيا بالدم من دون شك. فلو أن دم الإنسان يُستنزف تمامًا، فإنه يموت في الحال. والتزم الفقهاء بذلك.

جاء العلماء إلى مولانا جلال الدين، وعرضوا عليه هذه المسألة، فقال: لقد ثبت من دون شك أن الناس يعيشون بالدم. فقالوا جميعًا: هكذا هي الحال في مذهب الحكماء، وقد ساقوا الأدلة الحكمية والبراهين المعقولة على ذلك. فقال مولانا: إن مذهب الحكماء ليس كذلك. بل إن الإنسان يحيا بالله لا بالدم. ولم يكن هناك مجال لأي شخص، حتى يقول، لِمَ، ولا نُسَلِّم.

شعر (رمل)

لا يجرؤ الفلسفي على أن يتحدث

وإن تحدث، يفحمه الدين الحق

أمر مولانا بعد ذلك بأن يحضروا الفصادين. وبمجرد أن فصدوا يديه المباركتين، خرج الدم كله من العروق. ولم يبقَ في موضع الوخز سوى سائل أصفر. والتفت مولانا إلى الحكماء وقال: كيف الحال؟ لقد عاشوا بالدم أم بالله؟ فطأطأ الجميع رؤوسهم، وآمنوا بقدرة العارفين. ونهض مولانا في الحال، ودخل الحَمَّام، ولمَّا خرج منه، شرع في السماع.

قال مولانا شمس الدين الملطي -رحمه الله- كذلك: كنتُ قد ذهبت إلى مولانا جلال الدين ذات يوم، فوجدته كان قد جلس بمفرده في مكان الاجتماع في المدرسة. فسلمتُ عليه، وجلست.

قال مولانا جلال الدين: «اقترِب». فاقتربت قليلًا. وأخذ يردد: «اقترِب» عدة مرات. فزحفت، حتى لامسَت ركبتِي ركبته المباركة، واقشعر باطني اقشعرارًا شديدًا بسبب شدة الدهشة والخجل. قال مولانا: اجلس بحيث تلامس ركبتي ركبتك. وأخذ يشرح مناقب السيد برهان الدين، وكرامات شمس الدين التبريزي -قدس الله سرهما- حتى إنني ذهلت. وعندئذ قال: لقد قال سلطاننا: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة[1]. لكن الحق يتجلى عند ذكرنا.

---

(١) ليس له أصل في الحديث المرفوع، وإنما هو قول سفيان بن عيينة، كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفة الصفوة. المكتبة الشاملة الحديثة أرشيف ملتقى أهل الحديث ٣.

رُوِيَ كذلك أن مولانا جلال الدين لمَّا كان يذهب إلى الحَمَّام في بعض الأوقات، كانت زوجته كرا خاتون -رضي الله عنها- توصي الأصحاب برعايته، لأنه فانٍ عن نفسه تمامًا.

كان الأصحاب يحملون السجادة والمكنسة، وكانوا يبسطون السجادة في سرداب، وكان مولانا يستريح في ذلك المكان في بعض الأوقات، وكانوا يُدَلِّكونه.

ذات ليلة كان مولانا قد ذهب إلى الحَمَّام في عِز الشتاء القارس. وكان الأصحاب يحملون السجادة والمقرمة وفقًا للعادة القديمة، ويبسطونها في السرداب. ولمَّا تعرى جلال الدين، ودخل، نظر نظرة، وقفز خارجًا مرة أخرى. ومضت مدة، فخرج الأصحاب في إثره، ووجدوه كان قد وقف على قطعة ثلج، ووضع قطعة أخرى على رأسه، فضجَّ الأصحاب.

قال جلال الدين: إنني أؤدب نفسي الشريرة، وهي تتجرأ. نحن دراويش، ولله الحمد. ولسنا من آل فرعون. نحن من آل السلطان الذي هو سلطان الفقراء. وارتدى القلنسوة والفرجية، ومضى.

وقال سلطان ولد كذلك ذات يوم: إن والدي كان يقول دائمًا: كانت نفسي قد ماتت، وأنا في الخامسة من عمري. ولمَّا كان ينشغل بالرياضة وقيام الليل بجد تام في مرحلتَيِّ الشباب والكهولة، ويبالغ في ذلك، سألته: كيف لا تهدأ ولا تستكين ليلًا ونهارًا الآن، وكنتَ قد حكيتَ لي كذلك ذات يوم؟ فقال: يا بهاء الدين، إن النَّفْس القوية عيَّارة، وإنني أخشى أن تُطِلَّ برأسها في مكان بغتة، وتغلب شجاع الدين العاقل، وتهزمه.

شعر (رمل)

دع النفس تبكي منتحبة

واقهرها أيها الناجي

لا تصدق كتابها الكاذب

ولا تكن قرينًا لها أو كاتمًا لأسرارها

حكاية

روى كذلك عن شلبي حسام الدين -قدس الله روحه العزيزة- أنه كان هناك محب من أكابر مدينة قونية للسيد شرف الدين، وكان له ابن جميل مثل يوسف. وكان أكثر الخلق قد فُتِنوا بحُسنه. وكان ذلك الابن عاشقًا لمولانا جلال الدين، ومغرمًا به من صميم روحه وقلبه. وكان يذكر اسمه دائمًا، ويُقسم بتراب قدمه. وكان أبوه يمنعه عن ذلك، لكنه لم يكن يمتنع، بل كان عشقه وصدقه يتضاعفان دائمًا.

قال الولد لأبيه ذات يوم: لو أنك تحبني، وتؤثرني، يجب عليك أن تدعو مولانا إلى البيت، وتقيم له مجلس سماع، وتجعلني خادمًا له ومريدًا. وإلا أهلك نفسي، أو أتشرد عن مدينتي كالمجنون. فوافق السيد المسكين طوعًا وكرهًا من فرط محبته لابنه.

جاء الرجل إلى السيد شرف الدين، وشرح له الحال. فقال له السيد شرف الدين الذي كان من جملة المعجبين المكابرين، على سبيل الإنكار: لمَّا يصبح ابنك مريدًا، سَل مولانا: هل ابني هذا من أهل الجنة؟ وهل سوف يرى الحق أم لا؟ حتى يجيب.

دعا الرجل جميع الأكابر والصدور وعلماء المدينة، وأقام مجلس سماع كبيرًا. وبعد أن انتهى مجلس السماع، وتم تناول الطعام، سحب ابنه، وألحقه بإرادة مولانا. وقبل أن يسأل السيد، قال مولانا له: إن هذا الولد المحظوظ من جملة أهل الجنة، وقد أصبح جديرًا برؤية الله، والغرق في رحمة الحق. وإن أمثال هذا الولد كثيرون في هذه المدينة، فلماذا يُعرِضون عنا، ولا يلتحقون بإرادتنا؟ فقال السيد: هكذا قدر الله. قال: إنه أدرك الله أولًا وفقًا لكلامك، وقد أرسله الله إلينا، وإذا لم يكن الله يريده، وإذا لم يكن يقبله، لَمَا كان يجيء إلينا، ولَمَا كان إلهام الله يصير معاونه ومرشده. فوضع الرجل المسكين رأسه على قدم مولانا في الحال، وانخرط في سلك العاشقين الواصلين.

رُوِيَ كذلك أن معين الدين بروانه -رحمه الله- قال في ديوان قصره ذات يوم: إن مولانا جلال الدين سلطان بلا نظير، ولا أظن أن سلطانًا مثله قد ظهر خلال قرون. لكن مريديه سيئون للغاية، وفضوليون. لم يحتمل رجل من جملة محبي مولانا -كان موجودًا في ذلك المكان- هذا الكلام بسبب شدة ألم الخاطر، وبَلَّغ مولانا بهذا الخبر، فاستاء جميع الأصحاب.

وأرسل مولانا رقعة إلى بروانه، فحواها: لو أن مريدينا كانوا أناسًا طيبين، لصرتُ أنا نفسي مريدًا لهم. ولأنهم كانوا أناسًا سيئين، قبلتُ إرادتهم حتى يتغيروا، وتتحسن أخلاقهم، وينخرطوا في سلك الأخيار الطيبين.

شعر (سريع)

لست أعمى، ولكن عندي كيمياء

أشتري بها زِنَة القلب هذه

وقال أيضًا: بروح أبي الطاهرة، إنهم لم يُقبلوا، ما دام الحق تعالى لم يكفلهم، ويرحمهم، ويجعلهم من جملة مقبوليه، ويجعل لهم مكانًا في قلوب عباده الأتقياء.

شعر (منسرح)

لقد نجا المرحومون ولقد عانى الملعونون

ونحن جئنا في إثر رحمة القوم اللعينة

لمَّا طالع بروانه رقعة ذلك السلطان، زاد اعتقاده فيه، ونهض، وقدم إليه ماشيًا، وطلب المعذرة، واستغفر، وآثر الأصحاب بكثير من العطايا.

رُوِيَ كذلك أن الصاحب فخر الدين أبا الخيرات -رحمه الله-(١) قال: إن مولانا سلطان عظيم، لكن ينبغي إخراجه من بين مريديه، ثم إهلاكهم.

لمَّا وصل الخبر إلى مولانا، ابتسم، وقال: لو أنهم يستطيعون

(١) **الصاحب فخر الدين أبو الخيرات:** هو فخر الدين علي بن الحسين الرومي، الذي اشتغل خمسين عامًا تقريبًا في بلاط آل سلجوق، وقد أنشأ المدارس والرُّبُط والزوايا، لهذا السبب يُكنَّى بأبي الخيرات، توفي سنة ٦٨٧ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٣٠.

إخراجي. ثم قال بعد ذلك: عجبًا، لماذا كان أصحابنا هؤلاء مبغوضين في نظر أهل الدنيا، وهم محبوبون ومقبولون في نظر عناية الحق! ولقد وضعتُ العالمِين جميعهم في غربال، فسقطوا جميعًا ما عدا هؤلاء الأصحاب الذين طفوا على السطح. إن أرواح الأصحاب تسري في جسدي، وأرواح العالمِين تسري في أجساد أصحابنا، لو تعلمون، ولو لا تعلمون.

حكاية

روى كذلك مشايخ الصحبة وأصحاب الخدمة أن شابًّا كان يعمل بالتجارة بجوار مدرسة مولانا، وكان مريدًا له، ومحبًّا للأسرة، وكانت تنتابه رغبة مُلحَّة في السفر إلى مصر، وكان أصحابه يمنعونه عن ذلك.

كان مولانا قد علم بنية ذلك الشاب الصادق، فقال له: لا تذهب إلى مصر، ودعك من هذا السفر. ولم يهدأ ذلك الشاب أصلًا بسبب دغدغة المشاعر تلك.

بناء عليه خرج الشاب ذات ليلة، وقصد ديار الشام، ولمَّا وصل إلى مدينة أنطاكية، ركب سفينة، ومضى. وتم الاستيلاء على سفينته في بلاد الإفرنجة قضاءً وقدرًا، وأسروا ذلك الشاب، ووضعوه في جُب. وكانوا يعطونه كل يوم ما يسد رمقه. وظل في ذلك المكان أربعين يومًا بالتمام. وكان يستغيث ليلًا ونهارًا، ويتضرع إلى مولانا جلال الدين قائلًا: هذا جزاء جرأتي، فقد عصيتُ أمر سلطاني، واتبعتُ هوى النفس المشؤوم.

وفي الليلة الأربعين، رأى الشاب مولانا في المنام، فقال: يا فلان، أجب عن كل ما يسألك عنه هؤلاء الكفار غدًا قائلًا: «أعرف»، حتى

تنجو. استيقظ الشاب كالمضطرب، وشكر الله كثيرًا، وطأطأ رأسه، وانتظر تفسير المنام. فشاهد جماعة الإفرنجة، وقد جاءوا، وجعلوا أحدهم مترجمًا، وسألوا هذا الشاب: هل تعرف شيئًا عن الحكمة؟ وهل يمكنك ممارسة الطب؟ فقد أصيب أميرنا بمرض، قال: أعرف. فأخرجوه من الجُب في الحال، وأخذوه إلى الحَمَّام، وخلعوا عليه خلعة حسنة، وحملوه إلى قصر مريضهم.

أَمَرَ الشاب المسكين بإلهام إلهي، فأحضروا سبعة أنواع من الفاكهة. وركَّب نَقُوعًا، وعبَّأ قدرًا محمودًا منه، وذكر اسم مولانا ثلاث مرات، وسقى الشراب للمريض. فاستجاب للعلاج في جلستين أو ثلاث جلسات بعناية الله وهمة الرجال. ولمَّا كانت عناية تلك الحضرة رفيقة ذلك الشاب، فقد جعلته صاحب حكمة -مع أنه عامي محض- وأعانته.

شعر (رمل)

الشجعان هم المدد في العالم

حين يستغيث بهم المظلومون

بعد أن نهض أمير الإفرنجة، وشُفي تمامًا، قال لذلك الشاب: اطلب مني ما تريد، فقال: أريد أن تحررني، حتى أذهب إلى وطني، وأدرك صحبة شيخي. وتحدث عن عظمة ظهور مولانا، وشرح حكاية السفر والمنام. فصار الإفرنجة الجاهلون محبين وعاشقين، وحرره لذلك السبب، وأرسله بهبات وعطايا كثيرة.

لمَّا وصل إلى دار الملك قونية، وقبل أن يذهب إلى بيته، زار مولانا،

ولمّا رأى وجهه المبارك من بعيد، كان يضم قدميه إلى صدره ساجدًا، ويقبلهما، وكان يمسح وجهه بهما، ويبكي.

كان مولانا قد قَبَّلَ وجه ذلك الشاب، وقال: حسنًا أنك عالجتَ الإفرنجي، ثم مضيتَ. فاجلس بعد اليوم، وانشغِل بالكسب الحلال، وتحلَّ بالقناعة، فإن مشقة القناعة رحمة محضة بالنسبة إلى عيار البحر، واضطراب السفينة، وأضرار الأسر، وظلمة الجب.

رُوِيَ كذلك أن أصحاب الصحبة كانوا يحكون ذات يوم: أن أمراء الزمان وأكابره كانوا يَجدُّون في الذهاب إلى مشايخ المدينة، وقلما كانوا يأتون لزيارة هذه الحضرة. عجبًا، فما سبب ذلك، ولماذا! ربما لا يدركون هذه العظمة، وهم محجوبون عن هذه الأسرار.

قال مولانا: إنكم ترون عدم المجيء، ولا ترون الطرد من هذا الطرف. فإننا إذا سمحنا لهم لا يبقى مكان لأصحابنا، وللمشتاقين إلينا.

وحدث أن جاء لزيارة مولانا في الصباح جميع أمراء المدينة، مثل: فخر الدين ومعين الدين بروانه، وجلال الدين المستوفى(١)، وأمين

(١) **جلال الدين المستوفى:** جلال الدين المستوفى من كبار رجال الروم الذين تولوا منصب الاستيفاء في بداية سلطنة غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان.

انظر: انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٣٣.

الدين ميكائيل(1)، وتاج الدين معتز(2)، وولدَي خطير(3)، وبهاء الدين ملك السواحل، ونور الدين ولد جيجا، ومجد الدين الأتابك، وغيرهم -طيب الله ثراهم. واكتظ صحن المدرسة وصُفَّتها، حتى إنه لم يبقَ مكان لأي صاحب، وخرج الأصحاب جميعًا.

تحدث مولانا بالمعارف وبالمعاني وباللطائف والظرائف إلى حد لا تستوعبه طبقات من الورق، ورَوَى الجميع، فثملوا بالشراب الإلهي ولم يلتفت إلى أصحابه أصلًا في ذلك اليوم. فتألم الأصحاب، واستاءوا إلى حد لا يمكن وصفه.

ولمَّا خرج الأمراء، توسل الأصحاب إلى مولانا، وهم يصيحون قائلين: لقد حُرمنا اليوم من وظيفة المعارف والحقائق. فترفق مولانا بهم، وكان يستميلهم، ويطمئنهم. وقال بعد ذلك: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ ﴾(4). وإن معارفنا وأسرارنا هي حصة الأصحاب في الحقيقة، وإنها تفيض على أرواح الآخرين أيضًا ببركة أصحابنا. مثلما يرضع الحملان الآخران لبن الشاة متطفلين على حَمَلها. وإن

---

(1) **أمين الدين ميكائيل:** أحد رجال دولة السلاجقة، قُتل سنة ٦٧٦ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٣٣، ١٣٤.

(2) **تاج الدين معتز الخراساني:** ابن قاضي القضاة محيي الدين طاهر، جاء إلى الروم من قبل هولاكو خان.

انظر: السابق، ص ١٣٤.

(3) **ولدَا خطير:** هما شمس الدين وضياء الدين، وكانا ابنَي خطير الزنجاني، وكلاهما تمرد، وقُتلا سنة ٦٧٥ هـ.

انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(4) سورة التوبة، جزء من الآية ٦٠.

وقوع هذا الأمر كان بسبب تشويه الأصحاب وتقبيحهم.

ولمّا كان الأمراء يترددون علينا، لم يحتمل الأصحاب، ولم يرضوا. من ثم ينبغي الدعاء لهم بأن ينشغلوا برعاية مصالح الخلق، وبأعمالهم، فلا يستطيعون المزاحمة والتشويش في أوقات الدراويش، فيختص ذلك الرزق الحلال والنور الجلال بأصحابنا أولئك.

حكاية

روى كذلك أن شيئًا حدث لمولانا جلال الدين في مجلس شيخ، وقد وصل الشيخ صائن الدين مقرئ القراءات السبع إلى تلاوة آية ﴿وَالضُّحَىٰ﴾[1]، وأخذ يقرأ السورة إلى آخرها بإمالة، ويقول: ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[2]. فانفعل مولانا انفعالاً شديدًا.

اعتذر شلبي حسام الدين قائلًا: إن هذا المقرئ يقرأ قراءة الكسائي، وليسامحه مولانا. قال: إن شلبي يقول الصدق، لكنه يشبه ذلك الفقيه التركي الذي كان قد وصل من السفر، فسأله نَحْوِيٌّ: من أين أنت؟ قال: من طيس. بدلًا من أن يقول من طوس. فقال النحوي: والله ما سمعت أنا اسم هذا البلد في عمري. قال الفقيه: ألا تعلم أن «من» حرف جر، دخلت على طوس[3]، فجعلتها طيس؟! فقال النحوي: هكذا قرأت في

(١) سورة الضحى، آية ١.

(٢) سورة الضحى، آيات ١-٣.

(٣) **طوس:** طوس هي مدينة تاريخية أثرية بإيران، تسمى اليوم بمشهد الرضا. كانت من كبرى مدن خراسان القديمة حتى هجوم المغول وهدمهم لها، وبعد القرن السابع لم ترجع إلى ما كانت عليه من قبل.
ar.wikipedia.org

النحو أن «من» تجر الكلمة، لكني لم أسمع أنها تجر مدينة! فكشف المقرئ رأسه في الحال، وأصبح خادمًا ومريدًا له.

كان مولانا يشرح المعاني للأصحاب ذات يوم، وفي أثناء الكلام حكى حكاية على سبيل المثال، وقال: كان نَحْوِيٌّ قد سقط في بئر، وجاء درويش عارف إلى حافة البئر، وصاح قائلًا: أحضِروا الحبل والدَّوْل، حتى نُخرِج النَحْوِيَّ من البئر. فاعترض النَحْوِيُّ المغرور قائلًا: قل الحبل والدَّلْو. فأحجم الدرويش عن إنقاذه، وقال: امكث في البئر حتى أتعلم أنا النحو. ومن ثم فإن الجماعة التي أصبحت أسيرة البئر والجاه والطبع، وتحلق بجناح فضلها دائمًا، لا تنجو من تلك البئر في الحقيقة، ما لا تتخلى عن تلك الخيالات والأفضال، وتتضرع للأولياء، ولا تختال في صحراء ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾(١)، ولا تدرك المقصود الكلي. وهذه كفاية.

رُوِيَ كذلك أن الشيخ صلاح الدين -عظم الله ذكره، كان له مريد تاجر ثري، وكان محبًا لمولانا جلال الدين ومخلصًا له، وكانت لديه رغبة ملحة في السفر إلى إسطنبول، فجاء إلى مولانا في صحبة الشيخ، حتى يحصل على الإجازة، ويطلب العون، ويمضي.

ولمَّا شرف بشرف تقبيل يد مولانا الشريفة، قال له مولانا: هناك قصبة معمورة في أنحاء مدينة إسطنبول، وفيها راهب، اعتكف في ديره، وانقطع عن الخلق، وقنع بذلك. فلتبلغه سلامنا، وتَزُرْه. فأذعن التاجر، وعزم على السفر.

---

(١) سورة الزمر، جزء من الآية ١٠.

لمَّا وصل التاجر إلى سينور، سأل عن أحوال ذلك الراهب، ونزل في تلك القرية، ودخل من باب الدير في أدب تام، فشاهد شخصًا، منزويًا، وقد وضع رأسه تحت إبطه. النور في السواد، ففقد التاجر الصواب بسبب رؤيته لذلك الحال. ولمَّا بَلَّغ سلام مولانا إلى الراهب العزيز، نهض من المكان، وقال: وعليك السلام، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾[1]. وطأطأ رأسه، وسجد سجدة طويلة. ولمَّا نظر ذلك التاجر إلى زاوية أخرى، شاهد مولانا، وقد اعترته حال المراقبة باللباس نفسه والقلنسوة. فتغيرت حاله، وشهق شهقة، وسقط.

لمَّا عاد إلى صوابه بعد برهة، طمأنه الراهب، وقال: لو تصبح محرم أسرار الأحرار، تصير من الأخيار الأبرار. وفي آخر الأمر، أرسل رسالة إلى تكفور، فحواها: إن فلانًا التاجر يَهُم الراهب، والراهب نصيره، فلا يضايقه خفراء الطريق أو عمال المدينة.

ولمَّا وصل التاجر إلى مدينة إسطنبول، وأوصل رسالة الراهب إلى السلطان، أَمَر السلطان، فأنزلوه، وأنجزوا له مهامه بالتمام، وأرسلوه سالمًا غانمًا. وعند العودة، مَرَّ على الراهب كذلك، فقال له الراهب: فلتُبَلِّغ سلامي وتحياتي أنا المسكين إلى مولانا جلال الدين. وأرجو ألَّا يحرم هذا المحتاج المسكين من عنايته اللا نهائية.

لمَّا وصل التاجر إلى قونية بعد مدة، وشرح الحال للشيخ صلاح الدين، قال: إن كل ما يقوله عن الأولياء حق وواقع من دون شك أو تخمين.

---

(١) سورة النمل، جزء من الآية ٥٩.

شعر (هزج)

إنني أقول: رب، فارزقني بكل شيء يقولونه عن الأولياء

ولقد آمنا وصدقنا بكل ما يقولونه عن الأنبياء

لكن لا تحكِ هذه القضية لأي خسيس. نهض الشيخ، واصطحبه إلى مولانا، ودخل، وحَيَّاه، وبَلَّغه سلام الراهب. قال مولانا: انظر، حتى ترى العجائب. فيشاهده على الهيئة نفسها التي كان قد رآه عليها، وقد اعترته حال المراقبة في زاوية مكان الاجتماع في المدرسة.

مَزَّق التاجر ملابسه، وهو يصيح. وعانقه مولانا، وقال له: إنك محرم أسرارنا بعد ذلك، لكن احفظ أسرار أولي الأبصار من الأغيار الأشرار عديمي الاعتبار.

شعر (رمل)

ما دمت لا تفشي سر السلطان لأحد

وما دمت لا تنثر السكَّر أمام الذبابة

تستمع إلى أسرار الجلال، أذن ذلك الشخص الذي

له مائة لسان مثل السوسن وهو أخرس

وضحى التاجر بأمواله في سبيل الأصحاب، وأقام مجالس السماع، وارتدى الخرقة، وفرغ من أمر الدنيا.

رُوِيَ كذلك أن مولانا كان يتجه مع الأصحاب الكرام من مسجد

مرام نحو المدينة، فقابل راهبًا هَرِمًا بغتة، وأخذ يطأطئ رأسه، وقال: هل أنت الأكبر سنًّا أم لحيتك؟ فقال الراهب: إنني أكبر من لحيتي بعشرين سنة، وقد جاءت متأخرة. قال: أيها المسكين، ذلك الذي جاء بعدك، نضج. وأنت تمضي في ظلمة وضلال وسذاجة على هذا النحو. فوا حسرتاه عليك، إذا لم تتغير، وتنضج. فقطع الراهب المسكين الزنار في الحال، وآمن، وصار مسلمًا من المسلمين.

حكاية

لقد صادفت جماعة من العسس والحرس مولانا، ولمَّا شاهدوا أصحابه من بعيد، قالوا على سبيل الذم: ما أعجبهم من أناس ضالين سيئين! فقال مولانا: ليس هناك أناس أسخى منهم في العالم بأسره، وقد آثروا دين الإسلام والصفاء والطهارة وأنواع العبادات في هذه الدنيا، وليس لهم نصيب في ذلك العالم من جنة الخلد والحور والقصور ورؤية الملك الغفور. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]. وقد تصدوا للكفر والضلال وعذاب الجحيم. وما إن تشرق عليهم شمس العناية الإلهية بغتة، حتى ينوروا، وتبيض وجوههم.

شعر (سريع)

لو يراك الكافر ذو المائة عام
يسجد، وسرعان ما يصبح مسلمًا

لمَّا اقتربوا، طأطأوا رؤوسهم، وانشغلوا بمولانا، وآمنوا بصدق تام،

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية ٥٠.

وأسلموا. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾[1]. فالتفت مولانا إلى الأصحاب، وقال:

شعر (رمل)

لقد جعل ذلك الخفي الترياق في السم

حتى يقولوا ذا اللطف الخفي

إن الحق تعالى يخفي الظلمة في الضياء، ويجعل الضياء في الظلمة. فأذعن الأصحاب، وسروا.

حكاية

تأخر الملك المجسم، قدوة الأخيار، مولانا اختيار الدين الفقيه -روح الله روحه- الذي كان من المريدين الواصلين، في المسجد الجامع يوم الجمعة. وطلب مولانا مجيئه عدة مرات. وبعد أن جاء من المسجد، قال مولانا: ماذا كان قد منع إخوان الصفا، فجاءوا متأخرين؟ فقال اختيار الدين: كان الواعظ الخجندي قد صعد المنبر، وكان يعظ الخلق. وكان العبد قد انشغل بدهشة الناس. ولم أجد مجالًا للخروج.

قال له مولانا: أي نوع من الحديث كان يتحدث؟ وماذا كان يقول؟ ومن أين كان يأتي بالبراهين؟ فقال اختيار الدين: إنه كان يشرح هذا المعنى في أثناء وعظه: لله الحمد والمنة و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[2]: قائلاً: إن الحق تعالى لم يخلقنا من زمرة الكافرين،

---

(١) سورة الفرقان، جزء من الآية ٧٠.

(٢) سورة الأعراف، جزء من الآية ٤٣.

وجعلنا أفضل منهم في جميع الأحوال. وكان أهل المسجد يتضرعون، ويبتلهون.

قال مولانا مبتسمًا: ما أعجب المسكين الضال المضل الذي يزن نفسه بميزان المجوس، ويُسَر لأنه أثقل منهم بدانق، ويغتر، ويتباهى! فلو أنه رجل، يجب عليه أن يزن نفسه بميزان الأنبياء والأولياء، حتى يرى نقصانه، ويدرك كمال أحوالهم.

شعر (مجتث)

الرجال فوق إيوان كبريائه

صيد الملائكة وغنيمة الرسل وقدرة الله

وشرع الأصحاب في السماع بسبب السرور.

حكاية

هكذا روى ملك الأدباء حسام الملة والدين، المعروف بابن آينه دار السيواسي -رحمة الله عليه- عن مولانا علاء الدين الآماسي الذي كان من كبار الخلفاء وكان شيخه: أنَّ بندر الدين التبريزي -الذي كان معمار التربة المباركة المعمور، والموصوف بأنواع الكمالات والمناقب، مثل: النجوم والرقوم والهندسة والسيمياء والكيمياء، وفك السحر والشعوذة وغيره- كان يحكي بين الأصحاب ذات يوم قائلًا: صحبت مولانا في بستان شلبي حسام الدين، وأقيم سماع عظيم في تلك الليلة حتى الصباح. بعد ذلك ترفق بهم مولانا، واختتم السماع، لعل الأصحاب يستريحون قليلًا.

تفرق الأصحاب جميعًا، واستلقى كل واحد منهم في زاوية أو على أكمة. وأنا أيضًا كنت أجلس على أكمة، وأخلد إلى النوم، وأنظر خلسة، لأرى ماذا يفعل مولانا.

كان مولانا قد استغرق في التجليات القدسية، وأصابته الحيرة. فجال بخاطري: لمَّا كان لموسى وعيسى وإدريس وسليمان ولقمان والخضر وسائر الأنبياء -عليهم السلام- مائة ألف فن ظاهر إضافة إلى المعجزات، مثلما برع موسى في علم الكيمياء، وعيسى في الصباغة، وداود في صناعة الدروع. وقد كان كذلك لعديد من الأولياء الكمل أنواع من الكرامات وخرق العادات خارج المعقولات. عجبًا، أيكون مثل هذا الحكيم الإلهي منهم أم لا؟ وحاشَ لله ألَّا يكون منهم، بل إنه لا يريد أن يظهر، وهو يفر من آفة الشهرة إلى الخمول.

كنت أفكر في ذلك، فانقض عليَّ بَغتة مثل أسد مزمجر، وقال: انهض يا بدر الدين، وتعالَ معي. ومَدَّ يده، وأمسك بحجر، ووضعه في يده اليسرى، ثم منحه لي، وقال: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(١).

نظرت إلى الحجر في ضوء القمر، فوجدت ذلك الحجر الصوان، كان قطعة من الياقوت، وكان شفافًا ولامعًا حتى إنني لم أكن قد رأيت مثله في خزائن أي ملك، وصحت صيحة بسبب تلك الهيبة، فاستيقظ الأصحاب جميعًا، ولاموني بشدة، وقالوا: إن هذه الصيحة في غير وقت، وإننا كنا قد استغرقنا في النوم في هذه الساعة. ولمَّا كان بدر الدين يصيح في السماع في بعض الأوقات، فكأنه كان يملك حنجرة عشرة رجال!

---

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية ١٤٤.

قال بدر الدين: بكيتُ كثيرًا، وحكيتُ هذه الحكاية للأصحاب، فأذعن الجميع، واستغفروا. وندمتُ أنا على تلك الفكرة الجريئة. ورأف مولانا بحالي، وأهديتُ قطعة الياقوت تلك إلى كرجي خاتون. وشرحت لها كيفية الحصول عليها. وقد ثمَّنوها بمبلغ مائة وثمانين ألف درهم سلطاني. تصدق بها مولانا، وألبسني الخلعة، وأرسل إلى الأصحاب عطايا وخلعًا أخرى لا يمكن وصفها.

وقال لي مولانا كذلك: ألم تقرأ حكاية ذلك الدرويش الذي جعل من الأغصان النضرة أغصان ذهب في مثنوينا؟ إن كل حكاية وإشارة تحدثنا بها عند حديثنا عن الآخرين، جميعها وصف لأحوال أصحابنا. مع أن كبار علم الكيمياء السابقين استخدموه في الأجسام والأجساد، وذلك ليس عجيبًا، لكن استخدام علم الكيمياء في العقول والأرواح أمر عجيب.

شعر (مجتث)

العجيب أن الكيمياء تجعل النحاس ذهبًا

فانظر إلى النحاس الذي يصنع الكيمياء في كل لحظة

حكاية

حكى مولانا شمس الدين الملطي -رحمة الله عليه- عن سر سري السقطي قائلًا: إنه لمَّا وصل الشيخ مظهر الدين ولد شيخ سيف الدين الباخرزي -رحمة الله عليهما- إلى مدينة قونية، ذهب الأعاظم والأفاضل كافة لزيارته، وأكرموه للغاية.

وحدث أن مولانا كان قد ذهب في ذلك اليوم مع جمع من الأصحاب إلى مسجد مرام. فقال الشيخ مظهر الدين: عجبًا، ألم يبلغ هذا الخبر سمع مولانا المبارك، وأن القادم يزار؟

كان عالم من أصحاب مولانا يسمع ذلك الكلام، وقد جاء إلى مولانا. واستهل مولانا كلامه بغتة في أثناء شرح الحقائق قائلًا: أيها الأخ، نحن القادمون لا أنت. وينبغي عليك أنت وأمثالك المجيء لزيارتنا، والتَّشَرُّف بها.

اندهش الحاضرون في المجلس من هذه المسألة والإشارة! إذ ما مناسبة هذا الخطاب، وإلى من يوجه؟! ثم ساق مولانا مثالًا على ذلك، وقال: جاء أحدهم من بغداد وأُخْرِج آخر من بيته ومحلته، فأيهما أولى بالزيارة؟ قالوا له: الأولى من يأتي من خطة بغداد، وزيارته وتعظيمه من الواجبات. فقال مولانا: لقد أتينا نحن من خطة بغداد اللا مكان في الحقيقة. ويأتي ابن الشيخ العزيز -الذي قد وصل- من محلة هذا العالم. من ثم نحن الأولى بالزيارة والتعظيم لا هو.

شعر (رمل)

كنا نردد «أنا الحق» في بغداد عالم الروح

قبل أن توجد جلبة قول المنصور

سُرَّ الأصحاب، وشكروه. قال راوي الحكاية: لمَّا وصلت إلى المدينة، سألتُ مريدي مظهر الدين: ماذا حكى ابن شيخكم اليوم؟ فحكوا حكاية الحديث كما كانت، وفقدت أنا الصواب بسبب الاستماع

إلى هذا الخبر. لمَّا بلَّغوا ابن الشيخ بهذا، نهض، وذهب ماشيًا إلى مولانا، وكشف رأسه، وأنصفه، وصار من جملة المحبين المخلصين، وقال: ذلك الذي كان يوصي به أبي هو: ينبغي انتعال نعل حديدي، وإمساك عصا حديدية في الكف، والذهاب في طلب مولانا، لأن إدراك صحبته أعظم من جملة الفرائض. ولقد قال أبي الحق، وكان على حق، وجاوزت عظمة مولانا ما كان أبي قد قاله.

شعر (رمل)

مع كل ما قالوه عن أوصاف كمالك

فكأنهم لم يقولوا شيئًا، لأنها أضعاف مضاعفة

رُوِيَ كذلك أن مولانا أشار يومًا إلى الشيخ محمد الخادم قائلًا: اذهب، وانجز العمل الفلاني، فأجابه الشيخ محمد قائلًا: إن شاء الله. فصاح مولانا عليه قائلًا: يا أبله، من المتحدث إذن؟ فسقط الشيخ محمد في الحال، وفقد الصواب، وأخذ اللعاب يخرج من فمه.

كشف الأصحاب جميعهم رؤوسهم، وسجدوا، وبكوا، وقالوا: إن الشيخ محمد خادم الدراويش، وضروري لهم للغاية، ولن يتجرأ مرة أخرى. فنظر إليه مولانا نظرة عناية في الحال، فعاد الشيخ محمد إلى صوابه، واستغفر.

رُوِيَ كذلك أن معين الدين بروانه كان قد عقد اجتماعًا عظيمًا، حضره الصدور والبدور كافة، وكان سلطان الإسلام ركن الدين حاضرًا أيضًا. وامتد السماع من النهار إلى منتصف الليل.

أصيب السلطان بألم في خصره، فهمس في أذن بروانه خلسة قائلًا: إذا كان السماع ينتهي، كنت أستريح. فأنهى مولانا السماع في الحال، وأمر الأصحاب، فجلسوا. لكن الشيخ عبد الرحمن شياد كان يضج، ويصرخ.

يهمس السلطان في أذن بروانه في استياء تام قائلًا: أي شخص وقح هذا الدرويش الذي لم يهدأ، أيعني هذا أن حاله أسمى من حال مولانا؟! علم مولانا بذلك، وقال للدرويش: إن في باطنك دودة صغيرة تتحرك، وتنهش لحمك، وتجذبك إلى المُلك الأسفل، وبسببها تفعل مثل هذه الضجة والجلبة والصخب، ولا تستطيع السكون الآن، ولا تحتمل صحبة الأولياء لحظة واحدة. فالشخص الذي فتح ثعبانٌ فَمَه في باطنه، ويتجه به إلى العالم الأعلى دائمًا، ويجذبه إلى الأعلى، كيف يستطيع الهدوء والسكون؟ فضج الأصحاب مرة واحدة وسُرُّوا.

ولمَّا شاهد السلطان ركن الدين الكرامة العظيمة مرتين، أذعن في إخلاص تام، وأصبح مريدًا له، واعتنى بهم عناية سلطانية.

حكاية

روى أخص الأصحاب كذلك أن سبب انقلاب الدولة، وفَناء فِناء سلطنة آل سلجوق هو: لمَّا كان السلطان ركن الدين مريدًا لمولانا، وعَدَّه أباه، جمع جمعًا عظيمًا بعد فترة، وأعَدَّ مجلسًا لا نظير له. يقولون: كان هناك رجل هَرِم في ذلك الزمان، كانوا يقولون له الشيخ باباي مرندي، وكان رجلًا مرتاضًا وزاهدًا مترسمًا. ومدحته جماعة من شياطين الإنس -الذين كانوا يأتنسون به- أمام السلطان، حتى إن السلطان كان قد اشتاق إلى صحبته.

وفي آخر الأمر، أمر السلطان، فأعدوا مجلس سماع في الحَمَّام، وأحضروا الشيخ باباي المرندي في إكرام تام. واستقبله جميع الأكابر، وأجلسوه في الصدارة في إعزاز وافر. ووضع السلطان كرسيًّا، وأجلسه إلى جوار عرشه.

لمَّا دخل مولانا من الباب، وسَلَّم، وجلس في زاوية، قرأ المُعَرِّفون فصولًا بعد تلاوة القرآن المجيد. واتجه سلطان الإسلام إلى مولانا، وقال: ليعلم مولانا والمشايخ والعلماء الكبار أنني أنا العبد المخلص، أعددت الشيخ بابا أبي، وقد قبل بنوتي. فاستحسن الجميع بأسرهم ذلك، وباركوه.

قال مولانا جلال الدين بسبب شدة الغيرة: إن سعدًا لغيور، وأنا أغير من سعد، والله أغير مني(١). إذا عَدَّه السلطان أباه، نجعل نحن أيضًا لنا ابنًا آخر. وصاح صيحة، ومضى حافي القدم.

روى كذلك شلبي حسام الدين رواية، وقال: لمَّا خرج مولانا، نظرتُ إلى السلطان، فوجدته كان قد وقف مذهولًا، واستاء في الحال، حتى إن العلماء والشيوخ هرولوا في إثر مولانا، لكنه لم يرجع.

وحدث أن اتفق الأمراء بعد عدة أيام، ودعوا السلطان إلى آقسرا(٢)،

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** حدثنا موسى حدثنا أبو عوانه حدثنا عبد الملك عن وارد كاتب المغيرة عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم، فقال: أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني. المكتبة الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث ٢. al-maktaba.org

(٢) **آقسرا:** مدينة آق سراي هي مركز محافظة آق سراي الواقعة وسط تركيا. ar.wikipedia.org

للتشاور في أمر صد التتار. فنهض السلطان، وذهب إلى مولانا، ليطلب العون، ويمضي. فقال له مولانا: لو أنك لا تذهب، يكون أفضل.

لمَّا تواترت أخبار الدعوة، اضطر السلطان إلى السفر، ولمَّا وصل إلى آقسرا، اختلى في خلوة، فطوَّقوا رقبته بوتر القوس، وبينما كانوا يخنقونه، كان يصيح قائلًا: مولانا، مولانا.

كان مولانا جلال الدين قد استغرق في السماع في تلك اللحظة، ووضع إصبعيه السبابة في أذنيه، وقال: سَرَّنا، ويبشرنا. وكأنه كان يسمع سر سَرَّنا والبشارة بأذنيه، وأخذ ينشد هذا الغزل:

شعر (مجتث)

ألم أقل لك لا تذهب هناك حتى أكون رفيقك؟

فإن ينبوع حياتي في سراب الفناء هذا

ثم أعقبه بغزل آخر:

شعر (مجتث)

ألم أقل لك لا تذهب هناك لأنهم سوف يبتلونك

ويتطاولون عليك بشدة، ويقيدون قدميك؟

إلى آخره.

ولمَّا انتهى السماع، طرح مولانا فرجيته في المحراب، وقال: فلنصلِّ صلاة الجنازة، وكبَّر. واقتدى به جميع الأصحاب. وبعد الصلاة عزم أصحاب سلطان ولد الكرام على الاستفسار عن إشارات اليوم والحالات.

وقبل أن يسأله سلطان ولد، قال مولانا: بلى، يا بهاء الدين، إنهم كانوا يخنقون ركن الدين المسكين(١)، وكان يردد اسمي وهو في تلك الحال، ويصيح. وقضى التقدير الإلهي أن يحدث هكذا. ولم أكن أريد أن يبلغ صوته أذني، ويشوشني، فكنت أجعل فوهة المزمار في أذني قاصدًا، حتى أفرغ من أمره. لكن أحواله ستكون حسنة في ذلك العالم.

رُوِيَ كذلك عن الأصحاب الكرام أن مولانا كان يصيح، وتنتابه الأذواق -قبل وقوع هذه الفترة- في مجلس سماع عزيز من أول النهار حتى نصف الليل. وكان النوم قد غلب شلبي حسام الدين. وقد جعل مولانا فرجيته المباركة وسادة له، وقال: ليضع شلبي رأسه عليها. فامتثل شلبي لأمره، وأذعن، ونام.

يرى شلبي وهو بين النوم واليقظة أن طائرًا أبيض ضخمًا يأتي، ويحمله، ويحلق به، حتى إن دائرة الدنيا كانت تبدو في نظره مقدار حبة من خردل. وفي عاقبة الأمر، يهبط به على قلة جبل مملوء بالثمار والأزهار، ويتنزه في ذلك الجبل وهو في غاية البهجة والسرور. وكأن الحق تعالى كان قد صنع ذلك الجبل من الزمرد الأخضر.

ويشاهد شلبي رأسًا على قلة ذلك الجبل مثل رأس الإنسان، ويضع ذلك الطير سيفًا في يد شلبي، ويقول له: اقطع رقبة هذا الجبل، هذا هو الأمر الإلهي. فيسأله شلبي: من أنت؟ وما اسمك؟ فقال: أنا جبريل الأمين، ناموس طاووس الملائكة الأكبر.

---

(١) خُنق السلطان ركن الدين في عام ٦٦٣ هـ.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص١٤٨.

وعلى هذا النحو يفصل شلبي رأس ذلك الجبل عن جسده بذلك السيف، فيحمله الطائر مرة أخرى، ويهبط به في مكانه. لمَّا فتح شلبي عينيه بسبب هيبة ذلك المنام، وجد مولانا، وقد وقف أمامه. فنهض، وسجد.

قال مولانا: إن تفسير ذلك المنام سوف يتعين لك في هذا اليوم نفسه. وحدث أن أعد السلطان ركن الدين مجلس سماع، وجعل الشيخ «بابا» أباه في حضور مولانا. ويرى شلبي حسام الدين أنهم قطعوا رأس ركن الدين، وعلقوها. نظر إلى مولانا، فقال له: هذا هو تفسير ذلك المنام الذي كنت قد رأيته.

شعر (رمل)

عين الغيبة مثل الغيب أيها الأستاذ

فلا قَلَّت هذه النظرة وهذا الإنعام في الدنيا

روى كذلك قدوة الأخيار الشيخ محمود النجار -رحمه الله- أن مولانا جلال الدين كان يتحدث عن المعرفة ذات يوم، وكان جميع الأصحاب حاضرين ومنتبهين له. فجأة دخل مولانا مفتي الجن والإنس، نعمان الفقه، عمَّان العلم، شمس الدين الماrديني -رحمة الله عليه- من باب المدرسة. فقال له مولانا: تعالَ، تعالَ، أحسنت المجيء، ولو أنك تغيبت حتى اليوم. إنهم كانوا يتحدثون عن الله، وأنت كنت تسمع، فاسمع عن الله من دون واسطة بعد اليوم. وقال أيضًا: يأتي زمان، يتجلى فيه الحق تعالى على عباده من دون واسطة الشيخ. مع أنه شيخ حقيقي في جميع الأطوار والأكوار والأدوار. والأعجب أنه هو الشيخ، وهو المريد. وفي الحقيقة أنا أعلم أنه موجود في ذلك الزمان. وأنشد هذا البيت:

شعر (مضارع)

كان ذلك السلطان الأعظم قد أغلق الباب بإحكام

وارتدى دلق آدم اليوم، ووقف أمام الباب

وروى الشيخ محمود كذلك أن معين الدين بروانه كان قد أعد مجلسًا ضخمًا في زاوية الشيخ صدر الدين، وكان مولانا قد حضر في ذلك الجمع. ولمَّا بدأ السماع، ثارت ضجة بسبب شدة حماسه واضطرابه، وكان مولانا قد استغرق في عالم الاستغراق.

وقف كمال الدين أمير المحفل إلى جانب الأمير بروانه، وانشغل بمداهنة الأصحاب، وقال: إن مريدي مولانا أناس عجيبون، وأغلبهم من العامة وأصحاب الحرف وأعيان المدينة، وقلما يلتف حوله الفضلاء والعلماء. وحيثما وُجِدَ خياط أو بزاز أو بقال كان يقبله مريدًا له.

فجأة صاح ذلك السلطان الخبير صيحة في أثناء السماع، ففقد الجميع صوابهم. وقال: أيها الغِرّ، ألم يكن منصورنا حلاجًا؟ وألم يكن الشيخ أبو بكر البخاري نساجًا، وذلك الكامل الآخر ألم يكن زَجَّاجًا؟ فبماذا أَضَرَّت حرفتهم معرفتهم؟

ويقول رحمة الله عليه: لم يبقَ لبروانه قرار بسبب تلك الهيبة، وكشف كمال الدين وبروانه رأسيهما، واستغفرا.

وفي اليوم التالي، كان كمال المُعَرِّف قد اعتنى بالصوفية في مجلس

سماع، وأدار ظهره للأصحاب، ولم يهتم بهم. فنادى عليه مولانا قائلًا: انتبه، يا كمال الناقص، لقد أدرت ظهرك لكمال الكمال، فاحذر.

فجأة سقط كمال المُعَرِّف، وشُجَّ رأسه، ثم نهض، وتوسل إلى مولانا، وابتهل ابتهالًا عظيمًا. فاعتنى به مولانا، ومنحه فرجيته وعمامته. فقطع كمال زنار الإنكار، وأصبح خادمًا ومريدًا مخلصًا تمامًا.

روى أرباب الباب كذلك أن مولانا جلال الدين لمَّا كان يغضب من أحد، وكانت مكابرة ذلك الشخص تتجاوز الحد، كان يسحقه، ويقول له: غِرّ؛ ولقد كان ذلك الاصطلاح هو شتم الخراسانيين.

رُوِيَ كذلك عن كبار الأصحاب أن مولانا كان يشرح معاني العدم والانكسار والتواضع ذات يوم، وكان يسوق الدلائل المعقولة والمنقولة والمكشوفة، وذكر مثالًا فحواه:

لمَّا تكون أغصان الأشجار خالية من الثمار، مثل: الصنوبر والسرو والعوسج والصفصاف، فإنها كانت ترفع رأسها دائمًا، وتمد أغصانها إلى أعلى. ولمَّا توجد أشجار مثمرة، تنكِّس أغصانها كلها رأسها، وتتواضع، وتتذلل.

ولهذا السبب كان الرسول -عليه أكمل التحيات- متواضعًا للغاية، وقد جمعت شجرة وجوده المباركة ثمار الأولين والآخرين، فكان أكثر تواضعًا وخشوعًا وفقرًا وخمولًا من جميع الأنبياء والأولياء، حتى إنه

قال: أمرت بمداراة الناس[1]، والخلق الحسن، وما أوذي نبي مثلما أوذيت[2]. حتى إنهم شجوا رأسه، وكسروا أسنانه المباركة، فكان يقول بسبب شدة كرمه اللا نهائي: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون[3]. وكان الأنبياء الآخرون يذمون أممهم. ويقولون: ما سبق رسول الله أحد في السلام. وعندئذ أنشد هذا البيت:

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** إن الله تبارك وتعالى أمرني بمداراة الناس، كما أمرني بإقامة الفرائض.

الراوي: عائشة أم المؤمنين

المحدث: ابن عدي

المصدر: الكامل في الضعفاء

خلاصة حكم المحدث: فيه بشر بن عبيد؛ بيِّن الضعف

توضيح حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

(٢) **إشارة إلى الحديث:** ما أوذي أحد ما أوذيت في الله.

الراوي: أنس بن مالك

المحدث: الزرقاني

المصدر: مختصر المقاصد

خلاصة حكم المحدث: صحيح

التخريج: أخرجه ابن حبان في «المجروحين» مختصرًا، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» باختلاف يسير.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

(٣) **إشارة إلى الحديث:** روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لمَّا كُسرت رباعيته، وشُج وجهه يوم أحد، شق ذلك على أصحابه شديدًا، وقالوا: لو دعوت عليهم. فقال: إني لم أُبعَث لعَّانًا، ولكني بُعثت داعيًا ورحمة. اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. رواه مسلم

القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه حسين عبد الحميد نيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ٩٥.

شعر (هزج)

إن للإنسان طينة من التراب

وإذا لم تكن ترابًا، لما كان إنسانًا

ومن بعض سمات أخلاق مولانا الحميدة أيضًا أنه كان يتواضع لكل آحاد وطفل وأرملة، ويتذلل، ويدعو، ويسجد للساجدين، حتى إنْ كان كافرًا. ويقولون: إن قصَّابًا أرمنيًّا يُدعى تَنْيِل صادف مولانا، فأحنى له رأسه سبع مرات، وفعل مولانا مثله.

رُوِيَ كذلك أن مولانا كان يمر من محلة ذات يوم، وكان الأطفال الصغار يلعبون، فلمَّا شاهدوا مولانا من بعيد، هرولوا دفعة واحدة، وسجدوا، وسجد مولانا أيضًا. فصاح طفل من بعيد: تمهل، حتى أجيء أنا أيضًا. فكان مولانا قد توقف حتى فرغ الطفل، وجاء.

وفي ذلك الزمان أيضًا، كانوا يعترضون، وينكرون، ويحررون الفتاوى، ويقرأون أبوابًا في تحريم السماع والرباب -سوف تذكر في الكتاب- وكان مولانا يحتمل ذلك كله بسبب كمال الكرم، وغاية اللطف والرحمة، ولم يقل شيئًا قَط. وفي عاقبة الأمر، انعدموا، وكأنهم لم يكونوا قد جاءوا إلى الوجود. وسوف تبقى طريقته تلك ونسله في ازديادٍ ودوام حتى يوم القيامة.

وكان بروانه قد دعا مولانا لمجلس سماع ذات يوم. ولمَّا وصل مولانا إلى باب القصر، توقف طويلًا، وقال: ليدخل جميع الأصحاب.

ولمَّا دخلت مجموعة الأصحاب، دخل مولانا بعدهم.

ولمَّا تفرق أهل السماع، وبقي مولانا في ذلك المكان في تلك الليلة، أذعن له بروانه إذعانًا يفوق الحد، وشكر الله شكرًا جزيلًا، لأن مثل ذلك السلطان حلَّ ضيفًا عليه.

سأل شلبي حسام الدين مولانا عن سبب توقفه أمام الباب، فقال: إذا كنت أدخل أولًا، لكان يحدث أنَّ حشم النواب كانوا يمنعون بعض الأصحاب، ولكان الأصحاب المرحومون يُحرَمون من صحبتنا. وما دمنا لا نستطيع أن نُدخِل أصحابنا قصر أمير أو سرايِ وزير في الدار الدنيا، فكيف نستطيع أن نحملهم يوم القيامة إلى قصر العقبى وجنة المأوى وحضرة المولى؟ فشكره الأصحاب مسرورين بتلك العناية، وسجدوا.

رُوِيَ كذلك أن مولانا كان قد أرسل رقعة إلى بروانه متشفعًا لشخص كان قد سفك الدماء، واختبأ في بيت صاحب. فأجابه بروانه: إن هذه القضية لا تشبه القضايا الأخرى، إنها حكاية قتل. فأجابه مولانا: إنهم يقولون لولد عزرائيل قاتلًا، ولو أنه لا يسفك الدماء، ولا يقتل، من ثم ماذا يفعل؟ سُرَّ بروانه للغاية، وأمر، فحرروه، وسُرَّ الخصوم، ودفعوا الدِّيَّة.

رُوِيَ كذلك أن مولانا شمس الدين الملطي قال: كان مولانا يشرح المعاني في مدرسته، وقال في أثناء حديثه عن المعرفة: إنني أحب شمس الدين للغاية، لكن فيه عيبًا، أرجو الله تعالى أن يخلِّصه منه، ويُجَنِّبه تلك الرغبة. فأذعنت أنا العبد في الحال، وتضرعت تضرعًا شديدًا. إذ ماذا يكون ذلك العيب؟ يا للعجب!

فقال لي مولانا: إنك تظن أن الله موجود في كل وجود، وتنساق وراء ذلك الخيال غير الحقيقي.

شعر (رمل)

ما دام هناك كثير من الأبالسة على هيئة الإنسان

فلا تجوز مبايعة أي يد

وما دمتَ لا تملك تلك العين البصيرة بالباطن

فإنك تظن أن المقصود موجود في كل وجود

واستغفرت بإخلاص تام عن ذلك. واختصني مولانا بكرم وعطف شديدين، فصرت من جملة الأصدقاء. واعتدت في أول الأمر أنني كنت أبحث عن الأكابر والشيوخ والمعتكفين والدراويش، وأطلب المدد والعون. ولمَّا كنتُ طالبًا صادقًا، أصبحتُ منهم لا مفر.

ولمَّا أرشدني مولانا، ونبَّهني، تبرأتُ من صحبتهم جميعًا، ورأيت أحقية الحق عيانًا، وانكشف لي سر تلك الحقيقة. وفي ذلك اليوم كان مولانا يكرر هذا البيت، وأنشده؛ تذكرة للأصحاب:

شعر (هزج)

لا تذهب إلى كل ناحية في سوق العطارين هذا مثل العاطلين

واجلس في دكان الشخص الذي يشكر الله في الدكان

رُوِيَ كذلك أنه كان يتحدث عن المعرفة في محفل ذات يوم، وقال: لقد قال سلطان العارفين أبو يزيد -رحمة الله عليه- قولًا عجيبًا، وحسنًا للغاية، ألا وهو: إنني لم أؤمن بمحمد رسول الله بسبب شق القمر،

وفلق الحجر، واجتماع الشجر، وتكلم النبات والمدَر، لكنني آمنت به، لأنه نهى أصحابه وأمته عن شرب الخمر بسبب كمال الحكمة. وقال بعد ذلك: والله، والله، كل من يزداد فعله، يزداد بكاؤه، ويزداد ندمه، لأنه إذا كان فيها مزة ولذة ومنفعة، لكان يجربها بنفسه أولًا، ثم يُرغِّب الآخرين فيها. ولمَّا كان مريد الخالق الخاص، أطاع ما سمعه من الحق، وقال عنها:

شعر (رمل)

لو تترك هذه الخمر يومًا أو يومين
تحتسي شراب الخلد
ولأنها كانت مذمومة ومكروهة غالبًا
فقد حَرَّمَ الخمر على الجميع

حكاية

روى كذلك الأصحاب الكرام -الذين كانوا ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[1]- أن مولانا كان يشرح المعاني العجيبة، والمعارف الغريبة في قصر بروانه، وبَيَّن في أثناء الكلام أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه، شكا للمصطفى -عليه السلام- من كثرة أمواله ومتاعه، واستنكر ذلك قائلًا: كلما أُخرج الزكاة، وأتصدق، وأنفق أكثر، تزداد أموالي، ولا أستطيع الفراغ التام من عوائق تلك العلائق، وعدم التقيد بها، وإنني أعلم في الحقيقة أن راحة الروح، وبهاء الدين، في عالم الفقر، وفيه راحة، وقد

(١) سورة الانفطار، آية ١١.

نجا المخفون. فأي تدبير ومشورة يقدمهما الرسول في هذا الشأن؟

كان الرسول يقول: اذهب يا عثمان، وقَصِّر في شكر نعمة الحق، واكفر بالنعمة زمنًا، حتى ينقص مالك، وسرعان ما تصبح فقيرًا، ولا تبقى لك أي بركة. فقال عثمان: يا رسول الله، كيف أستطيع ألَّا أحمد الأحد، وأشكر النعم الوفيرة، وهذا الأمر هو مؤنس روحي وورد لساني، وقد تعودت عليه؟ فقال المصطفى: ألم تقرأ في القرآن المجيد: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]. وقولي أيضًا: الشكر صيد للمزيد وقيد للعتيد.

شعر (رمل)

شكر النعمة يزيد نعمتك

والكفر بالنعمة يبعدها عن يدك

لأن الشاكر موعود بالزيادة

كما أن القرب هو أجر السجدة

ومن ثم لا مفر لك يا عثمان من هذا الغنى والمال، ولن تلحق الخسارة والنقصان بمالك أبدًا.

ضحى عثمان بثلاثمائة رأس جمل أسود العين، مجعد الشعر، كامل العدة والأهبة، وبعدة تجهيز ثلاثمائة غازٍ، وقدم العتاد والزاد، فداء غزاة الرسول؛ امتنانًا لتلك البشارة. فرفع الرسول -صلى الله عليه وسلم- يده المباركة، ودعا لعثمان، وقال: بارك الله فيما أنفقت، وفيما أمسكت يا عثمان.

---

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية ٧.

بعد ذلك حكى هذه الحكاية في شأن بروانه قائلًا: لله الحمد والمِنة، ومنه القوت والمُنة. إن الأمير معين الدين بروانه يَجد للغاية في زماننا هذا في شكر نعم البارئ تعالى مثل عثمان، ويعتني بجميع العلماء والفقراء والصالحين والعارفين، ويأمر بمختلف أنواع الرعاية لسائر مستحقي الأمة، ويعد حماية جميع الرعايا ورعايتهم واجبًا عليه بموجب الشفقة على خلق الله. ويطوف في أكثر الأوقات حول كعبة القلوب أيضًا، ويسعى سعيًا جميلًا في عرفات الذي هو غرفات مقامات الأولياء. ولا جرم أنه يصبح مظفرًا ومنصورًا في كل شيء يقصده، ويحصل عليه ببركة دعائهم، ويُمْن همتهم حيثما سار وتوجه. ويمن الحق سبحانه وتعالى عليه يومًا بعد يوم، بنعمة تلو نعمة، وسعادة عقب سعادة، ويعوِّضه؛ امتنانًا لشكره. وكلما يزداد عمله، يزداد حاصله، ويتقدم.

كان بروانه يُقَبِّل قدمَي مولانا المباركتين من شدة سروره لما قاله مولانا في حقه، وكان يسجد، ويشكره. وقد آثر الأصحاب بنحو ألفَي دينار، ووزع الفضة على جميع العلماء والمشايخ والصالحين، ووفر الملابس والثياب لأيتام المدينة ومساكينها.

وروى الفقير المتكلم المعروف بشمس الدين المعلم -الذي كان من خواص الأصحاب- كذلك أن مولانا نظر إلى الأصحاب ذات يوم، وقال: لقد قال نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم: لمَّا يسطع نور الله في قلب المؤمن، ينبسط القلب، ويتسع، ويصبح صحراء حسنة لطيفة. مثلما تلقي حجرًا في الماء، فينبسط ذلك الماء.

سألوه: يا رسول الله، إذا لم يكن للإنسان ذلك النظر الذي يرى به انبساط القلب، وتكون على عينيه غشاوة وغبار بسبب شؤم الطبع والشهوة، فبأي علامة يدرك أن قلبه انبسط، وأن انبساطًا وفسحة تجلتا فيه؟ قال: اعلم أن جميع أسباب الدنيا وأهلها ولذَّاتها تفتر في قلبه، وتبدو بلا ذوق، ويصبح غريبًا عن محبي الدنيا وعن رفاقه من دون أي سبب أو غرض.

رُوِيَ كذلك أن مولانا -قدسنا الله بسره الأعلى- كان قد وقف في ميدان، وكان يتحدث بالمعاني والأسرار. وكان جميع خلق المدينة قد اجتمعوا. فأدار وجهه المبارك عن الخلق، واتجه نحو الحائط، وكان يتحدث عن المعرفة حتى الليل. وحان وقت صلاة العشاء.

ولمَّا حل الليل، كانت كلاب السوق جميعها قد تحلقت حوله، وكان يمعن النظر إليهم، ويشرح المعاني. وكانت الكلاب تحرك رؤوسها وأذيالها، وتنزوي رويدًا رويدًا. فقال مولانا: بالله العلي القوي القاهر الذي لا قادر ولا قاهر في الوجود إلا هو، إن هذه الكلاب تفهم معارفنا، فلا تطلقوا عليهم كلابًا بعد ذلك، لأنهم أقارب كلاب أصحاب الكهف.

شعر (رمل)

طأطأت أسود العالم جميعها رؤوسها

لمَّا بايعت كلاب الأصحاب

وهذه الأبواب والحوائط تسبِّح، وتفهم الأسرار.

شعر (خفيف)

أين العين حتى ترى الأرواح

وقد أطلت الرأس من خلف الباب والجدار؟

الباب والجدار يتحدثان بالحقائق

وتَقصُّ النار والماء والتراب القصص

فجأة تفرق الأصحاب في كل ناحية، فأنشد مولانا:

شعر (هزج)

تعالوا، تعالوا، فقد وصل المحبوب

تعالوا، تعالوا، فقد أزهرت الروضة

وقال بعد ذلك: إن الحق تعالى كان يوزع الصدقات، فأين كان المستحقون؟ فأذعن الأصحاب جميعًا. وجاء المُعَرِّفون والعازفون إلى المدرسة. واستمر السماع في تلك الليلة من دون صداع طوال الليل حتى وقت السحر.

وقال مولانا: والله، والله، إن اعتقاد خواص هؤلاء الخلق المساكين -الذي قد اعتقدوه في حق الأنبياء والأولياء- لا يليق بحق بائع الخضراوات. إلا أنهم يعتنون بأمرهم، ويترفقون بهم.

حكاية

روى الولي المستور العارف الصمداني سراج الدين منشد المثنوي -طيب الله ثراه- الذي كان من أكابر الأصحاب، والذي حظي بعناية شلبي حسام الدين وتربيته؛ أن مولانا كان يفسر ذات يوم هذه الآية: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾[1]. وقال: إن للحق تعالى مكحلة، يكحل بمرودها عين ظاهر وباطن كل من يريد، فيَطَّلع على جميع مكنونات المكونات، وتنكشف له غيوب غيب الغيب، وتشاهد عين اليقين مخفيات الكنوز الإلهية كما هي. وإذا لم يخصه بتلك العناية، ولم يكحِّله بذلك الكحل، لا يرى واحدة من المغيبات أبدًا، حتى لو تمثل جميعها أمام نظر حسه، ولا يدركها.

شعر (رمل)

لو يكون مَلَكًا، يكون سِجِلُّه أسود

من دون عناية الحق وخاصة الحق

كيف يفتح عينيه من دون عناية؟

وكيف يُسَكِّن الغضب من دون عناية؟

وقال بعد ذلك: كن نورًا في نظر الشيخ أو ابتعد.

---

(١) سورة المعارج، الآيتان ٦، ٧.

شعر (رمل)

أتريد النور؟ استعد له إذن

أتريد البُعد؟ فلتغتر، ولتبتعد

روى مولانا سراج الدين منشد المثنوي -رحمة الله عليه- كذلك قائلًا: كنت قد ذهبت ذات يوم إلى بستان شلبي حسام الدين، وأحضرت منديلًا مملوءًا بالورد الأحمر إلى البيت تبركًا، ولقد كان مولانا في بيت شلبي، ولم أكن أعلم. فدخلتُ بغتة، وسجدت. فأجد الأصحاب العظماء قد احتشدوا في الأسفل والأعلى. وكان مولانا يسير في صحن البيت. ويكتب الأصحاب كل ما يقوله من المعارف واللطائف المنظومة والمنثورة. وقد نسيتُ أنا المنديل من شدة الدهشة والحيرة.

جلستُ بعيدًا في صف النعال، فنظر مولانا إليَّ، وقال: كل من يأتي من البستان، يجلب الورد تبركًا. وكل من يأتي من دكان الحلوى، يحضر قبضة من الحلوى. فطأطأت رأسي على قدمه المباركة، ونثرت الورد. فضجَّ الأصحاب، واغتنموا الورد. وعُقد مجلس السماع.

وقال سراج الدين كذلك: قال مولانا ذات يوم: إن العالم بأسره أجزاء شخص واحد، وإن إشارة: اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون، تعبر عن هذا. قومي تعني أجزائي، ولو أن الكفار لا يكونون أجزاءه، لا يكون هو الكل.

شعر (رمل)

أجزاء الدرويش جميعها حسن وسيئ

وإذا لم يكن هكذا، فإنه ليس بدرويش

ذات يوم تضرع معين الدين بروانه لسلطان ولد قائلًا: أريد أن يشرح لي مولانا معنى المعرفة في الخلوة، ويختص عبده بعناية خاصة.

لمَّا عرض سلطان ولد طلب بروانه على أبيه، قال: إنه لا يستطيع تحمل ذلك الحمل. فألَحَّ عليه ثلاث مرات. فقال: إن بهاء الدين الدلوي يحتمل أربعين شخصًا، وهو لا يحتمل شخصًا واحدًا. فأذعن سلطان ولد، وقال: إذا لم أكن قد قلت هذا، فمن أين كنت أسمع هذا المعنى؟

وفي اليوم التالي كذلك تشفع بروانه لدى سلطان ولد، وقال: لقد اشتاق جميع أكابر قونية إلى وعظ مولانا، فلو يمتن علينا بمجلس، ماذا يحدث؟ فإنه ربما روى عطشي ماء الحياة، ورحم الخلق رحمة عظيمة.

حكى سلطان ولد هذه الحكاية لمولانا، فقال له: يا بهاء الدين، إن الشجرة المثمرة التي كانت قد أرسلت أغصانها إلى الأرض من كثرة فاكهتها، وقد كفرت بنعمة البستاني، لا يستطيعون القطاف والجَنْي منها، وتناول ثمارها، وشكر نعمة الحق. ومن ثم لقد بلغت الأغصان سدرة المنتهى، وجاوزتها. فكيف يستطيعون التمتع بفاكهة ذلك النعيم والتنعم والتلذذ بها؟

ورُوِيَ كذلك عن سلطان ولد أن بروانه طلب من مولانا ذات يوم

أن ينصحه، ويعظه. وكان مولانا قد استغرق في التفكير، ثم رفع رأسه المبارك، وقال: أيها الأمير معين الدين، إنني أسمع أنك حفظت القرآن. قال: بلى. قال: وسمعت أيضًا أنك استمعت إلى جامع أصول الأحاديث من الشيخ صدر الدين. قال: بلى. قال: ما دمت تتعلم كلام الله والرسول، وتجتهد كما ينبغي، وتعلم، ولا تتعظ بتلك الأقوال، ولا تعمل بمقتضى أي آية أو حديث، فكيف سوف تسمع مني، وتتبعني؟ فنهض بروانه باكيًا، ومضى، وانشغل بعد ذلك بالعمل، ونشر العدل والإحسان، وعمل الخيرات حتى صار فريد الآفاق. وبدأ مولانا السماع.

روى ثقات الرواة كذلك أن علماء المدينة -الذين عاشوا في ذلك العصر، والذي كان كل واحد منهم متفق عليه في العلوم المختلفة والحِكَم- اجتمعوا عند خير الأنام القاضي سراج الدين الأرموي -رحمه الله-(1)، واشتكوا من ميل الناس إلى الاستماع إلى الرباب، ورغبة الخلق في السماع، وتحريمه. ولماذا ينبغي أن يبتدع رئيس العلماء، وزعيم الفضلاء المولوي، مثل هذه البدعة، وهو خليفة الرسول في مسند الشرع، وينشر هذه الطريقة؟ وتمنوا أن تنهدم هذه القاعدة عن قريب، وتزول هذه الطريقة بسرعة.

---

(1) **سراج الدين الأرموي:** هو القاضي سراج الدين أبو الثنا محمود بن أبي بكر بن أحمد الأرموي الذي كان من علماء آذربيجان الكبار، وتوفي في قونية ٦٨٢ هـ. وله مؤلفات عديدة في أصول الفقه والدين والمنطق، أشهرها كتاب مطالع الأنوار.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ١٦٥.

بديع الزمان فروزانفر: مولانا جلال الدين محمد مشهور به مولوي، انتشارات معين، تهران چاپ سوم ١٣٨٧، ص ١٩٠.

قال القاضي سراج الدين: إن هذا الرجل الجسور مؤيد من عند الله، وعديم المِثْل في علوم الظاهر جميعها أيضًا، ولا ينبغي مراوغته، فإنه يعلم، وإلهه يعلم.

مصراع (خفيف)

كل شاة برجلها ستناط[1]

كتب عديد من الفضوليين فصولًا عدة في المسائل المستعصية المتعلقة بالفقه والخلاف والمنطق والأصولَيْن والعربية والحكمة وعلم النظر وعلم المعاني والبيان والتفسير والنجوم والطب والطبيعيات وغيرها من الإلهيات، وأعطوها لفقيه تركي، ليحملها إلى مولانا.

وجد الفقيه التركي -الذي كان سائلًا بل كان خائفًا- مولانا عند بوابة السلطان بجوار الخندق. وقد انشغل بمطالعة كتاب. فأعطى الأجزاء لمولانا، ووقف بعيدًا.

لم يطالع مولانا الأجزاء، وطلب دواة وقلمًا في الحال، ودَوَّن إجابة كل مسألة وسؤال تحتها بالتفصيل. ثم جمع إجابات المسائل جميعها، وأجملها، وجعل منها مسألة، مثلما يعد الطبيب الحاذق دواءً شافيًا لعدة أمراض.

لمَّا أعاد الفقيه التركي الأوراق إلى المحكمة، انحصروا في غمام الغموم بعد الاطلاع على وضوح المشكلات وإجاباتها بصفة عامة،

(١) ورد هذا المثل في كتاب مجمع الأمثال على النحو الآتي: كل شاة برجلها معلقة.
أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني، مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٦ هـ. ش، الجزء الثاني، ص ٨٨.

واندهشوا بسبب بينات دلائل تلك المسائل، وإقامة البيِّنة، وإيراد البراهين، وإظهار سند كل مسألة، ودليل الحصر، وإلزام من يقول لا نُسَلِّم، ودفع معارضة الخصم والبحث بتوجيه مولانا، وأصيبوا بالعجز، وخجلوا من هذا الفعل.

وكتب مولانا في ذيل رقعة: ليكن في معلوم رأي علماء العالم العالي أن جميع ملذات الدنيا من النقود والعقود، وعنقود الأعراض والأجناس، وما ورد في آية: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾[1]، وجميع المدارس والخوانق قد أسلمت للصدور. ونحن لا ننشغل بأي نصيب منها، ولقد صرفنا النظر تمامًا عن الدنيا وما فيها، حتى تتوفر الأسباب للصدور وتثبت اللذات الدنيوية، وتستوفي.

ولقد اجتنبنا مشقتنا، وانزوينا في زاوية، ونزلنا في بيت الخمول. فلو أنهم كانوا قد قالوا: إن ذلك الرباب حرام، وأنكروه، كنا نتخلى عنه، إذا كان ذلك ينفع الأعزاء، ويلزمهم. وكنا نؤثر أئمة الدين. ولقد عزفنا رباب الغريب بسبب شدة التفاهة وعدم المبالاة، فالعزف على رباب الغريب هو شأن رجال الدين وإبراهيم اليقين. وفي الحال أنشد غزلًا عن الرباب، وقال:

شعر (رمل)

ألا تعلم، ماذا يقول الرباب

بسبب دمع العين والكبد الملتهبة؟

إلى آخره.

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٤.

ومن ثم ندم جميع العلماء في خدمة القاضي سراج الدين، وتابوا، وأنصفوا مولانا لحلمه الخليلي، وخلقه العظيم. وأصبح خمسة أشخاص من فحول العلماء والمستدلين والمدرسين المفتيين -من تلك الجملة- خادمين لمولانا، ومريدين له. وقالوا:

شعر (رمل)

إن هذا الحظ يأتي من السماء، لا من عالم التراب

وهو شأن الإقبال والنجم، لا شأن الساعد

حكاية

روى رواة الحكايات وحواة الآيات كذلك أن جماعة الحجيج المعتبرين كانوا قد وصلوا من الكعبة المعظمة، وذهبوا لزيارة مشايخ المدينة ومعتكفيها، وأدركوا كل واحد منهم.

وأقام أهالي المدينة مجلس سماع للحجيج، واعتنوا بهم. وفي آخر الأمر، أرشد أحد الرفاق الحجيج لزيارة مولانا. فتوجه جميعهم لزيارة كعبة الأرواح، وقد شدوا أوساط أرواحهم بنطاقات الإحرام.

لمَّا دخل الحجيج من باب المدرسة المباركة، وشاهدوا مولانا في المحراب، كبَّروا دفعة واحدة، وفقدوا الصواب. ولمَّا ثابوا إلى رشدهم بعد برهة. انشغل مولانا بطلب المعذرة، وقال: ربما التبس الأمر عليكم، أو اشتبه عليكم. فالإنسان يشبه الإنسان إلى حد كبير. فصاحوا جميعًا: أي مغالطة يغالطها مولانا، وأي التباس يلتبسه؟!

ولمَّا تفحص الأصحاب العظماء كيفية الحال، وتمهيد ذلك العذر،

قال الحجيج: والله العظيم، وبكلامه القديم، إن هذا الرجل أحرم للطواف حول بيت الله الحرام، وكان معنا. وكان صاحبًا ورفيقًا لنا في وقفة عرفات، والسعي بين الصفا والمروة. وجميع مناسك الحج وغيره، وزيارة قبر الرسول -عليه السلام- في المدينة. لكنه لم يشاركنا الطعام والشراب في أي يوم، وكان يُفَهِّمنا مشاعر الحج مرات عديدة، بالهيئة نفسها واللباس الذي قد ارتداه. وإنه يغالط في هذه اللحظة، ويخفي نفسه. فضج الأصحاب، وأقيم سماع عظيم. وكشف الحجيج رؤوسهم. وأصحبوا مريدين وعاشقين له.

رُوِيَ كذلك أن واحدًا من فحول الأصحاب -كان مريدًا لمولانا- من أعيان المدينة، وصنعته التجارة، كان قد ذهب إلى الكعبة المعظمة. وأعدت زوجة ذلك السيد حلوى كثيرة في ليلة عرفة ووقفة عيد الأضحى، وتصدقت بها على الفقراء والمساكين والجيران واحدًا تلو الآخر. وأرسلت صينية فخمة مملوءة بالحلوى إلى مولانا، ليتناولها الأصحاب، وليعين السيد بدعاء الخير.

قال مولانا: إن تلك السيدة تعتقد فينا. وليأكل جميع الأصحاب من هذه الحلوى، ويتبركوا بها أيضًا. فأكل جميع الأصحاب -كما ينبغي- بشهية مفتوحة وأخذوا منها، وكانت الصينية لا تزال مملوءة. فحمل مولانا الصينية، واعتلى سطح المدرسة. فاحتار الأصحاب فيما سوف يفعل. وفي اللحظة نفسها، نزل مولانا من على السطح من دون الصينية.

قال مولانا: لقد وَصَّلتُ تلك الحلوى لذلك الرجل، حتى يأكل هو أيضًا. فازدادت حيرة الأصحاب.

وحدث كذلك أن ذاع خبر مقدم الحجيج. فاستقبل أهل المدينة الحجيج مسرورين. وقد جاء ذلك السيد مستنير الخاطر مباشرة لزيارة مولانا بتراب الطريق، وسجد، وشكره. فأكرمه مولانا، وأمره بأن يذهب إلى داره.

جاء السيد، وأدرك عياله في سلامة من دون ملالة وملامة. وكانوا قد جلسوا في ليلة القدوم نفسها، وأخرج الغلمان الصينية من بين المتاع. فقالت الزوجة: ما شأن صينيتنا هذه بكم؟ وقد كُتب التاريخ واسم السيد عليها. قال السيد: أنا محتار أيضًا، ماذا تفعل هذه الصينية عندي؟

استفسرت الزوجة عن الأمر، فقال: كنا قد اجتمعنا مع الحجيج في خيمتنا في جبل عرفات ليلة عرفة، فأرى يدًا امتدت من زاوية الخيمة، ووضعت هذه الصينية المملوءة بالحلوى أمامنا. وأدركتُ أن الصينية كانت ملكنا، لكني لم أعلم من أين جاءت إلى ذلك المكان. وجرى الغلمان إلى الخارج، فلم يجدوا أي شخص.

أذعنت السيدة الصدِّيقة في الحال، وحَلَّت مشكلة الحلوى، وشرحت الحال. فاضطرب السيد المسكين بسبب تلك العظمة والقدرة.

وفي الصباح جاءت المرأة والرجل إلى مولانا، وكشفا رأسيهما، وانتحبا. فقال مولانا: كان ذلك كله ببركة اعتقادكما، وصدق طبعكما. وقد أظهر الحق تعالى قدرته على أيديكما. ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾(1).

---

(1) سورة الحديد، جزء من الآية ٢٩.

حكاية

رُوِيَ عن الأصحاب القدماء أن مولانا كان يعظ في مسجد القلعة يوم الجمعة، وكان المجلس قد أظهر حماسًا بالغًا، وحضره جميع الصدور والبدور، وكان مولانا يُظهِر اليد البيضاء في بسط الكلام، وشرح غرائب التفسير، وكان ينثر درر الغرائب والأمثال والحكايات والأشعار المناسبة للآيات، وكانت عبارات المدح والثناء تصل من كل زاوية إلى مظلة العيوق. وكان المداحون ينشدون الرباعيات، وكان المقرئون المبتهجون يسحرون الألباب.

ربما قال فقيه لِعلَّة في قلبه: إن أغلب الوعاظ يختارون آيات عديدة من القرآن مناسبة للوقت والأيام، حتى يتلوها المقرئون، وإنهم كانوا يستحضرونها، ويعددون الأقوال الغريبة من كل كتاب وتفسير. ويبدو ذلك موافقًا لطبع الأنام. لكن الواعظ الذي يستطيع الإفاضة في المعاني، والإبداع في اللطائف، والماهر في كل فن هو الذي يخوض في ذلك الشأن بالبديهة من حيث يقرأ الحُفَّاظ، ويجعل علماء العالم يحبونه بالفوائد العجيبة.

أشار مولانا إلى ذلك الفقيه وهو في ذلك الاستغراق بعينه، وقال: اقرأ السورة التي تتبادر إلى ذهنك من القرآن المجيد، حتى ترى العجائب! فاحتار السلطان والأمراء وسائر الخلق بسبب هذه الإشارة.

وبمجرد أن قرأ ذلك الفقيه غير النبيه آية والضحى، قال مولانا: لمَّا تدرك صحبة الخواص الربانيين -الذين هم جواسيس القلوب- اجلس

في صدق تام مستحضرًا القلب، حتى لا تحرم من السعادة السرمدية.

شعر (رمل)

أيها الراجل الذي يرائي الراكب،

إنك لن تحفظ السر طويلا

نافق الفئران الشبيهة بك

فالفأر لا يكون له كلام مع الجمل

بعد ذلك بدأ مولانا في تفسير سورة الضحى وتحقيقها، وبَيَّن المعاني والدقائق إلى حد لا يمكن وصفه. وامتد المجلس حتى قرب صلاة المغرب. وكان لا يزال يشرح الغرائب والنوادر في واو قسم والضحى. فذهل الحاضرون في المجلس تمامًا.

وفي اللحظة ذاتها، نهض ذلك الفقيه المنكر، وكشف رأسه، ومزق ثيابه، وقَبَّل درجة المنبر منتحبًا، وأصبح خادمًا ومريدًا ذا اعتقاد كامل، وصدق بلا غل. وفي ذلك اليوم التحق خواص الناس جميعهم بإرادة مولانا، وعَمَّ الغلو. ويقولون: إن هذا الوعظ ذاته كان آخر وعظ لمولانا، ولم يعظ مرة أخرى، وانشغل بالتذكير والتفسير بطريق آخر لا ينقطع.

رُوِيَ كذلك أن شيخًا من أعيان المدينة كان قد توفي في ذلك الزمان، وانضم جميع أهل قونية إلى ذلك الجمع. وكان مولانا يسير خارج قصر المتوفى حتى خروج الجنازة. وكان كمال الدين المُعَرِّف قد وقف، وكان يُعَرِّف صدور المدينة فردًا فردًا قائلًا: بسم الله، السيد صدر الدين. مرحبًا أخي بدر الدين. بسم الله الأمير كمال الدين. مرحبًا

مولانا سيف الدين. مرحبًا بالشيخ عز الدين. وكان يسهب في حديث من هذا القبيل.

ولمَّا خرجت الجنازة، مضوا، ووضعوا التابوت بجوار اللحد، حتى يدفنوه. فتقدم مولانا، ووقف على حافة القبر مثل المُلَقِّنين، وأمر بأن يستدعوا كمال الدين المُعَرِّف. فجاء المُعَرِّف، وسَلَّم.

انتظر جميع العلماء والشيوخ ما سوف يفعله مولانا. قال مولانا: لو أنه صدر الدين أو بدر الدين أو كمال الدين، يظهر، ويتعين من يكون. وإنني أخشى ألَّا يكون في صدره دين، وألَّا يكون لبدره نور، ويكون كماله في نقصان. وما دام لم يكن قد طعن نفسه بسيف الدين، يصير أسير ساطور منكر ونكير، وتتبدل عزته ذلة. فضج الخلق، وفقد كمال الدين الصواب. وكثيرًا ما جدد المنكرون القدماء إيمانهم، وقطعوا الزنانير، وأصبحوا خادمين ومريدين مجددًا.

حكاية

روى أصحاب الصحبة وندماء الخدمة كذلك أن مولانا والأصحاب الكرام والمتحدثين الفاخرين كانوا يركبون العربات في كل عام، ويذهبون إلى بحيرة الماء الدافئ، وكانوا يقيمون هناك نحو أربعين يومًا أو خمسين يومًا.

كان الأصحاب قد تحلقوا حول بحيرة الماء الدافئ. وقد ثمل مولانا بكأس البقاء، واستغرق في أنوار اللقاء، وكان يتحدث بالمعاني. وكان الأصحاب يصيحُون، ويضجون. وحدث أن ضفادع تلك البحيرة كلها كانت تنقنق مرة واحدة، وتحدث ضجة شديدة.

صاح عليهم مولانا صيحة مهيبة قائلًا: ما هذه الغوغاء؟ إما أن تقولوا أنتم أو أقول أنا. فسكت جميعهم في الحال، ولم يتحدثوا قَط. كما أن مخلوقًا في ذلك المكان حيث كانوا لم يتحدث أصلًا. ولمَّا كان يتحرك مباركًا، جاء إلى شاطئ البحيرة، وأشار قائلًا: القاعدة بعد هذا هي أن تنشغلوا بأحوالكم. وفي الحال بدأ في الكلام في ضجة كبيرة. وبسبب هذه الكرامة العجيبة آمن عدد من منكري التوحيد لا يمكن وصفه، وأصبح ما يقرب من ألفَي إنسان من الرجال والنساء مريدين له.

كان مولانا يذهب لزيارة تربة بهاء ولد ذات يوم، وكان قصابو المدينة قد اشتروا بقرة قضاء وقدرًا، حتى يضحوا بها.

قطعت البقرة الحبل، وهربت منهم. وكان الخلق يهرولون في إثرها، ويضجون، ولم يستطع أي شخص أن يقترب منها، أو أن يمسك بها. وفجأة وقفت البقرة أمام مولانا، وتقدمت إليه متمهلة، وكانت تطلب الأمان بلسان الحال الذي يعرفه أهل الحال، وتتضرع إليه. فتقدم مولانا، وأمسك بالبقرة، وكان يربت عليها بيده المباركة، ويرأف بحالها.

جاءت جماعة القصابين في إثر البقرة، وطأطأوا رؤوسهم. فقال مولانا لهم: إنه لا يجوز ذبح هذه البقرة، ولتطلقوها. فقبلوا، وأطلقوا تلك الماشية، ونجت من الذبح. وتركوها للطَّرْخان(١).

وبعد برهة، شرع مولانا في الحديث عن المعرفة لمَّا تعقبه الأصحاب العظماء، وقال: نجا الحيوان الذي كانوا قد عزموا على

---

(١) طَرْخان: اسم للرئيس الشريف، خراسانية، الجمع: طراخنة.
almaany.com

ذبحه فجأة، وفرَّ، وأقبل علينا، فنجّاه الحق جل وعلا من الذبح والتقطيع بعنايته اللا نهائية، وببركتنا، وحَرَّره. ولو أن إنسانًا يُقبِل على الرجال مخلصًا، ويصبح مريدًا لهم، ينجو من يد سَلَّاخي جهنم، ويدخل الجنة الأبدية، حيث لا يوجد عجيب أو غريب أبدًا.

رقص الأصحاب من شدة السرور، وداروا، وانشغلوا بالسماع من أول النهار حتى الليل، ومنحوا عديدًا من العمائم والثياب للقوالين يفوق الحصر. ويقولون: إن شخصًا لم يرَ تلك البقرة الناجية في مكان مرة أخرى، واختفت في صحراء قونية.

رُوِيَ كذلك عن مفخر الأبرار الشيخ سنان الدين النجَّار الذي كان من النجَّارين الكرام -روح الله روحه- أن مولانا قال ذات يوم: إن عشاق الله يذوقون حلاوة المحبة، وإن أهل الدنيا يتجرعون سُم فراق الزوجة وفقدان المال. وما دام الحق تعالى قد خلق عالم الوجود هذا من العدم المحض، من ثم ينبغي أن تنعدم، حتى يصنع منك شيئًا آخر.

وروى مفخر الأبرار الشيخ سنان الدين النجَّار أيضًا أن مولانا قطب الدين الشيرازي -رحمة الله عليه- كان قد جاء لزيارة مولانا، ذات يوم، وكان قد شغف بمعارف أبيه الكريم.

فجأة كانت عربة تمر أمام باب المدرسة، فانزعجت جماعة من ذلك الصوت. قال مولانا: إنه صوت عربة أم إنه فعل الفلك؟ فأذعن الجميع.

وبعد ذلك سأل مولانا قطب الدين: ما طريقك؟ فقال: طريقنا الفناء، ونَقدُنا الانطلاق إلى السماء. فإنك لا تصل، ما لا تفنى. كما

قال صدر العالم: إنك لا تنطلق ما لم تمت. ثم قال قطب الدين: آه، وا أسفاه، ماذا أفعل؟ فقال مولانا: ما أفعله أنا نفسه، وعندئذ أنشد هذا الرباعي في السماع:

رباعي

قلتُ: ماذا أفعل ؟ قال: افعل ما أفعله أنا نفسه

قلت: الأفضل من هذا، دَبِّر لي حيلة، فماذا أفعل ؟

فاتجه إليَّ، وقال: يا طالب الدين،

ابقَ دائمًا هكذا، وافعل ما أفعل

في اللحظة نفسها، صار قطب الدين مريدًا له.

كذلك كان واحد من كبار الأصحاب قد توفي، فاستشاروا مولانا: هل يُدْفَن بتابوت أم يُدفَن من دون تابوت؟ فقال: وأي مصلحة يراها الأصحاب؟ فقال العارف الرباني، معدن النور، كريم الدين ولد بكتمور -رحمة الله عليه- الذي كان صاحب بصيرة، ومن جملة أهل المقامات: الأَوْلى دفنه من دون تابوت. قال الأصحاب: وما السبب؟ فقال: إن الأم ترعى الابن أفضل من الأخ، ولأن جسم الإنسان من تراب، والسرير الخشبي أيضًا ابن التراب، ومن ثم فكلاهما أخوان. أما التراب فهو الأم الحنون. ومن ثم فالأصوب أن نتركه لأمه. فأثنى مولانا عليه، وقال: هذا الكلام غير مسطور في أي كتاب.

رُوِيَ كذلك أن واعظًا كان يعظ في مسجد القاضي عز الدين. وكان مولانا حاضرًا في المسجد. وكان الواعظ يسهب في شرح الآيات والبينات وعظة الناس إسهابًا كبيرًا.

اتجه مولانا إلى الأصحاب، وشرع في الحديث عن المعرفة، وذكر حكاية عجيبة على سبيل المثال، وقال: كان هناك سيد مُنعَّم وصاحب ثروة في خطة بلخ، ورحل فجأة إلى عالم البقاء. وكان له ولد عاق صَلِف للغاية وعاصٍ، وورث عن أبيه نحو مائة ألف دينار ذهب نقدًا، إضافة إلى الأملاك والمتاع. وحدث أن عشق امرأة، وأنفق عليها كل الأموال ولم يبقَ له شيء.

شعر (رمل)

ماذا يعلم الوارث عن قدر المال!

فقد ضحى رستم بروحه، وحصل زال عليه من دون مقابل

ففني المال والمتاع والقصور

وبقي هو مثل الغربان في تلك الخرابات

في نهاية الأمر، لمَّا أفلس هذا الابن من جميع الوجوه، واحتاج إلى الطعام كذلك. هجرته تلك المعشوقة المخادعة، وكانت كل محاولاته معها تبوء بالفشل. وانقطعت تلك الشعرة التي كانت بينهما، وسقطت من نظره، وكان يمطرها بوابل من السباب بدلًا من القُبُلات، وقال لتلك الفاسقة في آخر الأمر: إن لي حاجة عندك، وأنت تعرفين بعد ذلك. فقبلت المعشوقة. قال: إنني أريد النظر إلى فرجة فرجك عند التبوُّل. فقالت: إنه أمر سهل. وفي البرهة التي انشغل فيها بالتفرج على فرجة فرجها، صاح، وضجَّ بالبكاء.

سألوه: ما سبب البكاء والصراخ؟ فقال: إنني لا أرى هنا أي شيء

مما خسرته في سبيلها من مال وأسباب وجياد. وقد غاصت جميعها في هذا المكان الخرب المفعم بالإثم. ومهما أمعن النظر، فليس هناك أثر واضح لها.

وعلى هذا النحو، مع أن واعظَنا هذا، وعلماء الظاهر المتكبرين أيضًا، يشرحون حال الأنبياء والأولياء والأقطاب، ويتباهون بذلك، فإنهم ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[1]. وهم لا يحظون بشيء من تلك الحالات ومقامات الدراويش، ويظنون أنهم يحظون بها كلها.

شعر (خفيف)

ادِّعاء العشق سهل

لكنْ للعشق دليل وبرهان

حقًّا إنهم لا يملكون شيئًا، وما يملكونه متجمد غير تام، وهم يعلمون عاقبة الأمر، ولا يفيدهم ذلك. ثم نهض، ومضى من دون نعل.

حكاية

روى ملك القضاة والحكام مولانا كمال الدين كابي -رحمة الله عليه- الذي كان من أكابر قضاة الروم قائلًا: كنت قد ذهبت إلى دار الملك قونية في سنة ست وخمسين وستمائة (هجرية)، لزيارة السلطان عز الدين كيكاوس -نور الله قبره- لإنجاز أمور الولاية الفقهية، والعودة بالأمثلة والفرامين. وأتممت جميع المهام بعناية البارئ تعالى بسرعة، وكنت أريد الرحيل. فحثتني جماعة الأصحاب الذين كانوا

---

(١) سورة الفتح، جزء من الآية ١١.

من أكابر المدينة، مثل: شمس الدين المارديني، وأفصح الدين، وزين الدين الرازي، وشمس الدين الملطي -رحمهم الله- على زيارة مولانا، وحرضوني على ذلك. وكنت قد سمعت عن صيته الجميل من أفواه الناس. لكن استكبار المنصب، واستكثار الأسباب، وارتكاب الإنكار، كان يمنعني، ولم أكن أستطيع الأوبة إليه. وفي نهاية الأمر، صار التوفيق الإلهي رفيق روحي، وشَرُفْت بزيارة مولانا بصحبة تلك الجماعة الكرام، برغبة تامة، وجذبة سلطان الأنام ذلك الداخلية.

ولمَّا دخلنا من باب المدرسة المباركة، رأيت مولانا وقد خرج لاستقبالنا، نحن العبيد، متبخترًا. وبمجرد أن ألقيت نظرة على وجهه المبارك، زال العقل عني، وسجدنا جميعًا كذلك. وقد احتواني مولانا، أنا العبد، من بين الجميع، وأنشد:

شعر (رمل)

إنك تهرب من العمل معنا في كل وقت

فكيف وجدناك في عِزِّ العمل!

وقال بعد ذلك: لله الحمد، إن كمال الدين صاحبنا اتجه نحو كمال الجلال. وأصبح من الكاملين في الدين. وتفوه كذلك بعلمه اللدني الذي لم أكن قد سمعته طوال عمري على لسان أي شيخ أو قطب أو عالم، ولم أكن قد طالعته في أي كتاب. ولمّا وقفت على عظمته بقدر استعدادي وإدراكي، انخرطت في سلك المخلصين له بإرادة صادقة وإخلاص تام. وجعلتُ ابني القاضي صدر الدين، ومجد الدين الأتابك، مريدَين له. وصار عديد من أبناء الأكابر وسائر الأحرار خادمين ومريدين له. ولمَّا

عدتُ إلى مقامي حائرًا، وجدت باز روحي مضطربًا مُحَلِّقًا في قفص قلبي. فشاورت أصحابي الأعزاء، وقلت لهم: إنني أريد إقامة مجلس سماع لمولانا، وأعلن إرادتي له.

طلب الأصحاب السكَّر النبات من قونية بأسرها، فلم يجدوا سوى ثلاثين زنبيلًا من السكَّر النبات الخاص الخالص. وخلطوا عدة شوالات من السكَّر النبات معًا. وقد اطمأن الناس جميعًا في كنف الأمان في ذلك الزمان، ولم يكفِ أي نوع من النعمة الخلق في قونية بسبب كثرة الاجتماعات، ومجالس السماع، والاحتفالات والمسرات.

نهضتُ، وذهبتُ إلى جوماج خاتون توقاتي التي كانت زوجة السلطان، وشرحت لها الحال. فأنعمت عليَّ بعشرة شوالات أخرى من السكَّر النبات. وكنت أفكر كيف يكفي الجمع هذا القدر من السكَّر الجلاب وفكرتُ أيضًا في أن يعدوا جلاب الشهد العسلي من أجل الناس واستغرقت في هذا التفكير.

فجأة دخل مولانا من الباب، وقال: يا كمال الدين، لمَّا يكثر الضيوف، ينبغي أن يزيد الماء، حتى يكفي. وحدث أن اختفى كالبرق الخاطف وإلهام الهاتف.

ومهما هرولوا خلفه، لم يجدوا له أثرًا.

وبناء على ذلك، وضعوا السكَّر النبات كله في حوض مدرسة قره طائي. وأعددنا عدة دنان ملكية أخرى من الجلاب، وتركتها لساقي السلطان، وقلت له: حتى لا تكون كثيرة الماء، ينبغي تذوقها في كل لحظة. فملأ قدحًا، وأعطاني إياه، فوجدته لاذعًا سيئ الطعم، وقلت:

يلزم ماء آخر، فصبوا عليه عدة أباريق من الماء، وتذوقته مرة أخرى، فكان أكثر حلاوة من المرة الأولى. وملأوا عشرة دنان أخرى من الجلاب المُحلَّى إضافة إلى الحوض، ولا يزال حُلوًا. فصحت صيحة، وقلت: إن هذه الكرامة العظيمة من إشارة تلك الحضرة (مولانا). وازداد إخلاصي له. وينبغي إعداد ألوان من الأطعمة من الجلاب الوفير.

وفي تلك الليلة دعوت السلاطين جميعًا، وأساطين الدين. وقد تجمع كثير من المشايخ إلى حد لا يمكن وصفه. وواصل مولانا السماع من وقت صلاة الظهر حتى منتصف الليل، وسيطر على الميدان من يد رجال الوقت في استقلال تام بقوة الولاية وقدرة الهداية. ولم يكن هناك مجال لشخص للجولان أو إمكانية الحركة. وقد شددتُ بنطاق الخدمة على وسط الروح في صف النعال، وكنتُ أوزع الجلاب على عطشى السماع. وكان معين الدين بروانه، ونواب السلطان قد وقفوا؛ موافقة لي، أنا العبد، مثل الشمع، وكانوا يتضرعون، ويبتهلون. وكانت الأفكار العجيبة، والظنون تجول بخاطري. وتحدث مولانا للقوالين، وأنشد هذا الرباعي:

شعر

جاء الحَر، وشَمَّت روحه أريج روضة الصواب

في وَلَه وخفة وعجلة

سارعوا اليوم إلى جميع القضاة

فالقاضي الشجاع يقضي حياته في البحث عن الماء

ازداد حماس مجلس السماع أكثر مما كان. ودعاني إليه كذلك، واحتضنني، وقَبَّلَني في عيني ووجهي، وأنشد غزلًا.

بيت (مجتث)

إذا لم تعرفني، فسَلِ الليالي

وسَلِ الوجه الشاحب والشفاه اليابسة

وهذا الغزل مطول وعظيم. وفي الحال كشفتُ رأسي، ومزقتُ ثيابي، وأصبحتُ مريد عشقه. وحدث أن ارتقت أحوالي وإمارتي، وكثر أولادي وأعقابي وأسبابي. وما امتن به على باطني، وأذاقني إياه، لا يمكن التعبير عنه. يضيق صدري، ولا ينطق لساني، كما أنشد:

شعر (رجز)

يظفر بمُلك السعادة كل من يصير مطيعًا لي

ويطوي الطريق إلى مَلك العالمَين، كل من يختار بابي

روى سعداء الأصحاب كذلك أن معين الدين بروانه كان قد أقام مجلس سماع لأكابر المدينة، وكان كل واحد منهم قد حمل معه نصف مَنٍّ من الشمع، ووضعه أمامه. وفي عاقبة الأمر، دعا بروانه مولانا، فأجاب الدعوة. وكانت عادة مولانا أنه كان يحضر بعد اجتماع الأكابر جميعهم. ومن ثم أمر مولانا الأصحاب بإحضار شمعة صغيرة. وتعجب أعزة الأصحاب من حقارة تلك الشمعة الصغيرة!

لمَّا دخل مولانا قصر بروانه، جلس في زاوية القصر، ووضع تلك الشمعة الصغيرة أمامه. كان الصدور والأكابر ينظر بعضهم إلى بعض

خلسة، ويتعجبون! وكانوا يحملون البعض على الجنون والهوس.

قال مولانا: إن شمعتنا الحقيرة هذه هي روح هذه الشموع جميعًا. فأذعن الأصحاب الصدِّيقون، وكانوا يصدقونه. وكان البعض يهز رأسه على سبيل الإنكار، ويفكر في المحال. فقال مولانا: إنكم لا تصدقون. ثم نفخ في الشمعة الصغيرة، فانطفأت تلك الشمعة، وانطفأت جميع الشموع المنيرة مرة واحدة، وبقي الجميع في ظلام.

ضجَّ الأصحاب بعد برهة كانت قد أصابتهم الحيرة خلالها، وتأوهوا، فأنارت جميع الشموع كما كانت. وانعقد السماع. وأذعن جميع العلماء والأمراء، وهم يصيحون. وكان السماع يقام حتى وقت السحر. وقد احترقت تلك الشموع جميعها، وتوهجت تلك الشمعة الصغيرة حتى الصباح ببركة ذلك النفَس. وأصبحوا جميعًا خادمين ومريدين له.

حكاية

حكى مَلك المدرسين مولانا شرف الملة والدين قيصرية -عليه سلام الله والتحية- الذي كان الشافعي الثاني والنعماني الباني في عصره، وكان من المريدين المختارين الممتازين، كما أن تاج الدين معتز بنى مدرسة من أجله في مدينة آقسرا، وطلب مُدَرِّسًا لها من مولانا؛ قائلًا: كنتُ حاضرًا ذات يوم في خدمة مولانا، فقال: إن صلاة المريد في حضور شيخه غير جائزة، ولو تكون في الكعبة.

كما أن بهاء ولد -رضي الله عنه- انشغل بالحديث عن المعرفة، وقد حلَّ وقت الصلاة، فانصرفت جماعة من المريدين عن الشيخ، وعن

الاستماع إلى المعارف، وأقاموا الصلاة. وكان عديد من الأصحاب قد استغرقوا في الحضور، واستهلكوا في نور الشيخ. وأظهر الحق تعالى نظر بصيرتهم على العيان، فحاد المصلون عن القبلة، وبطلت صلاتهم.

وقال كذلك: إن سماع الشيخ الكامل فرض مثل الصلاة الموقوتة وصوم رمضان. وإن السماع مباح للمريدين المقبلين والمخلصين بقدر ما يستطيعون، وحرام على عوام الناس الذين ليسوا مشايخ ولا مريدين.

وقال أيضًا: لم يتحدث الأنبياء والأولياء كافة عن حقيقة البارئ تعالى قَط، ولم يقرروا شيئًا. وأنا أتحدث عن سر نور الروح المحمدي -عليه الصلاة والسلام.

إن الله الذوق[1] كله. ومن لم يَذُق، لم يَدْرِ وأنا ذلك الذوق، وقد غرقت في ذلك الذوق تمامًا، وذوق العالمين صورة ذلك الذوق. والإيمان كله ذوق وشوق. وصاح صيحة، وشرع في السماع.

وقال كذلك: إنني لست هذا الجسم الذي قد تجليت به أمام نظر العاشقين، لكنني ذلك الذوق، وتلك السعادة التي تنبعث في باطن المريد من كلامنا، ومن ذِكرنا. والله، والله، حين تدرك تلك اللحظة، وتشاهد ذلك الذوق في روحك، اغتنمه، وامتنَّ لي، لأنني أنا ذلك.

---

(١) **الذوق:** الذوق في معرفة الله نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرِّقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره. والذوق: السكْر الذي يَطرأ على العاشق بعد تذوق شراب العشق، والشوق الذي يطرأ بعد استماع كلام المحبوب ومشاهدة وجهه.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ٨٧.

شعر (رباعي)

حين تدرك لحظة سعادة من المحبوب

تجد تلك اللحظة هي نصيبك من العمر

فاحذر، ولا تضيع تلك اللحظة

لأنك قلما تحظى بلحظة أخرى مثل تلك اللحظة

وقال أيضًا: لا ينبغي النظر إلى اللقمة الحلال والكسب الحلال، لأن أصله الدخل والإنفاق، وفيما ينفق. وكثيرًا ما تكون اللقمة الحلال هي تلك التي لا تثمر سوى الكسل والدغل والفشل. واللقمة التي تزيد الشوق والذوق في روحك، وترغِّبك في ذلك العالم الآخر، وتجعلك تميل إلى طريقة الأنبياء والأولياء، اعلم أنها هي اللقمة الحلال.

مصراع (هزج)

الصمت جدير بالمعرفة، وغير جدير بالقول

ولو ينتج عكس ذلك من تلك اللقمة، فاعلم أنها حرام محض.

شعر (رمل)

اللقمة التي زادت النور والكمال

كانت قد جاءت من الكسب الحلال

ما دمت تلقى الحسد والشَّرَك بسبب اللقمة

فاعلم أنها حرام تنتج الجهل والغفلة

يظهر العلم والحكمة من اللقمة الحلال

ويتجلى العشق والرقة من اللقمة الحلال

اللقمة بذرة وثمرتها الأفكار

اللقمة بحر وجوهره الأفكار

يُولَد الميل إلى الخدمة والعزم على الرحيل إلى ذلك العالم

في الروح من اللقمة الحلال

وقال أيضًا: تَنَاول اللقمة بقدر ما تستطيع، لكن احذر، ولا تستهلك نفسك في أمور الدنيا، واجتهد من دون شك في أن تهديها إلى سبيل الحكمة، والاستماع إلى كلام الأولياء والأنبياء، وإلا تلتهمك اللقمة. كما قال المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في شأن أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه: كلوا مثل أكل عمر، فإنه يأكل أكل الرجال، ويعمل عمل الرجال. ثم أنشد بعد ذلك:

شعر (رمل)

بما أن اللقمة تصير جوهرًا بداخلك

فكُلْ بقدر ما تستطيع ولا تمتنع

وبما أن الطيب يصير في معدتك خبيثًا

فضع القفل على الحلق، وخبِّئ المفتاح

كل من صارت اللقمة بداخله نور الجلال

يحل له كل ما يريد أن يأكله

حكاية

روى الأصحاب -الذين كان قولهم موثوقًا به ومعتمدًا عليه- كذلك أن شمس الدين المعلم كان يبقى والهًا متحيرًا دائمًا أمام مولانا في السماع، وكان باقي الأصحاب ينشغلون بالاحتفال والسرور والجلبة.

قال مولانا له ذات يوم: لماذا لا تمعن النظر إلى وجهي، ولا تندمج في السماع؟ فطأطأ المذكور رأسه، وأجاب قائلًا: وأي وجه موجود في العالم غير وجهك المبارك يمكن مشاهدته، والتفرج عليه؟ وتلك اللذة والنشوة التي يجدها هذا العبد بمطالعة وجه مولانا المبارك، لا تبدو له في أي وجه من وجوه الآخرين. فقال: حسنًا، وليبارك الله.

لكن لنا وجهًا آخر خفيًّا، ولا يمكن مشاهدة ذلك الوجه بهذه الأعين، فاجتهِد في أن تتجه نحوه، وتشاهده، حتى يختفي هذا الوجه الظاهر، وتستطيع مشاهدة ذلك الوجه الخفي جليًّا. ولمَّا تشاهده، تعرفه في الحال.

شعر (رمل)

اجتهِد في أن ترى النور من دون حجاب

وما دام الحجاب لا يبقى، لا يزداد العمى

والله، والله، لا ينبغي إمعان النظر إلى قرص الشمس، لأنها تصيب العين بالعشا، وتكف البصر. وبعد ذلك لا تستطيع الرؤية أبدًا.

شعر (هزج)

أيتها العين الكليلة، استظلي بظله

واحذري، ولا تنظري إلى وجهه في تلك الحال

بعد ذلك أدى شمس الدين عبادة السماع(1)

حكاية

روى الصاحب الجليل النهري بهاء الدين البحري -رحمة الله عليه- الذي كان كاتب الأسرار، كذلك قائلًا: ما عِلَّة المشايخ التي

---

(1) **السماع:** السماع في اللغة بمعنى الاستماع، وجاء في بعض الرسائل أن السماع هو مجالس الأنس والطرب، وبمعنى ذكر الأمور الماضية، والسماع في العرف هو الرقص. وفي السماع حرام وحلال وشبهة، فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام، ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل، ويشهده طرفات الجليل فهو مباح، وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي. ويقول أبو القاسم البغدادي: السماع على ضربين؛ فطائفة سمعت الكلام فاستخرجت منه عبرة، وهذا لا يسمع إلا بالتمييز وحضور القلب. وطائفة سمعت النغمة وهي قوت الروح، فإذا ظفرت الروح بقوتها، أشرفت على مقامها، وأعرضت عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة. وقال الجنيد: الرحمة تتنزل على الفقير في ثلاثة مواضع؛ عند الأكل، فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة. وعند الكلام، فإنه لا يتكلم إلا عند الضرورة. وعند السماع، فإنه لا يسمع إلا عند الوجد.

انظر: محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة د. رفيق العجم، تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الجزء الأول أ - ش ص ٩٧١. أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي: عوارف المعارف، مكتبة القاهرة، مصر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ص ١٦١، ١٦٢. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة جورج متري عبد المسيح، ص ١٠٠، ١٠١.

تتناقلها أفواه الناس؟ وهل تلك العِلَّة ظاهرة أم باطنة؟ يا للعجب! فقال: حاشَ لله من المشايخ المصابين بمثل تلك العِلَّة السيئة. لكن الأشخاص الذين يرتدُّون عن الطريقة بسبب جسارة الباطن، وجرأة الظاهر، ابتلوا بتلك العِلَّة في العاقبة.

مثلما كان هناك شيخ في زمان مولانا صاحب قبول، وذا فنون. وكان يشتهر بالشيخ ناصر الدين. كان صاحب تبصرة، وكان يعدل الشيخ صدر الدين في جميع العلوم، وكان له مريدون معتبرون.

ذات يوم كان مولانا يعبر أنحاء الخانقاه المذكور مع عديد من الدراويش. وكان هو قد جلس في جوسقه مع مريديه، فجأة رأى مولانا من بعيد كان يَمُر مع مريديه، فيقول لأصحابه: انظروا، أي صورة قاتمة، وطريقة هشة لمولانا صاحب القلنسوة الدخانية، والفرجية الزرقاء؟ وأنا لا أعلم أبدًا أي سيرة وأي طريقة لهذا الرجل، أو إلى من تصل خرقته. ولا أظن أن فيه نورًا.

وبمجرد أن لمَحَه مولانا من بعيد، قال محتدًّا: أيها المخنث عديم التمييز. وفي اللحظة نفسها تأوه الشيخ ناصر الدين، وسقط. فأقبل عليه مريدوه، وهم يصيحون، وقالوا: كيف الحال؟ فقال: وا أسفاه، لقد أسأتُ الأدب، وتجرأتُ. وطعنني مولانا. وقد كنت جاهلًا بعظمة ولايته. وأبلغه أهلِ الغيب بالعبث الذي كنت قد قلته في اللحظة نفسها في هذا المكان، فتبدلت حالي، وساء حظي.

شعر (رمل)

مع أن أحدًا لم يسمع ذلك الكلام منه

فقد ترامى إلى الأذن أنه كان من لدنًا

نام محمد، واتكأ

وارتقى، وطاف حوله

قال الرسول: عيناي تنامان

ولا ينام قلبي[1] عن حال الأنام

وقد خرج من حَيِّز الرجولة، وأصبح مخنثًا. نعوذ بالله من ذلك.

نظر الأصحاب من هذا الجانب إلى الجهات الست، ليروا من الذي سَبَّه مولانا، فلم يجدوا أي شخص. فازداد تعجبهم، وسألوا مولانا عن مسألة السب في تضرع تام. فقال: لقد صار ناصر الدين ملحدًا خسيسًا،

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أنه سأل عائشة -رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يزيد في رمضان، ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن. ثم يصلي أربعًا، لا تسل عن حسنهن وطولهن. ثم يصلي ثلاثًا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: يا عائشة، إن عَيْنَيَّ تنامان، ولا ينام قلبي.

الراوي: عائشة أم المؤمنين

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

وكان يجلس في عليائه بين إخوان الشياطين، ويقول شيئًا عني، وقد صار مخنثًا لا جرم.

وجعل الحق تعالى ذلك المسكين عبرة للعالمين بسبب الغيرة الشديدة، وحتى يُظهِر رجولة الرجال، وخسة الأخساء لنظر الأصحاب العالِمين بالسر. وهكذا حدث في عاقبة الأمر أنه كان يمنح شيئًا من اليقطين خفية، حتى يستخدموه. وتم ما يراد. وكان ذلك بأنه اشتهر في مدينة قونية بعِلَّة المشايخ. وكان بعض الرنود المتهورين المحتالين يلتفون حوله، ويأخذون أشياء عنه. وكانوا يقرأون في شأنه: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١).

شعر (رمل)

سيئ الظن يكون دائمًا سيئ الفعل

ويقرأ كتابه في حق صاحبه

كل من يكون زانيًا من الزانين

يظن هذا الظن في حق الربانيين

وعالجه مريدوه ذات ليلة، وخَلَّصوه من ذلك العار والأذى.

حكاية

روى الشيخ بدر الدين النقاش -الذي كان من خاصة مقبولي الحضرة- كذلك قائلًا: كُنَّا نذهب للتنزه بصحبة ملك المدرسين مولانا سراج الدين التتري -رحمه الله- ذات يوم، فصادفنا مولانا فجأة، كان

---

(١) سورة غافر، جزء من الآية ٧٨.

يأتي بمفرده من بعيد. فكُنَّا نتبعه نحن أيضًا، ونمضي خلفه من بعيد.

التفت مولانا فجأة، فرأى مريديه، وقال: تعالوا بمفردكم. إنني لا أحب الغلبة، وإن فراري من الخلق كله بسبب شؤم تقبيلهم اليد، وسجودهم. وكان مولانا يتضايق للغاية من تقبيل الناس يده، وسجودهم له. وكان يتواضع للغاية لكل وَحْد بائس، بل إنه كان ينحني له.

مضى مولانا بعد ذلك. ولمَّا تقدمنا مسافة، كان عديد من الكلاب قد نام بعضهم إلى جوار بعض في خرابة. فقال سراج الدين التتري: ما أطيب اتحاد هؤلاء المساكين! وَما أحسن نومهم، وقد التحم بعضهم ببعض!

قال: بلى، لو تريد يا سراج الدين أن تدرك محبتهم واتحادهم، أَلقِ جيفة بينهم، وضع الكبد والطحال والحوايا أمامهم، حتى تكشف أحوالهم. وحال أهل الدنيا، وعابدي المال على هذا المنوال الذي تراه. لمَّا لا يعرض لهم عرض أو غرض، يطيع بعضهم بعضًا، ويحب بعضهم بعضًا، ولمَّا يعرض لهم عارض حقير من عوارض الدنيا، يهتكون العرض عديدًا من السنوات، ويُنَحُّون حق الممالحة جانبًا. ومن ثم لا يكون اتفاق أهل النفاق نفاقًا. وهذا هو المثال نفسه الذي تراه.

رُوِيَ كذلك أن معين الدين بروانه كان قد دعا مولانا ذات ليلة. وكان علماء الشريعة وشيوخ الطريقة جميعهم حاضرين. وبعد أن فرغوا من السماع، مَدُّوا سفرة عظيمة، ووضعوا كيسًا مملوءًا بالذهب تحت الأرز في الإناء الذهبي بإشارة بروانه، حتى يروا على سبيل الامتحان ما سيفعله مولانا.

كان بروانه يضع ذلك الإناء أمام مولانا، وكان يُرَغِّبه في تناول الطعام قائلًا: هذا الطعام من وجه حلال وليتناول مولانا لقمة أو لقمتين. فصاح عليه مولانا قائلًا: لقد وضعتَ طعامًا مكروهًا في وعاء مكروه. وإحضاره أمام الرجال بعيد عن دَيْدَن المصلحة، وبمنأى عن مذهب المروءة. ونحن ولله الحمد قد فرغنا تمامًا من أمر هذه الأواني والأكياس، وشبعنا، وارتوينا. وبمجرد أن انعقد السماع، بدأ ينشد هذا الغزل:

شعر (رمل)

بالله، إنني لا أميل إلى الطعام الدسم أو الحلوى

ولا إلى ذلك الكيس المملوء بالذهب ولا إلى ذلك الإناء الذهبي

إلى آخره.

طأطأ بروانه المسكين رأسه على قدم مولانا، وطلب العذر بسبب الامتحان الذي كان قد فعله، واستغفر، وأمر بالتصدق بالأواني. وقد وقعت هذه الحكاية في أوائل الظهور.

رُوِيَ كذلك أن ولدَ قدَّس الله سِرَّه العزيز قال: سألتُ أبي، ما تفسير هذا الكلام: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»؟ وهل المقصود بالقباب قوالبهم أم أخلاقهم الذميمة؟

قال مولانا: يا بهاء الدين، إن ذلك موجود أيضًا. لكن المراد من القباب هو طباعهم. لأن بعض الأولياء يحرصون على الأشياء في

الظاهر، والبعض يطيب له السفر والتنزه، وينشغل البعض أيضًا بالنكاح، ويُفضِّل البعض التجارة، ويرغب البعض في تحصيل العلوم، ويميل البعض إلى اكتساب الأسباب. وأيًّا ما كان ويمكن أن يكون، فإن البعض يعمل على خلاف شرائع الأنبياء، فيعتزل الناس، ويختفي تحت تلك القباب، ويفر من آفة الشهرة، ويركن إلى راحة خمول حمول المكاره. ولا يعرف العوام بل لا يعرف الخواص تلك الجماعة، ولا يطَّلعون على أحوالهم. إن لله تعالى أولياء أخفياء[1]، صدق رسول الله.

شعر (رمل)

يستتر قوم آخرون بشدة

فكيف يشتهرون بين الخلق الظاهرين!

يعرفهم الجميع، ولا تقع عين أي شخص

عليهم لحظة

(١) **إشارة إلى الحديث:** إن يسير الرياء شرك، ومن عادى لله وليًّا فقد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يُدْعَوْا، ولم يُقَرَّبوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة.

الراوي: عمر بن الخطاب

المحدث: الألباني

المصدر: هداية الرواة

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

إن لهم كرامات وهم محارم

ولا يسمع الأبدال[1] ذكرًا لهم أيضًا

وكل محبوب يرافقه التوفيق، وترعاه العناية الإلهية، وتساعده السعادة، يدركهم داخل تلك القباب، ويعد الاجتناب لازمًا بسبب شؤم الإعراض والاعتراض، حتى يحصل على نصيب أجزل، وحظ أوفر من عنايتهم وهدايتهم، ويصبح نحاس وجوده ذهبًا، ويسلك الطريق إلى حضرة الإكسير الأعظم. كما أنشد:

شعر (رمل)

إن رؤيتهم كيمياء لكم

وأي مكان للكيميائي نفسه، ما دمتم تنظرون إليهم؟

حكاية

روى كبار الأصحاب كذلك أن الشيخ بدر الدين التبريزي -رحمه الله- الذي كان معمار التربة المعظمة، وكان بديع الزمان وفريد العالم في علم الكيمياء وأنواع الحِكم، كان يلزم صحبة الأصحاب نهار كل يوم، وينشغل بممارسة الكيمياء ليل كل ليلة، وكان ينفق الدراهم

---

(١) **الأبدال:** لفظ يطلق على الجماعة الذين بدَّلوا الصفات الذميمة بصفات حميمة. ويطلق أيضًا على سبعة يشتركون في صفة خاصة، ألا وهي: حين يغيب واحد منهم، يخلفه في مكانه الذي يليه في المرتبة. ويقول البعض: إن سبب تسميتهم بالأبدال هو أن الحق سبحانه وتعالى قد أعطاهم قوة يذهبون بها إلى المكان الذي يقصدونه. وإذا أرادوا أن تحل صورتهم في مكان، يتهيأ في صورتهم شخص آخر يحل بدلًا منهم في ذلك المكان.

انظر: د. أنور فؤاد أبي خزام، معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ٣٧، ٣٨.

والدنانير على الأصحاب الفقراء.

ذات ليلة دخل مولانا خلوة المذكور، ووجده مستغرقًا في ذلك العمل. فتيبس المذكور في مكانه بسبب الهيبة من مولانا، وبقي حائرًا. أمسك مولانا سندانه بيده المباركة، وأعطاه له. فوجد السندان وقد أصبح ذهبيًا لطيفًا لامعًا.

قال مولانا له: لو أنك تصوغ الذهب، فاصنع مثل هذا الذهب، وصغ مثل هذا الذهب. ولا يلزم مطرقة أو سندان. واعلم الحقيقة؛ إنك لمَّا تُبَدِّد جوهر العمر اللطيف هكذا، ولمَّا تنقلب الأمور، لم يكن هناك حاصل سوى الزيف. وفي ذلك الوقت الذي يصبح فيه ذهبك نحاسًا، لا يفيد ندمك وحسرتك. فاجتهد في أن يصبح نحاس وجودك ذهبًا، ويصير ذهبك جوهرًا، ويصير جوهرك ذلك الذي لا تستوعبه أوهام هذا وذاك. كما أنشد:

شعر (رجز)

يجعل عيسى نحاسك ذهبًا، ولو يكون ذهبًا، يجعله جوهرًا

ولو يكون جوهرًا، يجعله أفضل، وأفضل من القمر والمشتري

وحدث أن مزق بدر الدين ثيابه، وتبرأ من ذلك الفن.

رُوِيَ كذلك عن بدر الدين التبريزي أنه قال: كان مولانا يتحدث إلى الأصحاب عن المعرفة ذات يوم، ويعظهم، ويحثهم على أداء سنن الفرائض وسنن الرسول، وقال: كان أصحاب الرسول -عليه السلام- الكرام قد ذهبوا للغزو مع الصِّدِّيق الأكبر -رضي الله عنه، وكانوا يحاصرون قلعة، ويحاولون فتحها، واستغرقت تلك المحاولة وقتًا طويلًا. فقال الصِّدِّيق:

أمعنوا النظر إلى عبادتكم، ربما فاتكم شيء من دقائق الفرائض والسنن، لا قدر الله، وتأخر فتوح هذا الفتح بسبب تركه.

تفحص جميع الصحابة أحوالهم، فوجدوا أنهم كانوا قد تركوا السواك عند صلاة العشاء. وفي الصباح وَلَّوا وجوههم نحو خالق الإصباح، وصرخوا، وصاحوا، وساكوا أسنانهم بالمسواك، وأدوا صلاة الصبح، وقصدوا السيطرة على قلعة اليهود، وفي وقت الإشراق استولوا على القلعة، وأسروا أهلها، وقتلوا البعض، وعادوا إلى مدينة الرسول شاكرين لله تعالى، وذاكرين لنعمه.

والله، والله، إنني أريدكم أيها الأصحاب أن تُقْبِلوا على الطاعة بقدر طاقتكم واستطاعتكم بمطاوعة تامة، وأن تجتهدوا في ألَّا يبقى أمر دقيق من سنن رسولنا غير مرعي، ومهملًا، حتى تظفروا بقلعة النفس الأمارة، وتجعلوا الوساوس النفسانية، والتسويلات الشيطانية أسرى لكم، وتقتلوها، لعلكم تستطيعون إعمار إقليم سلطان القلب من دون حجاب الماء والطين، والقضاء على كفار الأفكار الفاسدة، وعَيَّاري الخيالات عديمة الفائدة، وتولِّي إمارتهم بنورِ ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾[1]. كما أنشد:

شعر (رمل)

قتلتَ النفس، واجتنبتَ الاعتذار

ولم يبقَ لك عدو في الديار

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٨٧.

روى المحبوب الرباني السيد نفيس الدين السيواسي -رحمه الله- كذلك قائلًا: كان مولانا يتوضأ ذات يوم. وكنتُ أصب الماء على يده المباركة، ولم يكن الماء قد وصل إلى ساعده المبارك تمامًا. فنظر إليّ في غضب شديد، وقال: صُبَّ الماء، حتى لا يكون هناك تقصير في سُنَّة نبيِّنا، وحتى تبلغ سُنَّته الكمال. فعل هكذا، وأسهب في القول، وأدى كثيرًا من العبادات الأخرى التي لم يكن مكلفًا بها أصلًا، بل إنه كان قد تحرر من جميع التكاليف الشرعية، وسَلِم، لكنْ رعايةً للشرع النبوي، وطريقته، وإظهارًا لأسرار حقيقته في عين شريعته.

مصراع (رمل)

لم يكن فارغًا حتى اللحظة الأخيرة

شعر (رمل)

إن جمع الصورة على هذا النحو الدقيق

ليس ممكنًا إلا لسلطان عظيم

ثم قال: كل شيء اتبعه الأنبياء والأولياء من الأوامر والنواهي، وضعوا له أساسًا محكمًا، وصار مرصوصًا ومنصوصًا عليه. أصبح سببًا لنا على ذلك الاتباع، كما أن إقامته، والمداومة عليه، واتباع تلك المبايعة من جملة الواجبات.

روى كذلك الأصحاب الأتقياء أصحاب السريرة النقية أن صوت أذان المؤذن لمَّا كان يصل إلى أذن مولانا المبارك، كان يقوم على ركبتيه في عظمة تامة، وينشد:

مصراع (رجز)

ليبقَ ذكرك إلى الأبد يا من روحنا مستنيرة بك

وكان يردد ذلك ثلاث مرات، ويطأطئ رأسه. وعندئذ كان ينهض ويشرع في الصلاة، وينشد:

شعر (رمل)

لقد بَرْهَنَت هذه الصلاة والصيام والحج والجهاد

على حسن الاعتقاد

وصارت الهدايا والمنح والعطايا

دليلًا على إحساني إليك

فلو أنك تفكر في المحبة، وتعنى بها

فلا تجعلها في صورة صيامك وصلاتك

روى كذلك واحد من مستوري قباب الحضرة أن مولانا كان يتحدث بالمعاني في بيان فضيلة الصلاة، والمصلين الخاشعين ذات يوم، وحكى حكاية فحواها أن درويشًا كان في مدينة بلخ، كان يقف على قدميه عند قول المؤذن الله أكبر، وكان يتواضع، ويتذلل تذللًا شديدًا، حتى يتم المؤذن الأذان.

ولمَّا حلَّت لحظة نَفَسِه الأخير، وسَلَّمَ روحه النفيسة الطاهرة، أَذَّنَ المؤذن فجأة. فنهض في الحال بإذن الله. وأتم الحق تعالى كرمه عليه

ببركة ذلك التعظيم، وسَهَّلَ له سكرات الموت.

ولمَّا وضعوا ذلك الفقير في اللحد، وطاف منكر ونكير حوله، وانشغلا بسؤاله، جاء خطاب العِزَّة: سَهِّلا على عبدنا، وارجعا في أدب، فإنه كان يُبَجِّل اسمنا العزيز وهو على قيد الحياة، ويتواضع.

شعر (رمل)

كل من يرعى الحرمة، يُحترم

وكل من يجلب القند، يتناول اللوزية

ما دمتَ قد صرتَ «من كان لله» بسبب الوله

أكون لك «كان الله له»

روى الشيخ محمد الخادم -رحمه الله- كذلك أن مولانا كان يعتلي سطح المدرسة دائمًا في عِز الشتاء القارس -حين كان يعاني الفتيان من البرد، وهم يرتدون الفراء الثقيل، ويجلسون إلى جوار التنور والمدفأة بسبب شدة البرد القارس- وكان يتهجد حتى السحر وهو يئن، ويتأوه. وكان ينزل من على السطح، بعد أن يؤدي صلاة الصبح. وكنتُ أسحب ساق جرموقه المبارك، فكانت قطرات الدم تسيل من شقوق كعبه. وكان الأصحاب يصيحون، ويبكون. وكان مولانا يقول: ألم تكن هذه الحال نفسها لسلطاننا!

شعر (رمل)

تورمت قَدَمَا الرسول من قيام الليل

حتى مزق أهلُ القباءِ القباءَ بسبب سهره

وقالوا: أليست ذنوبك مغفورة في الماضي وفي المستقبل؟

فقال: هذا غليان العشق، لا الخوف ولا الرجاء

بعد ذلك كان يجدد الوضوء أيضًا، وكان يقيم صلاة الإشراق حتى الضحى، ويقيم صلاة الضحى حتى قرب الظهر، ويقول: بُعِثْتُ معلمًا[1]، وقُبِضتُ وأنا في مكتب التعليم. ولو أننا لا نفعل شيئًا من هذا، تصبح أمتنا المسكينة ذاهلة تمامًا، وغافلة.

شعر (رمل)

لم يكن كل ذلك الجهد والطلب بسبب الخوف

فإنه مطمئن، ولكن كان ذلك من أجل التعليم

وكان يوصي دائمًا قائلًا: أستحلفكم بالله أن تكثروا من الصلاة، حتى تزداد أسبابكم وأنسابكم وأعقابكم وأحبابكم. ولمَّا تقوم القيامة، تواسون الأحباب بتلك الصلاة. والأمر اليقيني هو أن المقاصد الدينية والدنيوية تتحقق من دون أي ريب، وتتيسر، ببركة صلاة الطالب المحتاج.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ بمجلسين في مسجده، فقال: كلاهما على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم. وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه أو العلم ويعلِّمون الجاهل، فهم أفضل. وإنما بُعِثت معلمًا، ثم جلس فيهم.

الراوي: عبد الله بن عمرو

المحدث: الألباني

المصدر: هداية الرواة

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

وقال ذات يوم أيضًا: إنني كنت أحث أمير عالمنا على الصلاة، حتى يتحقق له كل مراد يريده. واجتهدَ في الصلاة، فلمَّا طلب الإمارة والسيادة، صار أميرًا كبيرًا في عاقبة الأمر، كما صار خازن السلطان.

وكل عبد ينشغل بالصلاة، يتيسر له كل شيء يريده من عالم الغيب.

وقال أيضًا: إن طيور الهواء، وحيوانات الصحراء التي تقع أسيرة الفخ والمصيدة، يكون السبب في ذلك هو تركها التسبيح. ويقولون: إن صيد الطيور يكون بسبب أنها تَمُر فوق الأسطح من دون تسبيح، فتقع أسيرة الشَّرَك لا جرم.

شعر (رمل)

ما دمتَ قد تركتَ وِردًا في الطريقة

يحل عليك قبض من الحزن والاضطراب

رُوِيَ كذلك أنه لمَّا كان يرى أحدًا مواظبًا على الصلاة، كان يقول: ما أحسنه من عبد طائع! وما أطيبه من خادم متواضع! إن الرجل الشهم هو من يكون ثابت القدم في خدمة مخدومه ويطيعه بوسع طاقته.

ومثال الصلاة والصيام مثل أُم مشفقة على طفلها الرضيع الصغير، وتعوِّده رويدًا رويدًا على لذَّات الأطعمة والأشربة، حتى يشتهي الطعام من كثرة التلذذ، ويستطيع أن يستسيغه. وكذلك حين يقوى العبد المخلص بهذه العبادات الظاهرة، ويبلغ طريق المعنى، ويتحقق له الاستعداد الكامل، يدرك القرب من حضرة العِزَّة جَلَّت قدرته. كما أنشد:

شعر (رمل)

قال ربنا: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[1]

وقد سجدت أبداننا بالقرب من المحبوب

لو تريد التحرر من هذا السجن الخرب

لا تعصَ المحبوب، واسجد واقترب

روت سيدة العالم خديجة الزمان زوجة مولانا كرا خاتون -بيض الله عزتها- كذلك أن مولانا كان يصلي صلاة القيام في صُفَّة البيت ذات ليلة ويقرأ فاتحة الكتاب كلمة كلمة في تأنٍّ، وفي عظمة تامة، مستغرقًا الوقت الذي كان يقرأ فيه الآخرون عشر سور من القرآن. وكانت قطرات العبرات تقطر من عينه المباركة إلى حد أن صوت انهمار الدموع كان يصل إلى أذني.

قَبَّلْتُ قدمَي مولانا، وأنا أصيح، وبكيتُ كثيرًا، وقلتُ: يا شفيع العباد، إننا نحن المساكين نرجو عنايتك. ولمَّا تكون حالك على هذا المنوال، من ثم فالويل لنا، ولعاقبة أحوالنا. لماذا كل هذا البكاء والرِّقَّة والشفقة والدِّقَّة والآهات؟

قال مولانا: والله، والله، إن هذا الذي تشاهدينه هو غاية القصر والتقصير بالنسبة إلى عظمة ذي الجلال وسلطانه. لكني أطلب العذر من حضرة عِزَّته، وأتضرع إليه قائلًا: أيها الكريم على الإطلاق، إن قدرتي بهذا القدر نفسه، فاعذرني.

---

(١) سورة العلق، جزء من الآية ١٩.

ومع أن رسول الله كان يسمع خطاب: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] فقد كان يجيب: أفلا أكون عبدًا شكورًا[2]؟

شعر (مضارع)

لو أننا مُقَصِّرُون، فأنت الرحيم

والعذر الذي نقدمه، نرجو به عطاءك

وقد تعلق بنا كثير من الأصحاب والناس على هذا النحو، ووثقوا بنا، فماذا يحدث لو نفرغ، ولا نفعل شيئًا؟ ماذا يفعلون هم؟ وإلى باب مَن يذهبون؟

شعر (رمل)

قال الرسول: كيف أترك العاصين يذرفون الدمع

يوم القيامة!

---

(١) سورة الفتح، جزء من الآية ٢.

(٢) **إشارة إلى الحديث:** قام النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا!

الراوي: المغيرة بن شعبة

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

التخريج: أخرجه البخاري ومسلم

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

فأنا شفيع العاصين بروحي

حتى أخلِّصهم من عذاب عظيم

وبناءً على ذلك الاتباع سوف يُدَبِّر كل شيخ وسيلة لمريديه المساكين.

شعر (رمل)

قال الرسول: إن الشيخ المرتقي

يكون مثل النبي بين قومه

وإن عباد الحق رحماء صبورون

يتصفون بصفات الحق في إصلاح الأمور

روى أصحاب الصحبة ورفاق السُّبحة عَظَّمَ الله ذكرهم عن مولانا قَدَّسَ الله لطيفته كذلك أن هولاكو خان لمَّا وصل إلى خطة بغداد في سنة خمس وخمسين وستمائة (هجرية)، حارب، وقاتل قتالًا عنيفًا. ولم يحدث فتح. فقال هولاكو خان: لم يتناول شخص قَط شيئًا منذ ثلاثة أيام، ولم يُقَدَّم العليق للجياد كذلك.

ويتضرع كل شخص من أجل فتح بغداد، ونصرة أميرها يَرتَغان، لَعَلَّ مُفَتِّح الأبواب يمن عليهم بفتح. ويحدث الفتوح.

كان الخليفة ثريًّا للغاية، ومهتكًا، ومفرطًا. ولمَّا انقضت ثلاثة أيام،

أشار الأمير على السيد نصير الدين الطوسي[١] -رحمه الله- الذي كان وزير مملكته، ومَدارًا عليه، قائلًا: اكتب رسالة منا إلى الخليفة، حتى يذعن، ويخضع، ولا يتمرد. هكذا هو حكم يرتغان، ولو يتمرد، فإنه لا يستطيع العيش. ولو يأتي، يحصل على السلطة والخِلَع. وإذا لم يأتِ، فإنني أعلم أنه لن يبقى.

كتب السيد نصير الدين على ورقة في الحال: أما بعد، حمدًا لله، فقد نزلنا ببغداد، ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٢]. فدعونا مالكها فأبى، فحَقَّ عليه القول، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[٣]. وقد دعوناك إلى طاعتنا، فإن أتيت، ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٤]. وإن أبيت، فلا سلطان منك عليك. فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه[٥]، والجادع مارن أنفه بكفه[٦]. والسلام.

---

(١) **نصير الدين الطوسي:** هو أبو جعفر محمد بن محمد بن حسن الطوسي (٥٧٩ هـ - ٦٥٣ هـ)،= الفيلسوف، المتكلم، الفقيه، العالم، الرياضي، المنجم، الطبيب، العارف، والمعماري الإيراني. ويلقب بنصير الدين وأستاذ البشر. وعده ابن خلدون هو وفخر الدين الرازي أعظم علماء إيران. تعلم نصير الدين العلوم الدينية والعقلية على يد أبيه، وتعلم المنطق والحكمة الطبيعية على يد خاله، وأتم تعليمه في نيسابور، وكان عالمًا مبرزًا فيها. جعله هولاكو مستشاره ووزيره بعد هجوم المغول والقضاء على الإسماعيلية ٦٣٥ هـ، وعاون هولاكو في السيطرة على بغداد والقضاء على العباسيين. انظر: ويكي پديا دانشنامۀ آزاد fa.wikipedia.org

(٢) سورة الصافات، جزء من الآية ١٧٧.

(٣) سورة المزمل، جزء من الآية ١٦.

(٤) سورة الواقعة، جزء من الآية ٨٩.

(٥) **بحث عن حتفه بظلفه.** يضرب هذا المثل في الحاجة تؤدي بصاحبها إلى التلف، وجناية الإنسان على نفسه. زهر الأكم في الأمثال والحكم، المجلد ١ ص ١٧٧.
جامع الكتب الإسلامية، الأدب والبلاغة. ketabonline.com

(٦) كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري: المقامات الحريرية، مع الحاشية الجديدة المقالات العبيرية، المحشى أبو حسان محمد عرفان العطاري، مكتبة المدينة للطباعة والنشر والتوزيع، كراتشي، باكستان، ص ٣٣.
arabicdawateislami.net

ويقال: إنهم أعطوا المكتوب إلى كتبوغا بهادور، وأرسلوه مع جماعة. فأبى الخليفة، وتمرد، وشتم كثيرًا. وفي اليوم نفسه، فتح يرتغان بغداد، وأسر الخليفة.

ومن ثم هكذا يفعل عدم الأكل والصوم في الكافرين بالدين، والساذجين عديمي اليقين، وييسر لهم مقصودهم، وينصرهم. فقس على ذلك، ماذا يفعل عدم الأكل والصوم في حق الأنصار أولي الأبصار، والمحبين الأبرار، وماذا يهبهم.

شعر (مجتث)

صم، فإن الصيام خاتم سليمان

فلا تمنح الخاتم للشيطان، ولا تخرِّب ملكك

وذكر هذه الحكاية لبيان فضيلة الجوع، وعدم الأكل.

رُوِيَ كذلك أن المغول لمَّا سيطروا على بغداد بسيوفهم. قيدوا يدَي الخليفة ورقبته، وأحضروه إلى الخان، فأمرهم، فحبسوه في مكان، ولم يطعموه شيئًا طوال ثلاثة أيام.

بكى الخليفة كثيرًا، وناح، بسبب كربة الجوع، واستدعى نصير الطوسي، وطلب الطعام. وكان الخليفة شخصًا أكولًا، معتادًا على ألوان النعمة والرفاهية والرغد.

لمَّا شرح الوزير حال الخليفة للخان، أمر، فملأوا عديدًا من الأطباق بتلك الجواهر واللآلئ والنقود التي كانوا قد أخذوها من خزينة الخليفة، ووضعوا اللؤلؤ في بعضها، والياقوت في بعضها، ودنانير

الذهب والفضة في البعض الآخر، وغطوها، وحملوها إلى الخليفة.

ظَنَّ الخليفة أن الخان أرسل إليه الأطعمة، ولمَّا رفع غطاء الطبق، لم يجد فيه أي نوع من الطعام الصالح للأكل أو الشرب. فقال الخليفة: والله، إن رغيف خبز أفضل من هذا كله! وكانوا يجبرونه على أن يأكل منها.

وفي عاقبة الأمر، قال له الخان: ما دام الطعام كان قد طاب لك، فلماذا تكبرت، ولم تشكر نعمة يرتغان، وكفرت بها؟ فابتليت بهذه الشدة، وسوء الحظ لا جرم.

وما دمتَ قد أدركتَ أنك سوف تنهزم، فلماذا لم تدفع العدو بهذه الأسباب والأموال والكنوز؟ كان ينبغي عليك الخضوع والإذعان، والتضحية بمالك في سبيل حياتك، حتى تحظى بالأمان، ولم تفعل ذلك أيضًا، وصرتَ باغيًا طاغيًا، وينبغي قتلك لا مفر. وصارت حال ذلك المسكين على النحو الذي كان سلطان العلماء -رضي الله عنه- تنبئ بها سابقًا. وكان قد نصحه، وهدَّده، وقال: سوف يقتلونك من دون شك، وبذلك سوف تُرفَع درجاتك، وتُدفَع سيئاتك.

ويقال: إنهم غَرَّروا به، وقتلوه ركلًا، وتوفي إلى رحمة الله تعالى.

شعر (هزج)

ما دمتَ قد أسأتَ، فلا تأمن من الآفات

وقد وجبت المكافآت للطبيعة

روى كذلك أن مولانا قال لابنه سلطان ولد ذات يوم: يا بهاء الدين، لو يسألونك ما طريقة مولانا، قل: الجوع. وقال أيضًا: لا، لا، قل: الفناء.

بعد ذلك حكى حكاية قائلًا: وصل درويش إلى باب بيت، وطلب الماء. فخرجت فتاة مثل القمر من البيت، ووضعت إبريقًا في يد الدرويش. قال الدرويش: أريد قدحًا لتناول الماء. فصاحت الفتاة قائلة: حسنًا، حسنًا، انظر إلى الدرويش الذي يأكل نهار كل يوم، وينام ليل كل ليل! فأي درويش صادق ذلك الذي لا يأكل طوال الليالي! وكيف يكون نهاره؟ فلم يتناول ذلك الدرويش الطعام في النهار حتى يوم وفاته، ليبلغ مقصوده.

رُوِيَ كذلك أن سلطان ولد -عَظَّمَ الله ذكره، قال: دعاني أبي إليه، وقَبَّلَني في وجهي ورأسي، واعتنى بي عناية فائقة، وقال بعد ذلك: يا بهاء الدين، أتريد أن أُظهِر الحق لك؟ فقلتُ: تكون رحمة عظيمة. قال مولانا: سوف تراه خلال عشرة أيام بالتمام، لكن بشرط أن تُقَسِّم ساعات الليل والنهار الأربع والعشرين، وتنشغل اثنتين وعشرين ساعة بأمور هذا العالم من نوم ومأكل وغيرها، وتنشغل الساعتين الأخريين بطاعة الحق بجد عظيم، وبتحقق الحضور.

وعلى هذا النحو، بعد عدة أيام، تباشر مهامك عشرين ساعة، وتنشغل بطاعة الحق أربع ساعات أيضًا. وهكذا حتى تعبد الحق عشرين ساعة بالتمام، وتنشغل أربع ساعات بعالم الأسباب والأصحاب ومصالحهم. وتَصِل بتلك الحال إلى حد أن تقضي ساعاتك وأوقاتك كلها في طاعة الله، وتنقطع تعلقات عالم الملك تمامًا، ولا تبقى أبدًا.

بعد ذلك شاهِد المحبوب بقدر ما تريد، وبقدر ما تستطيع، واعشقه، فيتيسر لك كل شيء ترجوه منه، وتطلبه.

قال بهاء الدين: هكذا فعلت، أقسم بحياة أبي، كما كان قد قال. وصرتُ كذلك كما كان قد أشار عليَّ، وأرشدني. مثلما خاطب الحق تعالى موسى كليمه قائلًا: يا موسى، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد[1]. كما أنشد:

شعر (مجتث)

قال العشق لي أول أمس: أنا الدلال كله

فتدّلَّل في تلك اللحظة التي أتدلل فيها

إنك حين تترك الدلال، تتضرع التضرع كله

وأنا أجعل نفسي محتاجًا تمامًا من أجلك

(١) إشارة إلى حديث ذكره ابن القيم في مدارج السالكين بلفظ: أوحى الله تعالى إلى موسى: كن لي كما أريد، أكن لك كما تريد.

المكتبة الشاملة الحديثة، أرشيف ملتقى أهل الحديث ٢.

al-maktaba.org

حكاية

روى شيوخ الأصحاب -عظم الله قدرهم- كذلك أن مولانا كان قد انهمك ذات يوم في شرح حقيقة الحقائق والأسرار الغامضة. وقال في تلك الحال بعينها: لقد اعتنى الحق تعالى بأهل الروم عناية فائقة. وخطة الروم أفضل الأقاليم، بدعاء الصِّدِّيق الأكبر الأرحم في جميع الأمة. لكن أهل هذا المُلك كانوا جاهلين وغافلين عن عالم عشق مالك الملك، وذوق الباطن القوي.

قال مسبب الأسباب -عَزَّ شأنه وتعالى سلطانه- لطيفة، وأظهر سببًا من عالم بلا سبب، وأحضرنا من مُلك خراسان إلى ولاية الروم، وآوى أعقابنا في هذه الأرض الطاهرة، حتى ننثر نثارًا من إكسيرنا اللدني على نحاس وجودهم، فيصير كيمياء تمامًا. ويصبحون محارم عالم العرفان، ورفاق عارفي العالم. كما أنشد:

شعر (رمل)

كان يأتي بي من خراسان إلى اليونانيين

حتى أعاشرهم، وأبتكر مذهبًا حسنًا

ولمَّا شاهدنا أنهم لم يميلوا إلى الحق؛ بأي طريقة، وأنهم كانوا يحرمون من الأسرار الإلهية، لَقَّناهم تلك المعاني المناسبة لهم عن طريق لطافة السماع، والشعر الموزون الذي وافق طباع الناس، لأن أهل الروم كانوا أهل طرب، حسان البيان.

على سبيل المثال، يتألم طفل، ويُعرِض عن دواء الطبيب. ويطلب الفقاع من دون شك. وهكذا يفعل الطبيب الحاذق، فيضع الدواء في قدح

الفقاع، ويمنحه له، حتى يوهمه أنه فقاع. فيشرب الطفل الدواء بشهية، ويشفى من خلل العلل، ويرتدي حلة الصحة، ويعتدل مزاجه السقيم.

شعر (رمل)

الصلاة علاج الناسور

وشفاء لمرضانا واحدًا واحدًا

نحن أطباء، ومريدو الحق

وقد رآنا بحر القلزم، فانفلق

إننا لا نريد جزاءً من أحد

ويكفينا جزاؤنا من الحق

حكاية

رُوي كذلك أن ملك المدرسين، جامع السنن والفرائض، ولي الله في الأرض، شمس الدين المارديني -رحمة الله عليه- الذي كان شُرَيح الزمان، ونعمان الثاني في عهده، ولم يكن له ثانٍ في الصيانة والديانة؛ كان منكرًا للسماع وكرامات المشايخ للغاية. وكانت جماعة الفقهاء التي قلما كانت على دراية برجال الله أو معرفة بهم، تذكر مناقب مولانا أمامه، وتعدد أخلاقه الحميدة، قائلة: هكذا يفعل مولانا، ويُحَرِّر الفتاوى في أثناء السماع من دون التأمل في الكتب، ومطالعتها. ويُسَخِّر نفوس الحكماء كذلك، ويُعَطِّل عقول أهل المعقول، فلا تستطيع أي نَفْس من نفوس هؤلاء الأكابر التنفس أمامه. وينعقد نطاق نطق المنطقيين في العالم في حضوره.

أجابهم شمس الدين الماrديني قائلًا: ينبغي اجتناب هذه الخيالات الفاسدة، ويجب الانشغال دائمًا بالعلوم الدينية، وأسكتهم.

ولمَّا فرغ من الدرس العام، نهض، وصلى عدة ركعات، وطأطأ رأسه، حتى يُقَيِّل بعض الوقت، ثم ينشغل بدرسه الخاص أيضًا.

يرى شمس الدين الماردينى في المنام أن سلطان الأنبياء والمرسلين، محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم، قد جلس في صدر صفة مدرسة جلال الدين القره طائي -رحمة الله عليه- وحضر الأصحاب الكرام جميعًا، وَوُضِع طبق أمام الرسول.

يتقدم مولانا شمس الدين، ويسلم على الرسول -عليه السلام- في أدب تام، فيجيب المصطفى: وعليك السلام والإكرام. ويجد قطعًا من اللحم المطبوخ قد وُضِعَت في الطبق.

يدعو الرسول، المذكور للتقدم، ويمنحه قطعة لحم. فيسأله قائلًا: يا رسول الله، أي اللحم هو الأفضل والأشهى؟ فيجيب: خيار اللحم ما اتصل بالعظم. ويستيقظ فجأة، ويطير فرحًا، لأنه رأى الرسول في المنام، وقد منحه نصيبه بيده المباركة.

يجدد شمس الدين الماردينى وضوءه مرة أخرى، ويخرج من حجرة المدرسة إلى الصُّفَّة، فيجد مولانا قد جلس في صدر الصُّفَّة نفسه الذي كان قد رأى الرسول جالسًا فيه، فيندهش، ويقول: ما هذه الحال؟ ويسلم في أدب. ويُبَجِّله مولانا، ويقوم لرد السلام.

يُقَبِّل شمس الدين الماردينى يد مولانا، ويجلس أمامه، ويجول في خاطره: عجبًا! هل أقص هذا المنام الذي رأيته لمولانا أم لا؟ ويفكر أيضًا قائلًا: هل أسأله السؤال نفسه، لأرى بماذا يجيب. فيجيبه مولانا، قبل أن يسأل بالجواب الذي قاله محمد الأمين في المنام: خيار اللحم ما اتصل بالعظم. فيفقد مولانا شمس الدين الصواب في الحال، ويذهل مولانا. ولمَّا يعود المذكور إلى رشده، يجد أن مولانا قد ذهل. فيخفي هذا، ولا يصرِّح به لأي شخص. لكن تبقى في باطنه هيبة، وأثر عظيم.

وكذلك يرى مولانا أفصح الدين المعيد منامًا ذات يوم، فيستغفر بسبب الإنكار، ويكشف رأسه، ويقف في صف النعال، حتى لا يعاقبه مولانا، فلا يصبح مريدًا له. وفي ذلك اليوم انخرط ما يقرب من أربعين عالمًا ومتعلمًا في سلك الفقراء، وزي المولوية بموافقة أستاذهم، والتحقوا بإرادة مولانا.

رُوِيَ كذلك عن علماء الأصحاب أن مولانا لمَّا كان يشرع في السماع، كان شمس الدين الماردينى يضع طبلة صغيرة على مفرقه، ويقول: حقًّا، حقًّا، إنها تُسَبِّح. وكل من يقول: إن هذا السماع حرام، هو ابن حرام.

وروى شمس الدين الماردينى هذه الحكاية، وقال: رُوي أن عليًّا -رضي الله عنه، سمع صوت الناقوس، فقال لمن معه من أصحابه: أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ فقال: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم. فقال علي: إن علمي من علم رسول الله، وإن علم رسول الله من علم

جبرائيل، وإن علم جبرائيل من علم الله؛ هذا الناقوس يقول: حقًّا حقًّا، حقًّا حقًّا، صدقًا صدقًا، صدقًا صدقًا.

بعد ذلك قال: لمَّا يقول ناقوس الكافرين المجوس هكذا، فماذا يقول طبل عاشقي القدوس؟! إنه يسبح بمقتضى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1]. ويُأَوِّب مثل جبال داود: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[2]. وهذا القول منقول عن أستاذ المدرسين مولانا زين الدين الرازي -رحمه الله- الذي كان قد سمعه منه، وكان في ذلك الزمان من فحول علماء الروم.

رُوي كذلك عن شمس الدين المارديني أنه كان قد احتاج إلى الحَمَّام ذات يوم، فنهض في الصباح، وعزم على الاستحمام، فصادف مولانا فجأة، وكان يريد العودة والاختفاء، من شدة الخجل.

ناداه مولانا قائلًا: لا يجوز الفرار، فلماذا تفعل هكذا؟ وما المانع؟ قال: خجلتُ من مولانا، وغلبني الاضطراب، فلا أنظر إلى وجه مولانا الطاهر، وأنا في حال الجنابة هذه. فقال مولانا: هذا حسن من حيث الظاهر، وأدب عظيم. لكن ينبغي رؤيتنا في هذا الوقت لأن نظرة عناية الرجال لا تكون أقل من ماء الحَمَّامي. وأرواح الأولياء تعبر عن الآية: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾[3].

---

(١) سورة الإسراء، جزء من الآية ٤٤.

(٢) سورة سبأ، جزء من الآية ١٠.

(٣) سورة ق، جزء من الآية ٩.

شعر (رمل)

إن غرضه من هذا الماء أرواح الأولياء

فإنها غسول كدوراتكم

ولمَّا كان رجال الله قادرين على تطهير نجاسات الباطن، فما شأنه بنجاسات الظاهر؟

كما أنشد:

شعر (هزج)

النجس في جدولنا ماء زلال

والذبابة في مخيضنا باز وعنقاء

روى كذلك كاتب أسرار الأحرار الشيخ بهاء الدين البحري الذي كان بحرًا في المعارف اللدنية -رحمه الله- أنه كان هناك سماع عظيم في بستان خليفة الحق شلبي حسام الدين -رضي الله عنه، استمر سبعة أيام بلياليها. وتفرق الأصحاب، وانزوى كل واحد منهم في زاوية، بعد أن ختموا السماع. واحتلمتُ في تلك الليلة قضاءً وقدرًا، فنهضتُ قبل طلوع الفجر، حتى أذهب إلى شاطئ النهر، وأغتسل، وأستعد لصلاة الصبح. فوجدت مولانا فجأة، يمثل أمامي، فطأطأت رأسي بحكم الضرورة. قال مولانا: إن الينبوع المقبل ماؤه دافئ، فاذهب إلى ذلك المكان من أجل الاغتسال، وارجع في أسرع وقت. واختفى في الحال.

حكاية

روى سلطان العارفين شلبي عارف -قدس الله سره العزيز- كذلك قائلًا: حكى أبي سلطان ولد ذات يوم قائلًا: لمَّا اختفى شيخي مولانا شمس الدين التبريزي -عظم الله ذكره- عن أعين الناس وتوارى، وغابت صورته اللطيفة الشبيهة بقوله منيف المعنى، ووقعت الفترة بين الأصحاب المخلصين، واصطحب مولانا بعض الأصحاب والأعقاب من أجل إخماد نار تلك الفتنة الضارة، وقصد ديار الشام، ولمَّا وصلنا إلى حدود الشام، ظهر جيش فجأة، وقصد سلب أموال قافلتنا ما يقرب من ثلاثمائة حرامي مدجج، وعجز جميع أهل القافلة عن التصدي لهم.

وانشغل والدي بالصلاة المعهودة، فتقدمت إليه، وتضرعت له. فقال: يا بهاء الدين، لا تحزن؛ إن قائد الجيش معنا. ورسم دائرة حول القافلة كذلك. مثل دائرة النبي هود -عليه السلام، حتى لا تُهلِك الريح الصرصر أمته.

لمَّا مثل الجند أمام القافلة، لم تكن جيادهم تتقدم خطوة، مهما كانوا يحاولون معها، فتعجب الحرامية من هذه الحال. وترجل أحدهم، وتقدم، وسَلَّمَ بصوت عالٍ، وسأل: أي قوم أنتم؟ ومن أين كنتم تأتون؟ وما هذه الواقعة؟ إن جيادنا العربية لا تهاجمكم، ولا تتقدم خطوة نحوكم، وإن السيوف المصرية لا تخرج من أغمادها، ربما كان هناك سحرة بينكم.

فأجاب أهل القافلة: حاشَ لله أن يدخل بيننا سحرة. لكن اعلموا، وأدركوا أن ابن بهاء ولد البلخي، مولانا جلال الدين الرومي، وأولاده، وأعقابه بيننا، وقد قيدتكم هيبة ولايته.

شعر (رمل)

هيبة الباز على القطا النجيب

وليس للذبابة نصيب من تلك الهيبة

تساقط جميع الحرامية مثل أوراق الخريف، وتقدموا نائحين، وكشفوا رؤوسهم، والتحقوا بإرادة مولانا في إخلاص تام، وتابوا عن تلك المعاصي، ومنحوا الرفاق عديدًا من التحف الغريبة، ورافقوهم إلى مدينة حلب، ثم ودَّعوهم. وطلب كل واحد منهم الإذن، وعادوا إلى مقامهم المألوف.

وكذلك من يؤيده الحق، وينصره، ويعضده، يأمن من آفات الزمان، وبلايا العالم، ويَسلَم. كما أنشد:

شعر (رمل)

ذلك الشخص الذي يحفظه الحق

يحرسه الطير والسمك

حكاية

رُوي كذلك عن الأصحاب المقبولين أن مفخر الصلحاء حاجي مبارك الحيدري -رحمه الله- الذي كان من خلفاء قطب الدين حيدر المعتبرين، ومن جملة محبي مولانا -قدس الله سره- كان يُنَصِّب تاج الدين الوزير -رحمه الله- شيخًا في دار الذاكرين، وكان المجلس عظيمًا، وكان خلاصة العلماء والفقراء والأمراء والأعيان والأَخَيِّة حاضرين.

في ذلك اليوم كان مولانا قد اضطرب اضطرابًا عظيمًا، وانشغل بالرقص، واستغرق فيه. وكان يرقص رقص الجمل؛ خشية أن يصيب الفلك الأعظم المنيف الراقصين بالاضطراب من السعادة بهذا الرقص اللطيف، كما أنه ما زال يرقص شوقًا إلى تلك الحال. وأنشد:

شعر (مضارع)

أيها الفلك الذي تدور فوق رؤوسنا

أنت شريكي في الخرقة عشقًا للشمس

انزوى السيد شرف الدين -الذي حظي بنصيب أوفر في فنون علم الظنون، لكنه كان بلا نصيب من حالات الأولياء- في زاوية، ووسوس بعديد من مساوئ الأصحاب.

نادى مولانا عليه فجأة قائلًا: أيها الغِرّ، ألم تقرأ كلام الله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[1]. واندهش الأكابر جميعهم لِما قاله مولانا.

استهل شرف الدين كلامه قائلًا: حاشَ لله، حاشَ لله. إن قول مولانا هذا خيال. فقال مولانا: اسكت، إن خيل الخيال جميعها منتحية في ذلك الجانب، وهذا الجانب ليس إلا روح الحقائق، وأي كلب يوجد حتى يطلقه خيال العارفين بالأسرار بسبب هيبة حقيقة الرجال؟ فأسكت الشيخ صدر الدين وبروانه السيد، سيد السيرة. وقال في حدة تامة: اسكت، فليس هناك كلام أسمى من كلام مولانا، والقول الحق

---

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٢.

هو ما يقوله. وقد فَرَّ من قبضة الأصحاب والرنود، ولم يخرج من بيته شهورًا، وصار ضريرًا عاجزًا في عاقبة الأمر.

روى الشيخ محمود صاحب القران -رحمه الله- كذلك قائلًا: كنتُ في خدمة مولانا ذات ليلة، وكان البرد قارسًا، وكان مولانا يذكر أقوالًا من كلام بهاء ولد للأصحاب، وكان الأصحاب يدونونها، وكنت أنا أجفف الأوراق المكتوبة في التنور حتى نصف الليل.

نهض مولانا بعد ذلك، وذهب إلى الحَمَّام، ودخل خزينة الحَمَّام، وجلس. وكان الأصحاب يدخلون جماعة تلو أخرى ثلاثة أيام بلياليها، ويخرجون.

وفي اليوم الثالث كان مولانا قد خرج، حتى ينام الأصحاب قليلًا. ولمَّا وضع الأصحاب رؤوسهم، نهض، ودخل الخلوة متمهلًا، وانشغل بالصلاة. وكنتُ أسمع صوتًا مهيبًا في كل لحظة، كان يقول: «الله، الله»، حتى إن سقف الحمام كان يرددها. وكان مولانا يدخل الخلوة حتى وقت صلاة الصبح، ويصلي. ولمَّا تنفس الصبح الصادق، واعتلت الشمس كرة الفلك، قال: جاء الناس، ولنذهب إلى المدرسة. ولمَّا وصلنا إلى المدرسة، شرع في السماع سبعة أيام بالتمام.

روى شلبي شمس الدين ولد المدرس -رحمه الله- أن واقعة هائلة كانت قد وقعت في مدينة قونية، فجاء أهالي قونية جميعًا إلى مولانا، حتى يكتب رسالة توصية إلى معين الدين بروانه، ويتشفع لهم عنده، وكانوا يتوسلون بسلطان ولد.

لمَّا عرض سلطان ولد الأمر على مولانا، أرسل مولانا مكتوبًا

يتشفع عند بروانه في الاستعفاء. لمَّا قَبَّل بروانه المكتوب، وطالعه، قال: إن هذه المهمة تتعلق بولد لمائة سبب، حتى يحضر هو أيضًا.

أجاب بروانه على المكتوب قائلًا: إن الكتابة التي قصدها الدراويش لها معنى واحد، وإن هذا القول له مائة معنى. ومسح عينيه بالمكتوب، وأنقذ أهالي المدينة. وقَبِل في تلك الواقعة بأن يمنحهم عشرة آلاف دينار، ويتخلص من تلك الغصة.

وهكذا أنقذ مولانا الخلق من بلاء بمكتوب مبارك، فماذا سوف يفعل في الآخرة أيضًا؟!

رُوي كذلك أن عاملًا من محبي تلك الحضرة، كان في حاجة ملحة إلى سداد مال، واقترض نحو ألفَي دينار أو ثلاثة آلاف، ولم يستطع سدادها.

نهض العامل، واصطحب عياله إلى مولانا، وانحنى على قدمه المباركة، وقال: حسبة لله تعالى، ليكتب مولانا رسالة توصية في هذا الشأن إلى بروانه، لعله يقتطع شيئًا من المال، أو يمنح العامل مهلة.

أرسل مولانا رسالة إلى بروانه في الحال، وتشفع للعامل عنده. قال بروانه: إن هذه المسألة تتعلق بالديوان. فأجابه قائلًا: حاشَ لله، حاشَ لله، إن الديوان تحت حكم سليمان، وليس سليمان تحت حكم الديوان! وكان اسم بروانه «سليمان».

ظهرت بشاشة عظيمة على وجه بروانه، وقَبَّل الرسالة، وأبرأ ذمة العامل من ذلك الدَّين، وأفاد خاصته في الديوان بذلك. فدعا له مولانا،

وقال: إن في جبهة معين الدين بروانه نورًا سليمانيًّا، وإذا أراد، يسيطر على مُلك المغرب والمشرق.

سألوه: أي نور ذلك النور؟ يا للعجب! فقال: إنه نور عشقنا. وأبلغ الأصحاب بروانه بهذا الخبر، فطأطأ رأسه، وشكره شكرًا لا يمكن شرحه.

روى شلبي شمس الدين ولد المدرس -رحمة الله عليه- أن الأمير جلال الدين القره طائي -رحمة الله عليه- كان رجلًا وليَّ السيرة، طاهر السريرة، وكانت خيراته وصدقاته متواصلة، على جميع البرايا بصفة عامة، وكان مولانا يجله إجلالًا كبيرًا، ويعتني به.

وكان مولانا يمر بباب مدرسته ذات يوم بعد وفاته، وتوقف مدة، وقال بعد ذلك: إن الصاحب المرحوم جلال الدين القره طائي ينادينا، قائلًا: لقد اشتقتُ إلى حضور الأصحاب، والسكينة إلى نَفَس مولانا المبارك برهة. فزاره مع مجموعة من الأصحاب، وجلس على قبره مدة. وقرأ الحُفَّاظ القرآن. وأنشد الأصحاب الغزليات والمثنوي، ودعوا له كثيرًا بالرحمة، ثم خرجوا.

حكى شلبي شمس الدين كذلك أن مولانا كان يذهب مع جمع الأصحاب إلى زاوية الشيخ صدر الدين، ولمَّا اقتربوا منها، خرج خادم المقام، وحيَّاهم قائلًا: إن الشيخ ليس موجودًا في الزاوية. فقال مولانا له: اسكت، ألم تتعلم من شيخك ألَّا تتحدث عن شيء لا تُسأل عنه!

مَرَّ مولانا والأصحاب من ذلك المكان، ودخلوا المدرسة التي

كانت في تلك الأنحاء. وشرح مولانا المعاني والمعارف شرحًا لا يمكن وصفه. بعد ذلك كان يضع أذنه المباركة برهة على جدار المدرسة، ويُحَرِّك رأسه، وقال: أيعلم الأصحاب كيف جئنا إلى هذا المكان؟ كان المقصود الكُلِّي أن هذه البقعة الفقيرة كانت تشكو إلى الحق بلسان الحال، وتتضرع قائلة: كم أنا حمقاء! كم أنا حمقاء! إنني لا أشرف بسماع أقوال المحبوب يومًا. فألهمني الله، وتحركت إلى هذا المكان، وشَرَّفته برهة بلُب لطيف المعاني، وأقدام الأصحاب المباركة.

وقال كذلك: إن الإمام محمد الغزالي[١] -رحمة الله عليه- أثار غبارًا من بحر المعاني في عالم الملك، ورفع عَلَم العِلم، وأصبح قدوة العالم، وصار عالِم العالمين. وإذا حظي ببذرة عشق مثل أحمد الغزالي[٢]، لكان أفضل، ولكان يعلم سر القرب المحمدي مثل أحمد، لأنه لا يوجد في العالم مثل عشق أستاذ ومرشد ومُوَصِّل.

---

(١) **محمد الغزالي:** هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي، والإمام محمد الغزالي (٤٥٠ هـ - ٥٠٥ هـ) كان متكلمًا وفقيهًا وصوفيًّا إيرانيًّا، وأحد أكبر الصوفية في القرن الخامس الهجري.
انظر: ويكي پديا دانشنامهٔ آزاد
fa.wikipedia.org

(٢) **أحمد الغزالي:** هو مجد الدين أبو الفتح أحمد بن محمد الغزالي (٤٥٢ هـ - ٥٢٠ هـ)، الأخ الأصغر لأبي حامد محمد الغزالي، وكان من مشايخ أهل السنة. والمرجح أنه وُلد في طابران التابعة لطوس بعد عامين أو ثلاثة أعوام من ولادة أخيه محمد. وكان فقيهًا من فقهاء الشافعية الكبار في القرن الخامس الهجري، كما كان من كبار العارفين والصوفية كذلك، وكان مريدًا للشيخ أبي بكر النساج الطوسي.
انظر: ويكي پديا دانشنامهٔ آزاد
fa.wikipedia.org

شعر (سريع)

اختر العشق، العشق الذي تصطفيه

فإن العشق يهبك الرأي الرزين

رُوي كذلك أن مولانا دخل حجرة سراج الدين التتري الذي كان علَّامة زمانه، وانشغل بالمعاني، وقال: إن الحكيم الإلهي السيد السنائي، وفريد الدين العطار -قدس الله سِرَّهما- كانا متفقهَين في الدين، ولكن أغلب كلامهما قالاه عن الفراق[1]. لكن كلامنا كله قلناه عن الوصال[2].

وقال أيضًا: كان الإمام أبو حنيفة، والإمام المطلبي، والأئمة الآخرون -رضي الله عنهم- معماريي عالم اليابسة. وكل من سلك طريق أولئك الأعزاء بصدق تام، واتبعهم، أمن شرور الأشرار ولصوص الدين، ونجا.

لكن الجنيد وذا النون وأبا يزيد وشقيق البلخي وابن أدهم والمنصور

---

(١) **الفراق:** عند الصوفية يطلقونه على مقام الغيبة، حيث يكون محجوبًا عن الوحدة... والمراد من الفراق هو أنه لو افترق العاشق عن المعشوق مقدار لمحة، فذاك يكون فراق مائة سنة. وأيضًا يطلقون الفراق على مقام الوحدة؛ أي خروج السالك من الوطن الأصلي الذي هو عالم البطون إلى عالم الظهور، فهذا هو فراقه. والعودة من عالم الظهور إلى عالم البطون هو وصاله. وهذا الوصال لا يحصل إلا من الموت الصوري.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ١٣٥.

(٢) **الوصال:** مرادف الوصل والاتصال. قالوا: الاتصال هو الانقطاع عما سوى الحق. وقال بعضهم: من لم ينفصل لم يتصل؛ أي من لم ينفصل عن الكونين، لم يتصل بمكون الكونين. وأدنى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالى بعين القلب، وإن كان من بعيد. والوصال هو الرؤية والمشاهدة بسِر القلب في الدنيا، وبعين الرؤوس في الآخرة. السابق، ص ١٨٥.

وأمثالهم كانوا طيور ماء، وسباحين في بحر المعاني. وكل من يتبعهم، ينجو من حِيَلِّ النفس المَكَّارة، ويعثر على جوهر بحر القدرة.

روى بهاء الدين البحري الذي خظي بالنصيب الأكمل من علم المعاني كذلك أن مولانا قال ذات يوم: كل من ينشغل بكلام العطار[1]، يستفيد من قول السنائي[2]، ويفهم أسرار ذلك الكلام، وكل من يطالع بجد تام كلام السنائي يدرك أن كلامنا يكشف سر السنائي.

ورُوي أيضًا أن مولانا -عليه سلام الله وتحياته- كان قد جلس في المدرسة ذات يوم، فجأة جاء ملك الشعراء الأمير بهاء الدين قانعي[3]

---

(١) **العطار:** المقصود هو فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم بن إسحاق العطار النيسابوري: الشاعر العارف الإيراني المشهور في القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري (٥٤٠ هـ - ٦١٨ هـ). كان أبوه عطارًا، وورث عنه فريد الدين هذه المهنة. ويعد العطار مريدًا للشيخ مجد الدين البغدادي والشيخ ركن الدين إسحاق والشيخ قطب الدين حيدر. أمضى العطار فترة من عمره في السفر والترحال، وزار كثيرًا من المشايخ من مكة = إلى ما وراء النهر. وله مؤلفات كثيرة، منها: تذكرة الأولياء، ديوان أشعار، منطق الطير، اسرار نامه، الهي نامه، مصيبت نامه، خسرو نامه وغيرها. وقد عبر عن معاني العرفان السامية بكلام سهل سلس لا يخلو من الفصاحة والبلاغة. انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، مؤسسة انتشارات امير كبير، چاپ دهم ١٣٧٥، جلد پنجم اعلام آ - ع، ص ١١٨٢.

(٢) **السنائي:** هو أبو المجد مجدود بن آدم المتخلص بالسنائي والملقب بالغزنوي. وُلد في مدينة غزنة، وعاش فترة من حياته في بلخ وسرخس وهراة ونيسابور، وسافر إلى مكة، وتوفي سنة ٥٣٥ هـ على أرجح الأقوال. ويعد رائد فن الغزل الصوفي في الفارسية، وتنسب له سبع مثنويات كذلك، ألا وهي: حديقة الحقيقة، سير العباد إلى المعاد، طريق التحقيق، عشق نامه، عقل نامه، غريب نامه، كار نامۀ بلخ، إضافة إلى ديوان شعر.

انظر: د. إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٨٨١ م، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) **الأمير بهاء الدين القانعي:** هو أحمد بن محمود الطوسي، توفي بعد وفاة مولانا جلال الدين، كان مداحًا للسلاطين السلاجقة، ونظَّم كليلة ودمنة.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٢٢١.

-الذي كان خاقاني الزمان[1]- مع جماعة الأكابر لزيارة مولانا. وقال القانعي بعد أقوال كثيرة وأجوبة وأسئلة لا حصر لها: إنني أنا العبد لا أحب السنائي أبدًا، لأنه لم يكن مسلمًا!

قال مولانا: ما معنى لم يكن مسلمًا؟ فقال: لأنه ضَمَّن أشعاره آيات القرآن المجيد، وجعل لها قوافي. فاحتد مولانا بشدة على القانعي، وقال: اسكت، فأي شأن لمسلم! فإذا كان مسلم يدرك عظمته، لكانت العمامة تسقط من على رأسه. فهل أنت مسلم؟ وهل الآلاف مثلك مسلمون؟

إن السنائي كان مُسلِمًا في الكونين، وأَحْسَنَ كلامه -الذي هو شارح لأسرار القرآن- على هذا النحو: أخذنا من البحر، وأهرقنا على البحر. وأنت لا تعلم هذه الحكمة، ولا تقرأها، لأنك تقنع بالظاهر. وأنشد:

شعر (رمل)

إن للأبدال اصطلاحات

لا تعلم الأقوال خبرًا عنها

---

(١) **الخاقاني:** هو أفضل الدين بن نجيب الدين علي الشرواني الملقب بحَسَّان العجم، الشاعر المشهور (٥٢٠ هـ - ٥٨٢ هـ)، عاش في كنف عمه كافي الدين عمر الطبيب والفيلسوف حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره. وتعلم فنون الشعر على يد أبي العلاء الكنجوي، وهو الذي أطلق عليه الخاقاني بعد أن ألحقه بخدمة الخاقان منوجهر. سافر الخاقاني إلى الري وأصفهان، وأدى فريضة الحج مرتين، ومال إلى العزلة في آخر عمره، وسكن تبريز، وتوفي فيها. وله ديوان يشتمل على قصائد وغزليات ورباعيات، وكذلك منظومة تحفة العراقيين. وكان ماهرًا في نظم القصائد. وكانت مهارته في تركيب الألفاظ وإبداع المعاني، وابتكار المضامين الجديدة، والوصف والتشبيه، قليلةَ النظير.

انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، جلد پنجم اعلام آ - ع، ص ٤٧٣.

تبدو هذه الحقائق غير تامة لأن

فهمها حرام على هؤلاء السُّذَّج

ولمَّا لم يكن لك حظ من غوامض أسرار الأولياء، فلا ينبغي أن تنكر أحوالهم، وتُعَرِّض نفسك للهلاك. ولكن إذا آمنت بهم، وصَدَّقتهم، لا يكون عليك وزر يوم القيامة، بل يكون لك ذخر وحِمى. ويصبحون شفعاءك الشفقاء.

نهض القانعي في الحال، وكشف رأسه، واستغفر، وتاب عن سوء الأدب ذلك، وأصبح مريدًا مخلصًا.

روى وليُّ الله على العيان، سراج الدين منشد المثنوي -رحمة الله عليه، عن شلبي حسام الدين- قدس الله سره- كذلك أنه كان يقسم على أحد مريديه ذات يوم، بألَّا يعمل عملًا غير مشروع. وكانوا قد غطوا منظومة «الهي نامه» للحكيم السنائي على الرحل، فقدموها إليه «كي يقسم عليها».

دخل مولانا من الباب في الحال، وسأل: أي قَسَم؟ فقال شلبي: إنني أقسم على فلان بسبب التهتك (الانحلال وعدم الاحتشام). وخشيت أن أُحَلِّفه على المصحف، فأخفيت الهي نامه.

قال مولانا: والله، إنه يتعهد بالأقوى، لأن صورة القرآن على شاكلتنا، وهذه المعاني خلاصتها وزبدتها.

وكذلك كان شهاب الدين المنشد وعثمان القوال -رحمهما الله، من المقبولين المقبلين. رويا كذلك أن سماعًا عظيمًا كان في المدرسة ذات يوم. واضطرب مولانا اضطرابًا فاق الحد، فكان يأتي إلى أريكة

القوالين في كل لحظة، وينحني، ويطلب العذر، وكان يتواجد، ويطلب العذر، ويقول: يكفي أن عالم اللطف لكم.

ازدادت حيرة الأصحاب، فلمن يتواضع مولانا هذا التواضع؟! ولمن يتكلف هذا التكلف؟!

لمَّا انتهى السماع، طأطأ شلبي حسام الدين رأسه، وسأل مولانا عن ذلك السر. فقال: كان سر روحانية السيد الحكيم السنائي قد تمثل لي، وتجسد، وكان يقف إلى جوار عثمان وشهاب الدين، وينقر الدف، ويتلطف. وكنتُ أطلب المعذرة من تمثال سِرِّه في كل لحظة، حتى يرضى عنا.

وينبغي معرفة الحقيقة، ألا وهي أن كل من يذكره رجال الحق من عالم الغيب، ويطلبونه، يتمثل أمامهم في الحال، مثلما تمثل الروح القدس لمريم، وللرسول -عليهما السلام، وتمثلت صور الأولياء الروحانية للكُمَّل. ويطلق دراويش العالم على ذلك تَروحُن وتمثُّل وتجسُّد.

روى المحبوب الرباني نفيس الدين السيواسي -رحمة الله عليه- كذلك أن مولانا كان قد دخل الحَمَّام ذات يوم، وتربع في جلسته في وسط الحَمَّام، وكان يتحدث بالمعاني. وكان الأصحاب يضجون.

نهض مولانا فجأة، وصاح قائلًا: مَن مولانا في هذا المجمع؟ ثلاث مرات. وسكت جميع الأصحاب، ولم يتحدثوا قَط. قال مولانا بعد ذلك: لو يدخل غريب في هذا الحَمَّام، ويرى ثياب الأصحاب في خزانة الحَمَّام، يدرك في الحال أن أصحاب مولانا كانوا في هذا المكان. من ثم إن ثيابكم وقلانسكم تُعرِّفكم. فلماذا لا يجب أن تُعَرَّفوا أنتم بالأرواح وبالثياب؟ وكما أن ظاهر الأصحاب مزين بها، ينبغي أن تتزين بواطنكم

أيضًا بالمعرفة الإلهية والحقائق -إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم[1]- حتى تكونوا مولويين معنويين من جميع الوجوه. وهذه كفاية.

روى السيد نفيس الدين كذلك أن سماعًا عظيمًا أقيم في المدرسة. فجاءني مولانا مسرعًا، وتشبث بتلابيبي. ففقدتُ الصواب بسبب تلك الهيبة. وقال مولانا بعد ذلك: لو يسألونك: لماذا يُشَمِّر مولانا كُمَّ الفرجية؟ ماذا سوف تقول؟ قلتُ: أقول كل ما يقوله مولانا.

قال مولانا: الكائنات كلها مثل خانقاه عالٍ للغاية وعظيم، والله هو الشيخ الحقيقي في ذلك الخانقاه، والأنبياء والأولياء وخواص الأمة جميعهم مثل الصوفية مسافرون. ولمَّا ينزل صوفي غريب في هذا الخانقاه، ولا يعرف الخادم، يجب أن ينظر من الذي قد شَمَّرَ كُمَّ الثوب، فيستدل على أنه خادم الخانقاه، ويكتسب منه سائر أركان أرباب التصوف وآدابهم. بعد ذلك يمكن أن يكون محرمًا ورفيقًا للصوفية الأصفياء، وسالكي طريق الوَفاء، وأن يقيم في ذلك المكان، ويستقيم وإلا يطردونه في التو واللحظة من الخانقاه.

من ثم نحن خدم الله في خانقاه العالم هذا منذ خلق آدم، وفيض ذلك النَّفَس. والخادم لله حبيب الله هو ضابطة كُلِّية. والعاقل تكفيه الإشارة، وقد وصلنا نصيب الخدمة هذا من نصاب رسول الله. كما قال

---

(١) ورد هذا الحديث في الدرر السنية على هذا النحو:

إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع

خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية. dorar.net

صلى الله عليه وسلم: سيد القوم خادمهم[1]. وما أحسنها من خدمة مباركة! فقد صار الخادم أشرف العالمين وأفضلهم ببركة الخدمة، وأصبح مخدوم العالمين!

روى عزيز كذلك أنهم حكوا حكاية عن أحدهم ذات يوم أمام مولانا، وأن فلانًا يقول: إن قلبي وروحي متعلقان بالخدمة. فقال: اسكت. لقد توارث الناس هذا الكذب الذي يكذبونه، فمن أين حاز مثل ذلك القلب وتلك الروح حتى يجعلهما في خدمة الرجال؟

بعد ذلك التفت مولانا بوجهه المبارك ناحية شلبي حسام الدين، وقال: والله، والله، ينبغي مجاورة أولياء الحق، فلتلك القربة تأثير عظيم. كما أنشد:

شعر (هزج)

امثل أمامه، على أي حال تكون
لأن الحب ينتج عن القرب
وكما أن الجسد يذوب في جسد المحبوب
فإن الروح تنمحي برؤية روحه أيضًا
لماذا تُجَرِّب الهجر؟
وكيف يجرب شخص السُّم؟

---

(١) حديث غير صحيح.
الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، أحاديث منتشرة لا تصح. dorar.net

لا تهرب لو أنك تقي أو غير تقي

لأن التقوى تزيد بالقرب

كان علاء الدين تريانوس يحكي لمولانا كذلك أن أَخي[1] أحمد كان يتحدث اليوم في مجمع قائلًا: نحن أيضًا من جملة عشاق مولانا. فقال مولانا له: اسكت. كيف يكون سيد ميت عاشقًا؟! إنه لا يعرف معشوقه، مع أنه ليس محرمًا.

شعر (رمل)

لقد أوجد الله الأولياء في الأرض

حتى يجعلهم رحمة للعالمين

رُوي كذلك أن مولانا التفت إلى الأصحاب الأعزاء ذات يوم، وقال: مع أن شهرتي ازدادت، والناس يأتون لزيارتي، ويرغبون فيَّ، فإنني لم أسلم من الآفة منذ ذلك اليوم. وما أطيب الصدق الذي يقوله المصطفى: الشهرة آفة، والراحة في الخمول! لكن الأمر كذلك، فماذا

---

(١) الأَخي: الأَخي هو واحد الأَخية، والأَخية أو الأخية الفتيان اسم أُطلق على جماعات الفتوة في آسيا الصغرى. وقال عنهم ابن بطوطة: إنهم انتشروا في جميع البلاد التركمانية الرومية، وكانوا يحتفلون بالغرباء، ويطعمون الطعام، ويقضون حوائج الناس، ويأخذون على أيدي الظلمة. ويطلق لفظ أَخي في اصطلاح المشايخ والعارفين على الشخص الذي يتسم بالتقوى والكرم والشفقة والعفة والعلم والتواضع. لمزيد من المعلومات انظر: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، قدم له وحققه محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الجزء الأول، ص ٢٩٢. عمر سليم عبد القادر التل: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، دراسة تاريخية، تقديم عبد العزيز الدوري، دار المأمون للنشر والتوزيع عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ص ٤١٦.

يمكن فعله؟! اخْرُج بصفاتي إلى خلقي، مَنْ رآك رآني، ومَن قصدك قصدني. ودائمًا ما كان يحذر الأصحاب من آفة الشهرة، ويقول:

شعر (رمل)

تؤذي نفسك وتستغيث

حتى تُجَنِّبك الاشتهار

فاشتهار الخلق قيد محكم

والشريف يضل في هذا الطريق بسبب القيد الحديدي

حكاية

روى الفقير النهري، لا الدهري، الشيخ سنان الدين الآقشهري -رحمة الله عليه- الذي كان من كُمَّل الأصحاب الخلوين، وسالك المسالك العلوية، عن سلطان ولد كذلك أنه قال: انزوى أبي نحو عشرة أيام في البيت في شهر رمضان، ولم يُظهِر وجهه لأحد. فضج أكابر قونية من العلماء والفقراء والعارفين والأمراء وعموم الناس في المدرسة ضجة شديدة، وقالوا: إننا لا نحتمل فراق مولانا. وكانوا يستغيثون.

شعر (متقارب)

إن القصة طويلة، وأنت نفسك تعلمها

وإن اضطراب السمك بسبب انعدام الماء

فقال ولد: نهضتُ، وذهبتُ إلى باب الحجرة، حتى أتجسس على حال أبي، ومضيت على مهل، واسترقت النظر من شق الباب. قال أبي:

يا بهاء الدين، ما هذا الضجيج؟ فقلتُ: إن جميع المحبين والعاشقين في المدينة يحترقون في فراق مولانا. قال: الحق معهم. لكن ليمهلوني ثلاثة أيام أخرى. فأذعنتُ، ورجعتُ، وأخبرتُ الأصحاب، فسُرُّوا، وأقاموا مجالس السماع.

وبعد اليوم الثالث، جئتُ في الصباح، ونظرتُ إلى الحجرة من شق الباب، فرأيت الحجرة كانت قد امتلأت من أسفلها إلى أعلاها بجسد مولانا المبارك، وفاضت به. وكذلك كان شق الباب قد امتلأ به أيضًا، مثلما يملأون الصدوع بالقطن. فصحتُ بسبب تلك الهيبة، وفقدتُ الصواب، ورأيت هذه الحال مرتين أو ثلاث مرات. ونظرت آخر مرة، فوجدت جسده كان معتدلًا ولطيفًا ونحيفًا كما كان. ورأيته كان يربت بيده المباركة على كتفه قائلًا: اسعد، لقد أحسنتَ، وما أطيب التحمل الذي احتملته! ذلك الذي لم يحتمله جبل الطور، وتصدع، تحملته أنت! بارك الله في مثلك يا رفيق الغار. كما أنشد:

شعر (رمل)

احتملت أبدان الرجال النور عديم النظير

بسبب كمال القدرة

ذلك الذي لم يطق جبل الطور ذرة منه

تجعل قدرته قارورةً مستقَرًّا له

دخلتُ من الباب مستغيثًا، وطأطأتُ رأسي، ومسحت وجهي في قدمه. فقال: يا بهاء الدين، هذا سر بيني وبينك. تَمُر أوقات، نذهب

فيها إلى الحضرة، ويفيض الحق تعالى وتقدس علينا بالفيض والتجلي في أوقات أخرى. وفي البرهة التي أذهب فيها إلى هناك، أصبح هزيلًا ذليلًا مسكينًا. وفي البرهة التي تُشَرِّف فيها حضرة العِزَّة، لا يسعني العالم بأسره، فما بالك بحجرة؟

خرجتُ، وأخبرتُ الأصحاب، فحدثت جلبة في مدينة قونية. وكان الأكابر والأصاغر يأتون لزيارته جماعة تلو جماعة. وكان مولانا يعتني بكل شخص منفردًا، بسبب كمال الاتحاد، ويهتم به. بعد ذلك شرع في السماع سبعة أيام بلياليها من دون انقطاع.

روى كذلك محققو الطريقة، والباحثون عن الحقيقة -عليهم التحية والسلام- أن رغبة انتابت جلال الدين القره طائي ذات يوم، في أن يؤدي صلاة الصبح خلف مولانا. فنهض خفية، ودخل مدرسته بمفرده في وقت الإقامة، ووقف للصلاة خلف الباب.

رأى جلال الدين القره طائي مولانا قد وقف في المحراب، ووجد أنه أصبح طويلًا فجأة، وعظيمًا، وازداد حجمه، وتضخم! وفاض صحن المدرسة وصُفَّتها به. كما أنه لم يبقَ له مجال للمقال والمقام، فصاح صيحة، وفقد الصواب. بعد برهة لمَّا عاد إلى رشده، وجد مولانا كان قد سجد، ولمَّا أتم الصلاة، قال: أيها الأمير جلال الدين، في الوقت الذي ترعانا فيه حضرة العِزَّة، نصبح هكذا. وفي الوقت الذي يدعونا فيه إلى هناك، نصير هكذا. فطأطأ الأمير جلال الدين رأسه، وخرج، وأمر للأصحاب بِصِلات كثيرة في ذلك اليوم.

روى كذلك زبدة الفضلاء وينبوع المعاني مولانا صلاح الدين الملطي -رحمة الله عليه- الذي كان من كبار عُلَماء الأصحاب، وكان مولانا يطلق عليه الصديق الحميم بهاء الدين، وكان سيبويه الوقت في فن اللغة العربية، والأستاذ شلبي عارف -قدس الله سره- أن مولانا اختفى قرابة أربعين يومًا بالتمام، وفقد الأصحاب جميعهم والأكابر الصواب بحثًا عنه، لربما ينتهز عدو ومنكر الفرصة -لا قدر الله- ويحدث له شيء.

وعلى هذا النحو كان الأصحاب يسيرون أفواجًا، ويبحثون عنه، ويسألون عنه، حتى إنهم جعلوا مناديًا ينادي في المدينة بأن كل من يأتي بخبر عن مولانا أو علامة، يُمنَح ألف درهم مكافأة.

وحدث أن أصاب خلل حَمَّام دولي في قازغان، وأخذ ماؤه يقطر، كأن النار قد اشتعلت فيه. فدخل الحَمَّامي، حتى يصلح ذلك الخلل. فوجد مولانا قد وقف على الخزينة مرتديًا ثيابه وقلنسوته، وكان والهًا، ولم تكن ثيابه قد ابتلت، ولم يكن قد غرق في العرق. فطأطأ الحَمَّامي رأسه في أدب تام، وعاد.

جاء الحَمَّامي إلى المدرسة مسرعًا، فوجد جموع الأصحاب كانوا قد اجتمعوا في خدمة سلطان ولد وشلبي حسام الدين، وكانوا يفكرون في تلك الحال. شرح الحَمَّامي الحال، فحمله الأصحاب من شدة السرور، وأعطوه فرجيات وأشياء أخرى. ومنحه السيد مجد الدين المزاغي ألف درهم في الحال، وخلع عليه الخلع. وقدموا جميعًا إلى الحَمَّام، وحضر القوالون، وجاء مقيمو السماع والراقصون كذلك. ويقال: إن السماع والاجتماع استمر أسبوعًا بالتمام.

حكاية

روى كذلك خليفة مولانا، سلطان الأبرار، شلبي حسام الحق والدين -رضي الله عنه- ذات يوم قائلًا: سمعتُ من مولانا كذلك أن الحق تعالى لمَّا خلق جسد آدم الطاهر -عليه السلام- من أديم الأرض، ونفخ فيه الروح القدسية، جاء خطاب العزة لجبريل الأمين: خذ ثلاثة جواهر ثمينة من بحر قدرتي، وضعها في طبق منير، واجعلها نثار آدم الصَّفي، واعرضها عليه، حتى يختار جوهرة منها.

كان الجوهر الأول هو جوهر العقل، وكان الجوهر الثاني جوهر الإيمان، وكان الجوهر الثالث جوهر الحياء. لمَّا عرض جبريل الأمين الطبق على آدم، وشرح له الحال، نظر إليه نظرة فراسة المؤمن. والمؤمن ينظر بنور الله[1].

اختار آدم جوهر العقل. وكان جبريل يريد أن يأخذ الطبق بالجوهرَين، وأن يحمله إلى بحر القدرة مرة أخرى، لكنه لم يستطع حمله مع تلك القوة التي كان يتمتع بها بسبب شدة ثقله. فأجاب جوهرا الإيمان والحياء: إننا لا نفترق عن صحبة عقل محبوب الله، ولا قرار لنا أو وجود في مكان أبدًا من دون وجوده، لأننا نحن الثلاثة جواهر منجم

(١) إشارة إلى الحديث:

اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

المحدث: الألباني

المصدر: السلسلة الصحيحة.

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف من جميع طرقه

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

العزة منذ قديم العهد، وجواهر بحر القدرة، لا ينفصل بعضنا عن بعض.

ثم جاء خطاب العزة من الله تعالى: يا جبريل، دعهم، وتعالَ. وقد اتخذ العقل قلة دماغ آدم منزلًا، وسكن جوهر الإيمان في قلبه الدرَّاك، واستقر جوهر الحياء في وجهه المبارك. وتلك الجواهر الثلاثة الطاهرة هي ميراث أولاد آدم الخاص، لأن كل ولد من نسل آدم، ليس متحليًا أو متجليًا بتلك الجواهر، خالٍ من ذلك النور، ومن ذلك المعنى. والعاقل تكفيه الإشارة.

روى شلبي شمس الدين ولد المدرِّس كذلك أن مريد مولانا المدعو حمزة كان عازفًا على الناي، وكان أستاذًا ماهرًا وموسيقيًا. واعتنى به مولانا عناية كبيرة. مرض فجأة، ومات. فأخبروا مولانا. وانشغل بعض الأصحاب بتجهيزه.

نهض مولانا، وذهب إلى بيت حمزة، ولمَّا دخل من بابه، قال: انهض أيها الصديق العزيز حمزة، فنهض ملبيًا، وأخذ يعزف على الناي. وأقاموا السماع ثلاثة أيام بلياليها! وفي ذلك اليوم أسلم نحو مائة كافر رومي. ولمَّا خطا مولانا خطوة إلى الخارج بقدمه المباركة، توفي حمزة في الحال.

وتوفي درويش من الأصحاب كذلك، ولمَّا بلغ خبر وفاته مولانا، قال: لماذا لم تخبروني من قبل؟ فلم أكن أتركه يمضي. ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾(١).

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢١٠.

روى كذلك المحبوب الرباني ملك الخلفاء، السالك السني مولانا بدر الدين المعدني -رحمه الله- الذي كان الخليفة الكبير بمعدنه الدُّرِّي، كما كان عارفًا؛ أن مولانا كان له منشد لطيف النَّفَس، لكنه كان أحدب. وكان مولانا يضطرب في أثناء السماع ذات يوم، ويتواجد، ويأتي إليه، وتنتابه الأحوال. وكان ذلك المسكين ينحني، وينقر الدف في عشق تام، ويتحدث بالأسرار.

قال له مولانا بعد السماع: لماذا لا تقف مستقيمًا؟ وأي حال أصابتك؟ فأظهر الأحدب ظهره، ومسح مولانا بيده المباركة على ظهره، فاستقام قَدُّه في الحال.

سجد المنشد، ثم مضى مثل السرو الممشوق، ولمَّا قدم إلى بيته مسرورًا، أنكرته زوجته، ولم تفتح الباب، وقالت: إنك لست زوجي. وتناقل الأصحاب حكاية العناية. وكان المنشد يقضي سنوات في الخدمة.

حكوا لمولانا ذات يوم كذلك أن فلان الدين الناييني، لم يعش طويلًا في حال سُكْر. فقال مولانا: شكرًا لله أنه لم يعش، ومات وهو ثمل. فلو أنه كان يبقى، ويستيقظ، لم يكن حسنًا.

كما أن البلبل المسكين يغرد في الربيع أمام الوردة، ويصيح كذلك إلى حد أنه يثمل. ولو أن قطًّا ينتهز الفرصة في تلك الحال، ويلتهم ذلك البلبل الفاني، يظل البلبل فانيًا إلى الأبد، ويُحشَر فانيًا. كما تعيشون

تموتون، وكما تموتون تُحشَرون[1].

شعر (رمل)

لقد تحدثنا هذا القدر، ففكِّر أنت في الباقي

وإذا تجمد الفكر، فاذهب، واذكر الله

فالذكر يشحذ الفكر

واجعل الذكر شمس ذلك المتجمد

سألت جماعة مولانا كذلك قائلة: منذ قديم العهد كان المقرئون والمؤذنون يتقدمون جنازات الموتى، فما معنى وجود هؤلاء القوالين في هذا الزمان الذي هو زمانك؟ كما أن علماء الأمة وفقهاء الشريعة يُشَنِّعون، ويسمون ذلك بدعة.

قال مولانا: إن وجود المؤذنين والمقرئين والحُفَّاظ أمام الجنازة يبرهن على أن هذا الميت كان مؤمنًا، وعلى أنه مات على ملة الإسلام. لكن قوالينا يشهدون على أن هذا المتوفى كان مؤمنًا ومسلمًا وعاشقًا أيضًا. ويدلل أيضًا على أن الروح الإنسانية التي كانت قد حُبست لسنوات في سجن الدنيا وجُب الطبيعة، وأُسرت في صندوق البدن، تحررت فجأة بفضل الحق، وعادت إلى مركزها الأصلي. ألا يكون

---

(١) **إشارة إلى الحديث:**

كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تُبعَثون، وكما تُبعَثون تُحشَرون.

عوالي اللئالي في الأحاديث الدينية، الجزء الرابع، ص ٧٢.

جامع الأحاديث

hadith.inoor.ir

هذا باعثًا على السرور والسماع والشكر، وأن يرجع مُحَلِّقًا مسرورًا إلى حضرة العزة، وأن يرغب في ذلك، ويُرَغِّب الآخرين أيضًا في التضحية والفداء؟ فلو أنهم يحررون أحدهم من السجن في الحال، ويكرمونه، يكون ذلك سبب ألف حمد وسرور من دون شك. وفي الحقيقة، إن موت أصحابنا بمثابة ما قيل:

شعر (رمل)

لأنهم كانوا أئمة الدين

فقد حَلَّ وقت سرورهم، لمَّا حطموا القيد

وأسرعوا إلى خيمة السرور

وألقوا الهراوي والجنازير

ولقد قفزت الروح السلطانية من السجن

فلماذا نَشُق الثياب، ونفرُك اليد؟

ورُوي كذلك عن سلطان ولد أنه قال: كان ملل وقبض[1] شديد قد انتابني ذات يوم، ووجدتُ والدي دخل من باب المدرسة، ورآني ملولًا ومنقبضًا، فقال: هل غضبتَ من أحد، فانقبضت هكذا؟ قلتُ: إنني لا أعلم ما الحال.

نهض أبي، ودخل البيت. ورأيتُ بعد لحظة أنه بَدَّل الفراء الأجرب،

---

(١) **القبض:** القبض قبض القلوب في حالة الحجاب، والقبض حال الخوف في الوقت. وقيل: وارد يرد على القلب، توجيه إشارة إلى عتاب وتأديب. د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ص ١٣٩.

وغطى رأسه ووجهه المبارك، وخرج. ولمَّا اقترب مني، قال: بُعْ بُعْ؛ أي إنه يخيفني، كما يخيفون الأطفال. فابتسمت ابتسامة عريضة بسبب حركة أبي اللطيفة تلك، وضحكت إلى حد لا يمكن وصفه.

وطأطأتُ رأسي، وقَبَّلتُ قدمَي أبي. فقال: يا بهاء الدين، إذا كان لك محبوب لطيف يلزم جانبك، ويمزح معك دائمًا، ويبهجك، وفجأة يبدِّل هيئته، ويجعل نفسه بُعبُعًا لك، هل تخاف منه؟ قلتُ: لا أخاف. قال: إن ذلك المحبوب الذي يسعدك للغاية، وينتابك بسط[1] بسببه، وتنفعل به، هو نفسه الذي يحزنك، فيعتريك القبض بسببه. فالجميع هو، ومنه، وأنت تفيض عنه.

شعر (رمل)

لو يرتدي لباس القهر، أعرفه مثل الشرر

لأنه قد تجلى علينا ثملًا مرات على هذا النحو

ومن ثم لماذا تحزن من دون فائدة، وتنغمس في قبضة القبض؟

شعر (رمل)

اعتراك القبض، ففكِّر في حيلة لذلك القبض

لأن الرؤوس جميعها تنمو من الجذر

---

(١) **البسط**: البسط بسط القلوب في حالة الكشف. وقيل هو وارد توصية إشارة إلى قبول ورحمة وأنس. والبسط في مقام الخفاء هو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهرًا، ويقبضه إليه تعالى باطنًا رحمة للخلق. السابق، ص ٥٤.

انتابك البسط، فاروِهِ

ولمَّا يُثمر، امنح الفاكهة للأصحاب

قال سلطان ولد: انتابتني حال في الحال، وصرت متفتحًا منبسطًا مثل الوردة النضرة، ولم أرَ وجه الغم طوال عمري، ولم أحزن، ولم يصبني غم الدنيا أصلًا، وباسطت والدي بسبب شدة البسط، وقلت له: لقد أخبرتَ عن مقامات جملة الأنبياء والأولياء -عليهم السلام- وكراماتهم ودرجاتهم، وبرهنتَ على عظمة كل عظيم، لكنك لم تتحدث قَط عن عظمتك وسلطانك. فقال أبي: يَسِّر يا بهاء الدين، ألا تعلم أن:

شعر (رمل)

مادح الشمس هو مداح نفسه

وإن عينيَ مبصرتان غير رَمِدَتين

ولمَّا جذبني أبي من عالم القبض إلى عالم البسط، وأوصلني من مملكة الكثرة إلى ملكوت الوحدة:

شعر (طويل)

وما الحسن إلا واحد غير أنه

إذا أنت عَدَّدت المرايا، تَعَدَّدا

استرسلتُ في الانبساط، وألححتُ في هذا السؤال إلحاحًا شديدًا قائلًا: لتشرح بعض أحوالك. فقال: يا بهاء الدين، انظر إلى مدينة قونية هذه، ففيها بضعة آلاف من البيوت والقصور وسرايات الأمراء والأكابر والأعيان الفاخرة، وبيوت السادة والأكادشة أفخم من بيوت الحرفيين،

وسرايات الأمراء أفخر من بيوت السادة، وكذلك فإن أواوين وقصور السلاطين والملوك أسمى وأعظم منها جميعًا بمائة درجة. لكن رفعة السماوات وعظمتها بدتا رفيعتين للغاية ومنيعتين وعظيمتين في مقابل تلك السرايات.

من ثم إن مقامات جميع الأنبياء والأولياء على هذا المنوال الذي تم ذكره. كما يقول في القرآن المجيد: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾[3].

وهناك آيات وأخبار كثيرة في هذا المعنى، لكن مقاماتنا بالنسبة إلى تلك السرايات بمثابة السماوات. ﴿ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4]. تصدق علينا، ونحن ورثة النور المحمدي من جميع الوجوه.

شعر (رمل)

فتح الخزينة، وارتدى الخلع جميعها

وجاء المصطفى، فلتؤمنوا جميعًا

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٥٣.

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية ٥٥.

(٣) سورة الزخرف، جزء من الآية ٣٢.

(٤) سورة النور، جزء من الآية ٣٨.

حكاية

روى أصحاب اليقين -رضوان الله عليهم أجمعين- كذلك أن المحبوب الرباني الشيخ فخر الدين السيواسي -رحمة الله عليه، كان رجلًا ذا فنون، وكان يتولى مهمة كتابة الأسرار والمعاني في ذلك العهد، وطرأ عليه جنون، وأصيب بالجنون. وفي ذلك اليوم نفسه أنشد مولانا هذا الغزل:

شعر (رجز)

أيها العشاق، أيها العشاق، لقد أصيبت لؤلؤة بالجنون

وطشطشت، وهوت من على سطحنا إلى قاع بيت المجنون

إلى آخره.

وربما كان يتدخل في كلام مولانا في بعض الأوقات، ويكتبه على سبيل التصحيح، ويُحَرِّف الكلمات من دون أن يسمح له.

رُوي كذلك أنه احتد على مولانا فخر الدين بشدة، وقال: سوف أسألك سؤالًا: كان آدم التقي وإبليس الشقي كلاهما قد ارتكبا إثمًا، وفي العاقبة صار آدم مغفورًا له ومرحومًا، وأصبح الشيطان محرومًا ومرجومًا؟ فما السبب في ذلك؟

طأطأ فخر الدين رأسه، وبكى كثيرًا، وعجز عن الإجابة. قال مولانا: إن الشرك هو سبب طرده. ففقد فخر الدين الصواب بسبب الخجل.

بعد أن توفي فخر الدين، رآه أحد الأعزاء الأتقياء في المنام، وكانت ملائكة القهار تكسر أسنانه بمقامع حديد، وكان هو يصرخ. فسأل الرائي

المبصر عن تلك الحال، فقال: إنه جزاء سوء الأدب ذلك الذي كنت أفعله بكلام مولانا، وكنت أتدخل فيه.

حزن الأصحاب حزنًا شديدًا بسبب تلك الهيبة، وبكوا. ودخلوا تربة الشيخ صدفة، وكشفوا رؤوسهم، وضجوا، واستغفروا لذنوب فخر الدين، فرأوا جميعًا في المنام في تلك الليلة أنه كان يسير في قصور العِليين، فسألوا عن حاله، وقالوا: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ربي، ورحمني، وأنقذني من تلك المحنة بدعاء الأصحاب وشفاعتهم.

يقول مؤلف الكتاب العبد الحقير -أحسن الله إليه- كذلك: إن مولانا -قدس الله سره- كان قد كتب عدة سطور بالحمرة بخط يده المباركة في صفحة كتاب، فحواها أن منديل الشيخ صلاح الدين -عظم الله ذكره- قد انفك في الحَمَّام ذات ليلة، وسقط. فقال: أيها السِّراج، لقد فضحتني. وفي الحال انقلب السراج، وسقط، وانطفأ.

أسرعت جماعة إلى الشيخ. وقالوا: إننا لم نرَ شيئًا قَط. فقال لهم الشيخ: إنه سُرَّ لأن أبصارهم غشيت.

من ثم إن تبديل المثنوي، وتحريف قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾[1]، غير مبارك وعلى هذا النحو شحذوا مخالبهم، وكانوا يَحُكُّون أعضاءهم وبطونهم بأظفارهم وينهشون اللحم، قائلين: هكذا يلزم ذلك المنديل، يلزم في هذه الناحية حيث تأخذونه. إنه قادر على أن يجعله قمرًا، وأن يجعل ذلك القمر شمسًا، وأن يجعل تلك الشمس شيئًا ألطف، وأنفع، والله أعلم.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ١١، وجزء من الآية ١٢.

حكاية

روى كبار أخيار الأصحاب كذلك أن الأمير الذي بلا نظير، مقبول الأولياء، تاج الدين معتز الخراساني، -رحمه الله- -الذي كان من خواص مريدي الحضرة، وكان أميرًا معتبرًا وشجاعًا، وصاحب خيرات وحبرة؛ وقد أنشأ المدارس والخوانق ودار الشفاء والرباطات في ممالك الروم، وكان مولانا يحبه أكثر من جميع أمراء السلطان، ويخاطبه بالمواطن- في ذلك اليوم الذي كان يُشَرِّف فيه المذكور مولانا بالحضور، كان الأصحاب يسرون. ولمَّا كان مولانا يراه الطالب الصادق، والمستسقي بماء الحياة، وجلاب المعاني، كان يسهب في شرح حقائق المعارف، ويتحدث بالأسرار الغريبة.

كان قد جاء للزيارة ذات يوم بناء على سيرته القديمة، فقال مولانا: مثال الأشخاص الذين لم يتحرروا من وجودهم تمامًا، ولم يفنوا عن أنفسهم، ويتحدثون عن عالم الفناء مثل شخص يقول في قعر البئر: أنا الأعلى، ويَدَّعي الكذب على المقام الأسمى. وكذلك الأشخاص الذين فنوا عن وجودهم، وتحرروا منه، يرددون على السطح نداء: أنا الأدنى.

إن الجميع يعلم أن النداء يأتي من مكان عالٍ، وأنه عالٍ في جميع الأحوال.

ومثال هذين الادعاءين مثل شخص وضع في فمه ثومًا، ويتحدث عن المسك. وآخر يضع في فمه مسكًا، ويتحدث عن الثوم.

لكن العارفين الذين وجدت مشام أرواحهم الطاهرة اليْمن من قِبل اليمن برائحة: إني لأجد نفس الرحمن من قِبل اليمن[1]، وانفتحت مشامهم، ويميزون في الحال بين المسك والطل، وبين نقيض الباز وزقزقة العصفور، ويُفَرِّقون بين الحق والباطل، والعالي والنازل كالفاروق.

المؤمن كَيِّس مُمَيِّز فَطِن[2]، ينظر بنور الله.

شعر (رمل)

كل من أصبح ينظر بنور الله

علم النهاية والبداية

لمَّا جعل الحق الوجه هو المُعَرِّف

بقيت عين العارف متعلقة بالوجه

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[3]. قال بعد ذلك: يا أمير تاج الدين، تعالَ، وشم، وإذا لم تَفُح رائحته، أسرِع، واتركه.

---

(١) من غريب الحديث.

الدرر السنية dorar.net

(٢) **إشارة إلى الحديث:** المؤمن كيس فطن حذر

الراوي: أنس بن مالك

المحدث: السفاريني الحنبلي

المصدر: شرح كتاب الشهاب

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية dorar.net

(٣) سورة الفتح، جزء من الآية ٢٩.

شعر (متقارب)

ابحث عن أريج الحق في فم القلندر[1]

ولمَّا تَجِد في البحث، تصبح محرمًا يقينًا

وقال أيضًا: كل علف وعشب ترعى فيه حيوانات الصحراء، تتلون بلونه دائمًا، فبعضها أخضر اللون، وبعضها أزرق، وبعضها أسود، وبعضها أصفر. وكذلك فإن للحق عبادًا أخيارًا، يرعون دائمًا في صحراء: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾[2]، ويشربون من تلك الينابيع التي تمنح النفس الرجاء، وقد امتلأوا من طعام النور، حتى إنهم صاروا نور الحق تمامًا. كما أنشد:

شعر (رمل)

كل من يتناول التبن والشعير، يصبح قربانًا

وكل من يصادف نور الحق، يصير قرآنًا

---

(١) **القلندر:** القلندر أو القلندري مأخوذة من الكلمة الهندية «كالندر»، ومعناها الشخص الذي يخالف القوانين. وتعني في الاصطلاح: الشخص الذي تحرر من العالمين، وبلغ الكمال في التجريد والتفريد، واجتهد في تخريب العادات والعبادات، وتعني أيضًا الشخص الذي تجرد عن نفسه، وعن الأشكال البشرية، والأشكال العادية، والأعمال التي لا سعادة فيها، حتى صار من أهل الصفاء، وترقى إلى مرتبة الروح، وتخلص من القيود والتكليفات الرسمية والتعريفات الاسمية، وصار بقلبه وروحه كليهما طالبًا لجمال الحق جل وعلا وجلاله، ووصل إلى حضرة الحق. والقلندر -بصفة عامة- درويش من طريقة قلندرية. واستُخدم لفظ القلندر أيضًا للدلالة على أي فقير متجول.

د. منال اليمني عبد العزيز: القلندرية الصوفية من خلال منظومة قلندر نامه خطيب فارسي يا سيرت جمال الدين ساوجي، سيرة القلندر لخطيب الفارسي أو سيرة جمال الدين الساوجي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٨، يوليو، سبتمبر، ٢٠٢٠ م.

(٢) سورة الزمر، جزء من الآية ١٠.

لو تأكل مرة من مأكول النور ذلك

تنثر التراب على طعام التنور

كما كان سلطاننا -صلى الله عليه وسلم- قد بُعث. طأطأ الأمير تاج الدين رأسه على قدم مولانا، وازداد اعتقاده فيه، وطلب منه من دون شك أن يبني دار العشاق للأصحاب. وأنشد مولانا:

شعر (مضارع)

إننا لا نقرنس القصر ذا الطاقات الأربع

في عرصة الفناء هذه مثل عاد وثمود

إننا لا نؤسس سوى صدر قصر العشق

في ساحة الخلود تلك مثل نوح ومثل الخليل

واتباع رسول الله من جملة واجبات أهل المعنى. وهو يقسم قائلًا: والله ما عَمَّرت شِبرًا، ولا ادَّخرت تِبرًا.

ولمَّا خرج تاج الدين من عند مولانا، ذهب إلى قصره، ووضع ثلاثة آلاف دينار من مال الجزية في أكياس، وأرسلها إلى نوابه، ليمنحوها للأصحاب في الحَمَّام. فلم يقبلها مولانا، وغضب غضبًا شديدًا، وقال: شتان بيننا وشنقصة الدنيا.

شعر (هزج)

أريد أحدًا مثلي، أريد فضي البدن

وأتبرم من ذلك القبيح الذي يملك الفضة والدراهم

وعلى هذا النحو أخذوا الدنانير، وحملوها. وفي آخر الأمر تشفع بسلطان ولد، حتى يَقْبَل مولانا، ويأذن بأن يبني بيوتًا متواضعة لعديد من الدراويش بجوار مدرسته العامرة. وبنوا البيوت بإذن ولد وإشارته.

حكى كذلك سد الصلحاء الولي المستور الشيخ بدر الدين النجار المولوي -الذي كان ملائكي الخلقة في طهارة السريرة- قائلًا: كنت قد صرت مراهقًا، وكنت أعمل في خدمة النجارين الحاذقين في تلك البيوت. ولمَّا غطوا سقف الحَمَّام، وانشغلوا بسقف الصُّفَّة الكبيرة، قاسوا الأشجار، وقَدَّروها. فنقصت دعامة سقف منها نصف ذراع. ومهما بحثوا عن بديل لها في المدينة، لم يجدوا.

عجز الأستاذ وجميع النجارين، فماذا يفعلون؟ فجأة خرج مولانا من السماع، ودخل حجرتنا، وقال: فيمَ يفكر الأساتذة؟ فطأطأ الجميع رؤوسهم، وتحدثوا عن قصر تلك الشجرة. فقال: لا، لا، كيف تكون مثل هذه الشجرة اللطيفة قصيرة؟ ربما أخطأتم قياسها. نهض أستاذي، وقاسها مرة أخرى أمام نظر مولانا، فكانت الشجرة كما كانت.

ورأيتُ مولانا، وقد تقدم، ومسح بيده المباركة على تلك الشجرة، وقال: لماذا يجب أن تكون مثل هذه الدعامة الموزونة قصيرة؟ إن السهو من نجارينا. ثم قال: قسها الآن مرة أخرى. ولمَّا قاسوها بالذراع نفسه، كانت أطول من الأشجار الأخرى بنصف ذراع ونيف.

صاح الأساتذة جميعًا والأصحاب، وفقدوا الصواب، وسجدوا جميعًا في حيرة. وكان مولانا قد غاب. وفي اليوم نفسه أتموا الصُّفَّة. ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء -عليهم السلام- في التصرف في

الأشياء، وتبديل الجمادات والناميات وغيرها لا نهاية لها.

شعر (رمل)

يعلم هذا الشخص أنه كان حيًّا ذات يوم

وأنه تناول كأسًا من كف الروح العظمى تلك

انظر إلى معجزتَيّ موسى وأحمد

لمَّا أصبحت العصا ثعبانًا، وأصبح كم الثوب عَالِمًا

الفلسفي الذي هو منكر حنانه

بمنأى عن حواس الأولياء

قال كاتب الأسرار بهاء الدين البحري -رحمة الله عليه- كذلك: إنني صحبت مولانا في الحَمَّام ذات يوم، وجالت حكاية بخاطري فحواها أن الشيخ الجليل أبا سعيد بن أبي الخير -رحمة الله عليه- كان قد دخل الحَمَّام مع مريديه. وتحلق المريدون حوله. فقال الشيخ: لله الحمد والمنة، نحن والمآزر ملك الحَمَّامي؛ أي إنه كان يعبر عن تجريده.

قال مولانا: يا أبا سعيد بن أبي الخير، ألا تقول مِلك مَن تلك الثياب والجُبب التي قد وضعت في خزينة الحَمَّام؟ ومِلك مَن تلك التي يرتهنها الحَمَّامي؟ والبغل الذي رُبط أمام الباب، يخص مَن؟ وقال بعد ذلك: حقًّا ثم حقًّا، وهو الحق بالحق، والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

إن الأنبياء جميعهم، والأولياء قلما ينشغلون بالمال في هذا العالم، ورغبوا في قدر منه من أجل مصالح الخلق. وذلك القدر ليس لنا، ولن يكون.

شعر (رجز)

لمَّا مَرَّ سلطان ما زاغ البصر على العالم

رأى نقشًا، وهو لم يعشق النقوش في النهاية

روى كذلك المحبوب الرباني، الشيخ بدر الدين يواش المعروف بالنقاش -رحمه الله، وكان رجلًا عارفًا صائب النظر، أن مولانا قال للأصحاب الأعزاء ذات يوم: والله، والله، إن جميع الأولياء كانوا قد فتحوا باب توقع السؤال من أجل ذل النفس وقهر المريد، واضطروا إلى رفع القنديل، وتحمل الزنبيل. وكانوا يقبلون مال الزكاة والصدقة والهدية والهبة أيضًا من المنعم بموجب: ﴿وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1].

ونحن قد أغلقنا باب السؤال أمام أصحابنا، وأطعنا إشارة الرسول: استعفِف عن السؤال ما استطعت[2]، حتى ينشغل كل واحد منهم بكد يمينه، وعرق جبينه، إما بالكسب، أو بالتجارة، أو بالكتابة. وكل من لا يتبع هذه الطريقة من أصحابنا، لا يستحق المال، ولن يرى وجهنا يوم القيامة. ولو يمدون أيديهم إلى أحد، سوف أعرض عنهم. وقال هذا الحديث:

(١) سورة الحديد، جزء من الآية ١٨.

(٢) **إشارة إلى الحديث:** استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك

الراوي: عبد الله بن عباس. المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الجامع. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البزار، والطبري في مسند عمر، والطبراني.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net

شعر (رمل)

قال الرسول: لو ترجو الجنة من الإله

لا تطلب شيئًا من أحد

وإذا لم تطلب، فأنا أكفل لك

جنة المأوى، ولقاء الله

روى كذلك عن نور الأصحاب مولانا نور الدين التيزبازي -نور الله قلبه وقبره، والذي كان من جملة خواص المريدين- أن مولانا كان يتحدث بالمعاني ذات يوم، وروى حكاية غريبة في أثناء الكلام فحواها أن درويشًا متألهًا كان قد بقي والهًا في غابة أربعين عامًا، حتى إن الطيور كانت قد عششت على مفرق رأسه.

فجأة مَرَّ عليه قطب، وصفعه صفعة مُحْكمة على قفاه قائلًا: أيها الرجيل آكل الحرام، لقد طوى الدرويش عالم السكْر(١) إلى عالم الصحو(٢)، واستيقظ من ذلك السكْر والاستغراق. فقال: إنني لم أتناول

---

(١) **السكْر**: السكْر غيبة بوارد قوي، والسكْر زيادة على الغيبة من وجه، وذلك أن صاحب السكْر قد يكون مبسوطًا إذا لم يكن مستوفيًا في سكْره. والسكْر لا يكون إلا لأصحاب المواجد، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال، حصل السكْر وطابت الروح، وهام القلب.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة جورج متري عبد المسيح، ص ١٠٠.

(٢) **الصحو**: الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة. والصحو: العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال. ومتى عاد كل شيء منه إلى مستقره فهو صاح.

السابق، ص ١٠٨.

طعام الدنيا الحلال منذ أربعين عامًا بالتمام. فماذا يحدث للحرام حتى يسلك الطريق إليَّ؟

قال القطب: ألم يحمل قاصدو الصبا، ونسيم السحر والشمال في الربيع، والرياح المحملة بالروائح، العطور الزكية إلى دماغك ومشامك، وتغمسها في حلقك، وتعتني بك؟ والقوة تُستمَد من تلك الروائح، وتقوى بها أنت أيضًا. وهذا كله من دون أن تكد أو تتعب. وذلك حرام عليك في مذهب كُمَّل الرجال. أما سمعت من سيد المرسلين: كُلْ مِن كد يمينك وعرق جبينك؟

ألم تسمع أنهم كانوا يحضرون لسليمان النبي أطعمة الجنة في كل وقت؟ فكان يتناولها، ويتلذذ بها، وكان جبريل الأمين -عليه السلام- حاضرًا ذات يوم، وقد أتوا براتب الطعام من الجنة، فكان سليمان يتناوله بشهية كبيرة.

كان مَلك يقول لمَلك آخر: إن سليمان النبي يأكل الطعام برغبة وشهية، وكأنه قد تعب في الحصول عليه. ويجب على نبي الله ألَّا يكون شرهًا. سأل سليمانُ جبريل: ماذا يقولان؟ وقال سليمان: أيقصدان أن يتم الحصول على الطعام من كدِّ اليمين، والكسب الحلال، فيكون أفضل وألذ من طعام الجنة. قال: بلى. فتاب سليمان بعد ذلك، ونسج الزنابيل، وكان يقتات بثمنها. وعلى هذا النحو كان يصوم صوم داود، ويفطر بتلك اللقمة.

قال جبريل: يا رسول الله، اعلم، وأدرك أن سبب لذة أطعمة الجنة هو أن الحق تعالى قد خلق عين الجنة وما فيها من مشقة عبادة العابدين،

وذكر الذاكرين، وشكر الشاكرين وصبر الصابرين، وإنك لا تحصل على الثروة ما لا تتعب.

شعر (رمل)

كل من كَدَّ، ظهر له الكنز

وكل من جَدَّ، وجد

وذكروا حكاية أخرى كذلك تتعلق بهذا الأمر فحواها: كانت عينا موسى -عليه السلام- قد آلمتاه، وكان يعاني معاناة شديدة. لا وجع إلا وجع العين[1]. فمضى إلى جانب الطور، وهو يئن. وفي ذلك الطريق الذي كان يسير فيه، كانت نباتات الأرض تناديه: يا موسى، خذنا، وامسح عينيك بنا، حتى تسعد. فلم يلتفت إليها أصلًا.

ولمَّا فرغ موسى من المناجاة، قال: إلهي، لقد هلكت بسبب وجع العينين، وشيء لله، إنني أجعل الآية: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[2] دوائي وشفائي من حضرة العزة، ولم أقبل نباتات الأرض التي كانت قد عرضت خواصها عليَّ. فماذا يقول الحق في ذلك؟

فجاء خطاب حضرة العزة: اسمع كلامها، حتى تشفي عينيك، لأنني جعلت لكل داء دواءً، ولكل ألم مرهمًا. وسَبَّبْتُ الأسباب.

(١) **إشارة إلى الحديث:** لا وجع إلا وجع العين، ولا هم إلا هم الدَّين.

الدرجة: لا أصل له

الدرر السنية، أحاديث منتشرة لا تصح

dorar.net

(٢) سورة الشعراء، آية ٨٠.

شعر (رمل)

قال الرسول: إن الله المجيد

جعل لكل داء دواء

ولمَّا عاد موسى من جبل الطور، أخذ يمسح عينيه بالنباتات. فصارت أسوأ مما كانت وعاد مستغيثًا إلى الحضرة التي بلا عِلَّة، وتضرع تضرعًا شديدًا. فجاء الخطاب: يا موسى، إنني لم أقل لك: خذ من الصحراء، وامسح عينيك من دون أن تتعب في الحصول عليها، بل اذهب إلى دكاكين الأطباء، واشترِ منها مكونات الدواء، واصنع التوتياء، وامسح بها عينيك، حتى تُشفَى، وتستريح، ويجلب الطبيب المنفعة لك بذلك المُحَقَّر، ويفيدك. ففعل موسى كذلك، حتى شُفي.

رُوي كذلك أنهم سألوا مولانا ذات يوم: ما الفائدة في أن المحبين والعاشقين كانوا يحملون الشموع والقناديل والثياب إلى مزارات الأنبياء والأولياء؟ وماذا يعود على صاحب الخيرات من ذلك؟ فقال: مثال ذلك مثل شخص أمسك شمعًا أو سراجًا في يده، ويُنَوِّر النور من جاره المُنَوِّر، حتى ينير بيته أيضًا من ذلك المُنَوِّر.

إن هذه الشموع والقناديل -التي يحملونها إلى مزارات الأنبياء والأولياء- مثل قنديل تحمله، حتى تنير به لحدك المظلم ويحدث ذلك في يوم: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾[1]. ويكون الشمع في يدك ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم

(١) سورة الحديد، جزء من الآية ١٣.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾(١). وتجيب على جماعة المنكرين تلك قائلاً: ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾(٢).

كما أن الرسول -عليه السلام- دخل مسجده ليلًا لصلاة الحاجة، فوجدهم كانوا قد ملأوا المسجد بالسُّرج والقناديل وغيرها. فسأل: من فعل هذا التعظيم والتنوير؟ فنهض عمر -رضي الله عنه، وسَلَّم، وقال: فعله العبد المخلص يا رسول الله. فقال الرسول: نوَّر الله قلبك وقبرك يا عمر كما نَوَّرت مسجدي. وهكذا فإن تشعيل القناديل، وتنوير السُّرج هو تذكار الأمة المرحومة منذ زمان العُمر حتى الغاية.

ويقولون: كانت لأمير المؤمنين علي -كرم الله وجهه- ثلاث عادات عالية، فيها سعادة العالمين، الأولى: كلما كان يأتيه ضيف، كان يقدم له العسل. والثانية: أنه كان يُسَروِل المساكين والمستحقين. والثالثة: أنه كان يرسل القناديل إلى المساجد كلها. وسأل عليًّا -رضي الله عنه- المقربون منه، عن سر تلك العادات الثلاث، فقال: إنني أقدم العسل المُصفَّى للمسافرين الفقراء، حتى يدعوا لي، لمَّا تتحلى أفواههم وحلوقهم. والثانية: أنني أوفر السراويل والثياب للمساكين، حتى يدعوا لي، فتكون سترًا لعورتي وغطاءً لي في ذلك الوقت الذي يُحشَر فيه الناس حفاة عراة، ولا أفتضح في مجمع اليوم العظيم ذلك. الثالثة: أنني أرسل السُّرج والقناديل إلى مساجد الله، حتى ينير الحق سبحانه وتعالى قبري المظلم بلطفه العميم، ولا يتركني من دون سراج في ذلك اللحد

---

(١) سورة الحديد، جزء من الآية ١٢.

(٢) سورة الحديد، جزء من الآية ١٣.

الضيق المعتم، حتى تعلم أي أثر يؤثره الشمع والسُّرج والثياب وغيرها مما كانوا يحملون عند زيارة الأولياء، وأي عناية تترتب على ذلك. ووارد في كتب الملل جميعها أنهم يحملون الشموع والنذور والسُّرج والبخور إلى صوامعهم وبيعهم وكنائسهم. وثوابها مرجو، خاصة أن في البخور راحة جميع الثَّقَلين، وفوائد كثيرة.

حكاية

روى الفحول وثقات العدول -رضي الله عنهم- كذلك أن معين الدين بروانه -رحمه الله- سأل مولانا قائلًا: لقد كان لمشايخ الماضي -أنار الله برهانهم- كلٌّ على حدة أوراد وأذكار، مثل: كلمة التوحيد لا إله إلا الله. وقد ردد بعض دراويش تركستان: هو هو. وكان للبعض ذكر: إلا الله فحسب. وكان بعض الزهاد يكررون: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان البعض يقول: أستغفر الله العظيم. وكان البعض يردد كلمتي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة. فكيف تكون طريقة ذكر مولانا؟ فقال: إن ذكرنا هو: الله، الله، الله. لأننا اللهيون، نأتي من الله، ونعود إلى الله.

شعر (هزج)

نحن ولد الذات، ونذهب إلى الذات

فليبارك الأصحاب ذهابنا

وقد تركنا ما سوى الله، وأقبلنا على الله.

شعر (مجتث)

أفرغتُ جانبي من العالمين كليهما

لمَّا جاورَت الهاء لام اللهم

وعلى هذا النحو كان والدي بهاء الدين ولد -قدس الله سره- يسمع من الله دائمًا، ويتحدث عن الله، كما كان ذاكرًا لله. لأن الحق تعالى قد تجلى على جميع الأنبياء والأولياء باسم مخصوص. وتجلى علينا، نحن المسلمين، باسم الله، وهو اسم جامع الجامع.

روى الشيخ محمود عزب -رحمه الله- كذلك أن مولانا كان يردد: الله، الله، دائمًا في الليالي الطويلة. وقد وضع رأسه المبارك على جدار المدرسة، وكان يردد: الله، الله، بصوت عالٍ، إلى حد أن امتلأ ما بين الأرض والسماء بصوت صخب الله.

كذلك كانت حرم مولانا كرا -رضي الله عنها- تقطع قطعة من أستار الخيمة ذات يوم، وتحوكها على فرجية مولانا، في حين أنه كان قد ارتداها. ومعروف كذلك أن الثوب الذي يكون ملبوسًا، لا يحاك عليه. حتى لا يبتلعوا شيئًا، مثل: بذرة أو قشة أو قطعة ورق، لأنها قد تجلب الشؤم.

ربما جال بخاطر كرا خاتون أن شيئًا كان يقع في فم مولانا المبارك. فقال مولانا في الحال: لا تحزني، وحوكي بإحكام. فإنني أحفظ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] في فمي، وقد أحكمت إغلاق أسناني على الله.

---

(١) سورة الإخلاص، آية ١.

رُوي كذلك أن معين الدين بروانه كان قد جاء لزيارة مولانا ذات يوم، وكان مولانا قد توارى. وانتظر الأمراء الكبار مولانا حتى عجزوا. وجاوز الانتظار الحد، ولم يُظهِر مولانا وجهه المبارك لهم من دون شك.

جال بخاطر بروانه أن إعزاز علماء الدين ومشايخ اليقين واحترامهم يكون قوة الروح ومدد الحال للأمراء العادلين الذين هم أولو الأمر، وأنهم يسترشدون، ويهتدون إلى طريق السداد بفضل تلك العناية. فلماذا يهرب مولانا من الأمراء والملوك؟ يا للعجب! إن العلماء ومشايخ الزمان يبحثون عن اهتمام الأمراء بالقناديل، ويهتمون بذلك. وهو يفر منا، مثلما تفر الجنة من الجحيم، وكما يهرب الطير المُحلِّق من الفخ.

فجأة خرج مولانا من مكان الاجتماع في المدرسة، وأظهر نفسه لهم على هيئة أسد مزمجر، وحكى حكاية ضمن شرحه للمعارف، فحواها: نهض السلطان السعيد المسعود الغازي محمود سبكتكين -رحمة الله عليه- في زمان الشيخ أبي الحسن الخرقاني(١) -رحمة الله عليه، وقصد زيارة الشيخ. فأسرع الوزراء وأكابر أركان دولة السلطان سابقًا، ليبلغوا الشيخ بمقدم سلطان الإسلام.

---

(١) **أبو الحسن الخرقاني:** هو علي بن جعفر، من أهل خرقان التابعة لبسطام، ويعد من كبار صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتوفي ٤٢٥ هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩ م، المجلد الثاني، ص ٥٦١.

لم يتحدث الشيخ قَط، حتى وصل السلطان إلى باب بستان الخانقاه، ودخل حسن الميمندي، وطأطأ رأسه، وقال: حسبة لله، ليتعب الشيخ قدميه من أجل مصلحة الأصحاب، ورعاية لخاطر السلطان، حتى لا يختل ناموس السلطنة. ولم يتحرك الشيخ من مكانه أصلًا، حتى وصل السلطان إلى باب المقام. فسبقه الوزير، وقال: يا شيخ الدين، ألم تقرأ في القرآن المجيد: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]؟ إن إعزاز أولي الأمر وتعظيمهم من جملة الواجبات، خاصة مثل هذا السلطان ولي السيرة. فأجاب الشيخ: لقد استغرقت واستهلكت في أطيعوا الله، ولم أنشغل بأطيعوا الرسول حتى الآن، فكيف أبلغ أولي الأمر؟ فأذعن السلطان في الحال، وأصبح مريدًا مخلصًا، وخرجوا من عند الشيخ، وهم يبكون.

شعر (رمل)

يقول مطرب العشق في وقت السماع

إن العبودية قيد، والربوبية صداع

لقد اتضح أن العاشق حُجب بهذين الحجابين

العبودية والسلطنة

ملته مغايرة للاثنتين والسبعين مِلة

وعروش الملوك ألواح بالنسبة إليه

---

(١) سورة النساء، جزء من الآية ٥٩.

لا يدرك ملوك العالم شراب العبودية

بسبب الخسة

وإلا كانوا يخربون الملك من دون تمهل

وهم حائرون مضطربون مثل أدهم

وهكذا خرج معين الدين بروانه، والأمراء جميعًا، وهم يبكون، ويتحسرون.

روى الشيخ نفيس الدين السيواسي -رحمه الله- كذلك أن مولانا كان يسير في صحن مدرسته المباركة ذات يوم. وكان الأصحاب يقفون جميعًا، ويشاهدون جمال ذلك السلطان الكامل. وقال مولانا: أغلقوا باب المدرسة بإحكام.

فجأة جاء السلطان عز الدين مع الوزراء والأمراء والنواب لزيارة مولانا. فدخل مولانا حجرة، وأخفى نفسه، وأمر الأصحاب بأن يفتحوا الباب، حتى لا ينزعجوا.

لمَّا رجعت تلك الجماعة، كان أحدهم يضرب باب المدرسة بشدة، ويطرقه بحِدة. وكان درويش يريد أن يفتح الباب، فلم يأذن له مولانا، وسأل بنفسه: من الذي يطرق باب الرجال؟ فقال: عبد العباد أمير العالم. وأخذ يسجد حتى جاء مولانا، وقال له: يا أمير العالم، هل تعلم قل هو الله أحد؟ قال: نعم، أعلمها. قال: اقرأها، حتى أسمع. ولمَّا قرأها، قال له: إن الحق سبحانه وتعالى يقول: ليس لي أم ولا أب ولا ولد ولا نظير ولا شريك ولا شبيه. ومن ثم إنها أيام العمل وأوقات

الخدمة، فاجتهِد في الطاعة بوسع الطاقة، ولا تعتمد عليَّ. فإن العارفين بالله لهم صفات الله. وقرأ هذه الآية: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾(١).

شعر (رمل)

اعلم أنه لا أنساب في هذا الطريق

وأن الزهد والتقوى صارا محراب الفضل

وعلى هذا النحو انشغل شلبي أمير العالم طوال حياته بالعبادة والتقوى والزهد والسخاء. قال الشيخ نفيس الدين: لمَّا خرج شلبي أمير العالم من عند مولانا، قلق الأصحاب بسبب تلك الإشارة، وقالوا: ماذا سوف تكون عاقبتنا؟ وبكوا كثيرًا. فقال مولانا: لا، لا، ليس إلى هذا الحد. إنني كنت أريد ألَّا يغفل أمير العالم تمامًا، وتعلِّمه النفس المكارة التقاعس، وأن يسعى ويجتهد بقدر ما يستطيع، لأن الحق تعالى لا يحب الإنسان الكسول العاطل المتقاعس.

شعر (رمل)

المحبوب يحب هذا القلق

والسعي عديم الجدوى أفضل من الغفلة

أنا كافر، إذا أصيب أحد بضُرٍّ لحظة

في طريق الإيمان والطاعة

---

(١) سورة المؤمنون، جزء من الآية ١٠١.

من ينشغل بالتقوى والزهد والصلاح

يفلح في العالمَين

إذا علمتُ نصيبي من الرحمة اللا متناهية، أعلنه، وأفشيه، وأقول للخلق، فيتقاعسون عن العمل، ولا يتحركون أبدًا. وأنشد:

شعر (مضارع)

أنت الأمن المطلق، واعتقاد القاصرين بك

هو الخوف منك والرجاء فيك

رُوي كذلك أن مولانا كان قد أنس بصحبة الأصحاب ذات يوم في مكان الاجتماع، وكان المحبوب الرباني يعزف على الرباب. وكان مولانا يتحدث عن سر الرباب.

فجأة جاء شيخ المشايخ شرف الدين الموصلي -رحمه الله- الذي كان من كبار الفضلاء، مع عديد من الأمراء برسالة من قِبل بروانه. فدخل السيد مجد الدين المراغي، الذي كان من المقربين إلى مولانا، في عجلة تامة، وقال لعازف الرباب بتلقائية شديدة: اخفِ الرباب، فالأكابر يأتون.

ولمَّا شرفوا بزيارة مولانا، خرجوا. وودعهم الأصحاب الكرام حتى باب المدرسة. فأمر الشيخ شرف الدين، فمنحوا ألفَي درهم للسيد مجد الدين، تكون ثمنًا لنعال الأصحاب. ولمَّا شرح السيد مجد الدين الحال لمولانا، قال مولانا محتدًّا: لا كان تومانك، ولا كان ذلك الدرهم، ولا كانوا أولئك الموتى السخفاء الذين كانوا قد جاءوا!

كما أنه دخل من الباب في عجلة تامة، حتى إني ظننت أن نبيًّا مرسلًا

حَلَّ، أو أن جبريل الأمين نزل. وقال: نحن مشغولون بعملنا، وليذهب كل من يريد، فلماذا تتعجل أنت؟

شعر (هزج)

ما شأننا بهذه القصة: جاءت البقرة وذهب الحمار؟

انتبه، فإن الوقت لَطيف، واجتنب تلك العربدة

وفي اللحظة نفسها كشف السيد مجد الدين رأسه، وانحنى على قدم مولانا، واستغفر منتحبًا، فاعتنى به مولانا، وقال له: احمل هذه الدراهم إلى شلبي حسام الدين، حتى ينفقها على توفير مستلزمات الأصحاب.

كان السيد مجد الدين رجلًا مُنَعَّمًا، وصاحب يسار وخير، وكان قد جعل كل ما يملكه من عُروض ونقود فداء مولانا، حتى إنه كان يحتفظ بصندوقين أو ثلاثة صناديق وخزينة ملابس جاهزة تشتمل على: عمَامات الشاش الهندي، والفرجيات الهندبارية النفيسة، والثياب، والأحذية والنعال وغيرها. وكان قد أعدَّ من كل صنف دستتين أو ثلاثًا، ووضعها وكان ينعم بها على القوالين والناس في السماع أو في المناسبات الأخرى. وكان السيد مجد الدين يستعد، ويبذل العناية الموفورة في حق المذكور.

في عهد هولاكو خان -الذي كان قد هاجم بلاد الروم بجيش جرار، وخَرَّبها، ووقعت فترة عظيمة بين المسلمين- كان المذكور يمتلك ألف رأس غنم، واحتار للغاية: إذ ماذا يفعل بها؟ وإلى أين يحملها؟ فنهض، وجاء إلى مولانا، وشرح القضية. فقال له مولانا: لا تحزن أبدًا، وسأرسل

أسدًا حتى يحرس غنمك من شر الذئاب الجرباء. وهكذا اغتنم جيش المغول الغنم والمواشي كلها الموجودة في أنحاء قونية. ولم ينقص حَمَل من ماشيته أصلًا بعناية الحق.

كذلك كان مُنَعَّم قد حضر لملاقاة مولانا ذات يوم. فنهض مولانا، وذهب للسقاية، وتأخر. فتعقبه مجد الدين، حتى يدرك الحال. فوجد مولانا كان قد جلس في زاوية المبرز للمراقبة. طأطأ مجد الدين رأسه، وقال: ماذا تفعل يا مولاي؟ فقال: إن عفن هذا المبرز الممتلئ أفضل عندي كثيرًا من صحبة الأغنياء المحتضرين، لأن صحبة أهل الدنيا والأغنياء تظلم القلوب المنيرة، وتجعلها تخفق.

وفي الحال مزق ذلك السيد المُنَعَّم الثياب، وأصبح خادمًا ومريدًا، وبذل ممتلكاته كلها للأنساب والأصحاب، وارتدى الفرجية، وانقطع عن الخلق، وبلغ المقصود.

حكاية

روى الأصحاب العتقاء والإخوان الشفقاء، الذين كان كل واحد منهم شقيق وقته -رحمهم الله- كذلك أنه لمَّا كان جيش باجو قد التف حول قونية، وحاصرها، وأصاب اليأس الخلائق جميعًا، وكان بعضهم يطلب الحِلَّ من بعض. جاءوا إلى مولانا، واستغاثوا، وطلبوا المدد.

خرج مولانا من بوابة العبد، واعتلى التل الموجود خلف ميدان قونية، وانشغل بصلاة الإشراق. ويقولون: إن خيمة باجو كانت قد نُصبت أسفل ذلك التل. فشاهد بعض قواده شخصًا يرتدي ثوبًا أزرق،

وقلنسوة دخانية كان يعتلي التل، ويصلي في خشوع تام. وقد اضطرب العالم.

وفي ذلك الوقت كان جيش المغول جاهلًا بنور الإسلام، وأمان الإيمان والأَيْمان، بل إنهم كانوا قد هدموا المدارس والمساجد والمآذن في عديد من أنحاء مدن الإسلام. فعزموا على أن يرشقوا مولانا بالسهام؛ فقُيِّدت أيدي الجميع، ولم يستطيعوا جذب القوس مهما حاولوا! وكانوا يركبون الجياد، ويغيرون على التل، ويهمزون الجياد. ولَم يتقدم جواد منها خطوة.

وكان أهالي المدينة يتفرجون على هذه القدرة من أعلى البرج، وكان التكبير والصياح يصل إلى العيوق.

ولَمَّا حكوا هذه الحكاية لباجو، نهض بنفسه، وخرج من باب الخيمة، وطلب السهم والقوس، وأطلق سهمًا نحوه، فارتدَّ السهم، وسقط وسط الجند. وركب الجواد ثلاث مرات، وساقه. فوجد أنه لا يتحرك أبدًا. فترجل من شدة الغيظ والغضب، ومشى. فقُيِّدت قدماه بقدرة قادر كن فيكون، ولم يستطع الحركة. وقال: إن ذلك الرجل ملك الخالق في الحقيقة، وينبغي اجتناب غضبه. وكل مدينة وولاية يوجد فيها مثل هذا الرجل، لن يغلب أهلها منا.

كان مولانا يقول في حق المذكور كذلك مرات عديدة: إن باجو ولي، ولكنه لم يكن يعلم. ولمَّا شاهدوا تلك العظمة والكرامة قال باجو: إنهم لن يحاربوا أو يقاتلوا بعد اليوم. وحدث أنهم غادروا المدينة، ونزلوا في صحراء فلوباط.

جاء الأكابر جميعهم وأعيان المدينة لسلطان الإسلام، وقدموا إلى مولانا، وطلبوا العذر، وشكروه، وجمعوا أموالًا طائلة، وقدموا الهدايا من النقود والبضائع والمواشي والتحف الغريبة، وأذعنوا له، فقبلها باجو، وترك المدن. وسأل أكابر المدينة عن مولانا: أي شيخ هو؟ ومن أين؟ فحكوا له حكاية بهاء ولد، وخروجهم من بلخ من أولها إلى آخرها.

أمر باجو بأن يهدموا شرفات المدينة من أجل الناموس، ومن أجل خاطره، قائلًا: إنني قد أقسمت على ذلك. ولمَّا أقدم أكابر المدينة على هدم الشرفات، ضج أهل المدينة.

أخبر الأصحاب مولانا بتلك الحكاية، فقال: فليهدموها، وليتأكد القونيون أن مدينة قونية من برج وبدن محروسة ومحروزة، لا بهذا البرج والحصن المتين الذي يُهدم بأقل حكم، وأهون زلزال. وإذا لم تكن همة العارفين بالله، لكان ينبغي أن تُدَمَّر تمامًا مثل إقليم قوم عاد وثمود، ويصبح عاليها سافلها. وَلَكَان العالمون يبكون على أطلالها وزمانها.

شعر (رمل)

الشجعان هم المدد في العالم

في ذلك الوقت الذي يستغيث فيه المظلومون

الصديق المخلص شفوق غير مرتشٍ

في مقام العُسر وفي يوم الشدة

فامضِ، واطلب هؤلاء القوم أيها المبتلى

وانتبه، واغتنمهم قبل وقوع البلاء

إن عباد الحق رحماء صبورون

يتسمون بسمات الحق في إصلاح الأمور

كذلك كان مولانا يقول في كل وقت: فلتطلقوا على قونية بعد هذا «مدينة الأولياء»، لأن كل مولود يُولَد في هذه المدينة، يكون وليًا. وما دام جسد بهاء ولد المبارك ونسله في هذه المدينة، لا يُستل فيها سيف، ولا يعيش عدوها، ويهلك في العاقبة. وتكون آمنة من آفات آخر الزمان. ولو أن بعض نواحيها تُخَرَّب، وتندرس، وتنطمس، فإنها لا تنهدم تمامًا. ولو تُخَرَّب، فإن كنزنا مدفون فيها. كما أنشد:

شعر (مجتث)

لو أن التتار يُخَرِّب العالم بالقتال

فالخراب يحوي كنزك، فلماذا تتبرم؟

وفي عاقبة الأمر توجه العارفون إليه من العالم بأسره، وعَمَّت السعادة إلى حد أن الموتى يُهوَّسون بالبعث. وتجوب معانينا وأسرارنا العالم.

وقال أيضًا: ما دام يوجد في مدينة قونية قوم منكرون لأسرتنا، فلن يطمئن أهل هذه المدينة.

حكاية

اعترت درويش من ندماء الحضرة حال بسط، وقال على سبيل المطايبة: إن مولانا عجيب الشأن، لم يخشَ جيش باجو، ووقف للصلاة على ذلك التل في يوم يشبه يوم القيامة. فما أعجبها من شجاعة! وصار يقينًا أن مولانا كان بطلًا عظيمًا.

قال مولانا: أي والله. ألم يقل سلطاننا: أنا أشجع الناس؟ فأذعن الأصحاب جميعًا، وأثنوا عليه. وبدأ مولانا ينشد هذه القصيدة، وقال:

شعر (هزج)

إنني لا أعرف هذا الإيوان ذا التسع طيات، لا أعرفه ولا أعرف هذا النقاش الساحر، لا أعرفه.

كان الأصحاب يكتبون. حتى وصل إلى هذه الأبيات:

لقد صدر لي أمر من خان الخانات كلها

وأنا لا أعرف باجو وباتو لا أعرفهما

سواء أُظهِر الرومي أو أُخفِي التركي

فما العيب في أنني لا أعرف هولاكو، لا أعرفه.

إلى آخر القصيدة.

حكاية

رُوِيَ كذلك عن حرم مولانا كرا خاتون -رضي الله عنها- أنها قالت: غاب عنا مولانا ذات ليلة. وبحثت داخل أروقة المدرسة وخارجها واحدًا بعد الآخر، ولم أجده. وكانت الأبواب كلها مغلقة. وكنا قد تحيرنا جميعًا بسبب التفكير.

وبعد أن خلد الجميع إلى النوم، استيقظتُ فجأة، فرأيت مولانا كان قد وقف لصلاة التهجد. فلم أتحدث قَط حتى إتمام الصلاة. ولمَّا فرغ من صلاته وأوراده، نهضت، واقتربت منه، وطأطأت رأسي، واحتويت قدميه المباركتين، وكنت أمسح عليهما برفق، فوجدت أن قدميه المباركتين كانتا قد تغبرتا. وكنتُ أجد حصى ملونًا بين أصابعه، ورأيت النعل كان قد امتلأ بالحصى، فسألته عن تلك الحال في خشية تامة.

قال مولانا: كان هناك عارف في الكعبة المعظمة -عظمها الله وشرفها- وكان يتحدث عن محبتنا، وكنت قد ذهبت لصحبة ذلك الدرويش مدة، وذلك هو حصى الحجاز، فحافظي عليه، ولا تقولي لأحد. فكان يجول بخاطري: ما أحسنه من سفر عظيم وسير عجيب! وكنت قد اندهشت. وأنشد مولانا:

شعر (مضارع)

يسافر الرجال في الآفاق مثل الروح

ولا ينشغلون بالمنازل أو الجياد أو الجِمال

وجمعتُ الحصى كله، وطويتُ مقدارًا منه في ورقة في الصباح الباكر، وأرسلته إلى كَرجي خاتون التي كانت مريدة لمولانا، وأخبرتها بعظمة السير وطي الأرض. فازداد اعتقاد الملكة فيه، ومنحت عطايا؛ امتنانًا لذلك، لا يمكن وصفها.

رُوِيَ كذلك أن الشيخ محمود صاحب القران -عليه عناية الرحمن- حكى قائلًا: في تلك الوهلة التي كنت قد أصبحت فيها أنا العبد مريدًا جديدًا لمولانا، رأيت جماعة حجيج قدموا من ناحية الشام. وجاء شاب جميل الوجه -كان من أبناء سادة قونية- لزيارة مولانا، وأظهر عناية به تفوق الحد، وأحسن إلى الأصحاب فردًا فردًا بأنواع الهدايا.

وروى الشيخ محمود حكاية عجيبة للأصحاب، وقال: غلبني النوم ذات ليلة في طريق البادية، وتخلفت عن القافلة، ولمَّا استيقظت فجأة، وجدت أن القافلة كلها كانت قد مضت. ونظرت يميني ويساري، فلم تظهر ديار. وبكيتُ كثيرًا، واستغثتُ. ولم أكن أعلم إلى أي ناحية ينبغي عليَّ الذهاب.

وبناء عليه مضيتُ متعثرًا حتى قرب صلاة العصر، فرأيت من بعيد أن خيمة كبيرة قد نُصبت وسط الصحراء. وكان دخان شديد يتصاعد منها. فأسرعتُ إلى تلك الخيمة مثل المذهول، ولمَّا اقتربت منها، رأيت شخصًا مهيبًا قد وقف على باب تلك الخيمة. فسَلَّمت عليه في خشية وأدب، وأجاب: وعليك السلام. ادخل، واجلس، واسترح.

دخلتُ الخيمة، لأجد أنه كان يعد حلوى منزلية في قِدر. فقلت: أي ولي الله، من أين لك بمثل هذه الحلوى الساخنة، والماء اللطيف

البارد في مثل هذه الصحراء الموحشة، وفي مثل هذه الخيمة، وما هذه الحال؟ فلتشرحِ لي. قال: أيها الشاب، اعلم، وأدرك أن مولانا ابن بهاء الدين ولد -رضي الله عنهما- يعبر مرة كل يوم من هذه الناحية. وأنا من جملة مريدي ذلك السلطان، وأعد هذه الحلوى من أجله، لَعَلَّه يتناول قدرًا منها بعميم عنايته، فازدادت حيرتي.

لم تمر برهة، حتى رأيت مولانا يدخل من باب الخيمة. فتقدم هذا الرجل، وطأطأ رأسه، ووضع طبق الحلوى أمامه. فتناول مولانا منه مقدارًا من البندق، ومنحني مقدارًا أيضًا. فأمسكت بطرف مولانا، وقلت: من أجل الله، إنني من مدينة قونية، وصاحب عيال، وتخلفت عن قافلة الحجيج ولا أعرف الطريق. فقال: ما دمتَ مواطني، فلا تحزن أبدًا. وقال بعد ذلك: أغمِض عينيك. ولمَّا فتحت عينَي بعد لحظة، وجدتُ نفسي وسط القافلة.

شعر (رمل)

لو يتخلف عاشق عن القافلة

يأتي الخضر، ويرشده إلى الطريق

وحكيتُ هذه الواقعة لجميع الحجيج، وكتبتُ تاريخ اليوم، وصرتُ خادمًا ومريدًا مخلصًا في هذا المكان. وكشف الحجيج جميعًا رؤوسهم في وقت الوصول، والتحقوا بإرادة مولانا بإرشاد ذلك الشاب.

روى كذلك ملازمو الحضرة -كَثَّر الله أمثالهم- أن مولانا كان يَمُر بباب حَمَّام ذات يوم. فتعقبه الوقاد الحَمَّامي فجأة، وتضرع إليه بشدة،

وقال: إنني فقير، وصاحب عيال، ولا أملك شيئًا من متاع الدنيا، وأريد من دون شك أن يمنحني مولانا شيئًا. فقال مولانا: افتح فمك، ولمّا فتح فمه، وضع مولانا قبضته في فمه. فوضعها الوقاد في حجره بسرعة، ليجد عشرين دينارًا من الذهب الأحمر مضروبة ومسكوكة، وما زالت ساخنة!

وقد حكى ذلك الدرويش الوقاد للأصحاب كذلك قائلًا: مع أن لساني قد احترق من سخونة الدنانير، فإن حاجتي قُضيت. ولم يكن الوقاد يحتمل، وكان يريد أن يضج، ويثير العالم. فقال مولانا: لا، لا، لا تضج، ولا تحدِّث شخصًا عن هذا، وإذا احتجت إلى الفضة في وقت، تعالَ إلينا مرة أخرى.

روى كذلك كرام الأصحاب العظام(١) أن الملك شمس الدين الهندي -الذي كان مَلك مُلك شيراز- أرسل رقعة إلى أعذب الكُلَّام وألطف الأنام الشيخ سعدي(٢)، وطلب منه أن يرسل غزلاً غريبًا يحتوي

---

(١) أخطأ المؤلف في هذه الرواية، لأنه لم يكن هناك ملك يدعى شمس الدين بين ملوك الهند. بل كان هناك شخص آخر يدعى شمس الدين، كان صاحب الديوان، وممدوح سعدي، وقد تولى هذا المنصب ٦٧١ هـ. وقد مات الشيخ سيف الدين الباخرزي في ٦٥٨ هـ أي قبل أن يكون شمس الدين صاحب الديوان. كما أن سعدي لم يذهب إلى قونية.

انظر: الافلاكي، مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٢٦٦.

(٢) **الشيخ سعدي:** هو أبو محمد شرف الدين مصلح بن عبد الله بن مشرف، الشاعر والكاتب الإيراني -وقد لقبه أهل الأدب بأستاذ الكلام وملك الكلام والشيخ الأجل. تعلم في نظامية بغداد، وسافر إلى الشام والحجاز خطيبًا، ثم عاد إلى مسقط رأسه شيراز، وأقام فيها حتى وفاته، وتوفي بين سنتَي ٦٩٠ و٦٩٥ هـ. وقد جمعت مؤلفاته في كتاب «كليات سعدي» ويشتمل على كتابه النثري «گلستان»، وكتاب «البوستان» في قالب المثنوي والغزليات أيضًا. إضافة إلى ذلك له منظومات في سائر القوالب الأدبية، مثل القصيدة والقطعة والترجيح بند بالفارسية والعربية.

انظر: ويكي پديا دانشنامهٔ آزاد fa.wikipedia.org

على معانٍ عجيبة لأي شخص كان، حتى يجعله غذاء روحه.

كتب الشيخ سعدي غزلًا جديدًا لمولانا -كان قد ذاع في شيراز في تلك الأيام، وفتن به الخلق تمامًا- وأرسله. وهذا هو ذلك الغزل:

شعر (منسرح)

كل نفس يصل إليها صوت العشق من الشمال ومن اليمين

ونحن نمضي إلى الفلك، فَمَن يقصد المشاهدة!

وذكر في آخر الرقعة أن سلطانًا مبارك القدوم قد ظهر في إقليم الروم، وأن هذا الغزل من نفحات سِرِّه، وأنه لم يُقَل كلام أفضل منه، ولن يقال. وإنني شغوف بأن أذهب لزيارة ذلك السلطان في ديار الروم، وأعفِّر وجهي بتراب قدمه المباركة. وليعلم الملك ذلك.

بمجرد أن طالع الملك شمس الدين ذلك الغزل، بكى بكاءً يفوق الحد، وأثنى عليه. وأعَدَّ مجمعًا عظيمًا، وسمعوا ذلك الغزل. وأرسل هدايا كثيرة للشيخ سعدي امتنانًا.

وحدث أن قدم سعدي إلى قونية في عاقبة الأمر، وشَرُفَ بتقبيل يد مولانا، وكان موضع عناية الرجال.

ويقولون: إن المَلك شمس الدين كان من جملة المعتقدين في الشيخ سيف الدين الباخرزي -روح الله روحه. فكتب ذلك الغزل في ورقة، وأرسله مع هدايا عجيبة إلى الشيخ، ليوضِّح الشيخ سِرَّه.

حضر جميع أكابر مدينة بخارى[1] في خدمة الشيخ. ولمَّا طالع الشيخ ذلك الغزل بتمعن تام، وإمعان نظر، صاح صيحة، وفقد الصواب، واضطرب إلى حد أنه مزق ثيابه، وصرخ صراخًا لا يمكن وصفه. وقال بعد ذلك: ما أطيبه من رجل لطيف! وما أحسنه من سلطان دين! وما أجمله من قطب في السماء والأرض!

الحق أن سلطانًا غريبًا ظهر في العالم. وحقًّا ثم حقًّا إن جميع مشايخ الماضي -الذين كانوا أصحاب مكاشفة- تحسروا على مثل هذا الرجل، وكانوا يرجون الحق أن يحظوا بتلك السعادة، ولم يتيسر لهم ذلك. وساعدت تلك السعادة أهل آخر الزمان. كما أنشد:

شعر (مضارع)

الحظ الذي طلبوه في المنام في القرن السابق

افتقده أهل الزمان في النهاية

والله، والله، ينبغي انتعال نعل حديدي، والاتكاء على عصا حديدية، والمضي في طلبه. وأصحابنا هم: كل من يستطيع أن يسلك الطريق، ويحظى بالطاقة البدنية، ويقوى على السفر، ينبغي عليه أن يذهب لزيارة ذلك السلطان من دون أي تعلل، وأن يدرك تلك النعمة والرحمة، لأن بهاء ولد وآباءه الكرام، وأجداده العظام، كانوا من كبار

---

(١) **بخارى:** عاصمة ولاية بخارى، وتعد خامس مدن أوزبكستان سكانًا، تجاور نهر زرافشان، ويبلغ عدد سكانها ٢٦٣ ألف نسمة. تقع بخارى على طريق الحرير، واتسمت بأنها مركز تجاري هام، إضافة إلى كونها مركزًا للدراسة والثقافة وعلوم الدين، يتألف سكانها من الطاجيك والأوزبك.
ar.wikipedia.org

المشايخ، وعظماء الشأن، والصِّدِّيق الأكبر جدهم التاسع -رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد صرتُ ضعيفًا للغاية، وهَرِمًا، ولا أحتمل مشقة السفر، وإلا كنت أُقدم على زيارة تلك الحضرة مشيًا على الهام، لا على الأقدام.

كان الشيخ مُظهر الدين ولد الشيخ الأكبر حاضرًا في ذلك المجلس، فالتفت الشيخ إليه، وقال: يا مظهر الدين، أرجو أن تنور عينيك بلقاء ذلك المَظْهر المُطَهَّر المبارك، وتبلغه سلامنا، وتحيتنا، إن شاء الله وحده العزيز.

سافر الشيخ مُظهر الدين إلى بلاد الروم بعد وفاة أبيه وسعد بسعادة زيارة تلك الحضرة، وأبلغ مولانا سلام أبيه واشتياقه، وأنس به. وأقام في قونية بضع سنوات، ثم سافر إلى بخارى. ويقولون: إن أحد أبنائه مات في قونية.

رُوي كذلك أنه لمَّا انتشر هذا الغزل، وذاع خبر ظهور مولانا في العالم، كان قدوم أكابر بخارى والدشت من العلماء والشيوخ لا ينقطع. وكانوا يزورون تلك الحضرة، ويستخرجون الدُّرَّ من بحر المعاني ذلك. ويقولون: إن عشرين شخصًا قدموا من بخارى وسمرقند[1] ذات يوم، والتحقوا بإرادته، وأقاموا في قونية.

روى فضلاء الأصحاب كذلك أن عالِمًا كبيرًا كان قد جاء لزيارة

---

(١) **سمرقند:** هي مدينة في أوزبكستان، يبلغ عدد سكانها ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، وهي ثاني كبرى مدن أوزبكستان.

ar.wikipedia.org

مولانا ذات يوم، وسأله عدة أسئلة على سبيل الامتحان قائلًا: هل يمكن إطلاق «نفْس» على الله تعالى أم لا؟ وإذا كان يمكن إطلاق «نفْس» عليه، فما معنى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾(١)؟ وإذا لم يكن جائزًا إطلاق «نفْس» على من لا علامة له، فلماذا قال عيسى -عليه السلام: ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾(٢)؟ ويبدو هذان المعنيان متضادين.

وكذلك إذا جاز إطلاق «شيء» على الحق فلماذا قال: ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ ﴾(٣)؟

قال مولانا: إن معنى «ولا أعلم ما في نفسك»؛ أي ما في علمك وغيبك. وعند أهل الكشف: أي ما في سِرِّ سِرِّك. يعني تعلم ما في سِرِّي، وسِرِّ سِرِّي، ولا أعلم ما في سِرِّ سِرِّك. ويقول أرباب الباب: معناه «تعلم ما كان مني في الدنيا، ولا أعلم سِرَّ ما يكون منك في الآخرة».

وأما إطلاق «شيء» على الحق تعالى فجائز. كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ﴾(٤). أي الله أعظم بالشهادة. ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ ﴾(٥) يوم القيامة. ومعنى قوله تعالى: كل شيء هالك؛ أي كل شيء مخلوق هالك سوى الخالق تعالى؛ أي إلا هو. والأصل في الباب أن المستثنى منه هو الله، والله أعلم. وفي اللحظة نفسها صار ذلك العالم خادمًا مخلصًا، ومريدًا محققًا، وارتدى الفرجية.

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٨٥.

(٢) سورة المائدة، جزء من الآية ١١٦.

(٣) سورة القصص، جزء من الآية ٨٨.

(٤) سورة الأنعام، جزء من الآية ١٩.

(٥) سورة الأنعام، جزء من الآية ١٩.

وكذلك كانت جماعة من المستعربة قد جاءت ذات يوم، فتحدث مولانا بالمعارف جميعها والأسرار في ذلك اليوم بالعربية، وختم المعاني بهذه الكلمات: الآدمي كالإناء أو كالقصعة، فغَسْل ظاهره واجب، وغَسْل باطنه أوجب، وغَسْل ظاهره فرض، فَغَسْل باطنه أفْرَض، لأن شراب الله لا يُصَب إلا في إناء طاهر. فأمرنا بتطهير الإناء، لأن محل الشراب باطنه لا ظاهره.

شعر (رمل)

طَهِّرا بيتي بيان واضح

وهي كنز النور، ولو أن طلسمه التراب

ولو يكون الجسد موضع الحسد، فإن الله

طَهَّر ذلك الجسد جيدًا

وقال أيضًا: كل من مات نفسه وشيطانه، وطُهِّر عن الأخلاق الذميمة، وصل إلى الله. حاشَ لله، بل قد وصل إلى طريق الله. إذا كان يعرف أنه ما وصل إلى الله، وقد وصل إلى طريق الله، فهو ضال عن طريق الله.

وقال شخص كذلك في حضرة مولانا ذات يوم: جميع الأنبياء والخواص ارتعدوا من هيبة الموت وشدتها. قال مولانا: حاشَ لله، هل يعرف الناس ما الموت؟ الموت عند الرجال رؤية الحق، كيف يهربون من رؤيته؟!

رُوي كذلك أن مولانا قال في أثناء حديثه عن المعرفة: يحسب

الناس أن المخاطرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[1]، هي الوقوع من السطح العالي، لا، بل لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة من استماع كلام غير إمامك. فإذا لم يجز استماع كلام غير مرشدك، وإن كان كلامًا واضحًا، فالاشتغال بالوسوسة الباطلة أخزى، وأفضح، وأبطل.

قال بعد ذلك: دعا المصطفى -عليه السلام- صحابيًّا ذات يوم، وكان الصحابي يصلي، فلمَّا أتم الصلاة، نهض، وجاء. فعاتبه الرسول قائلًا: لماذا تأخرت؟ قال: كنت أصلي. فقال له الرسول: ألم أكن أستدعيك؟ الأبرار لا تحتمل الانتظار.

رُوي كذلك عن الأصحاب الخبراء أن مولانا كان يدعو هذا الدعاء: اللهم أنت الأزلي الأبدي القديم، هذه سنة جديدة، أسألك العصمة فيها من الشيطان الرجيم، والعون على هذه النفس الأمارة بالسوء، والاشتغال بما يقربني إليك، والاجتناب مما يبعدني عنك، يا الله يا رحمن يا رحيم، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام، كلما كانت تحل غرة شهر محرم -الذي هو بداية العام الهجري عند العرب- في وقت رؤية الهلال.

روى كذلك ملك المدرسين الشيخ شمس الدين المارديني -رحمة الله عليه- أن شخصًا من المحبين كان قد أصيب بالحمى ذات يوم. فجاء إلى مولانا، واشتكى من الحمى. فقال له مولانا: اكتب، واطرح، وامنحها إلى المحموم، حتى يُشفَى بفضل الحق. وهذا هو ما أملاه: يا أم

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ١٩٥.

مِلْدم، إن كنتِ آمنتِ بالله الأعظم، فلا تُصَدِّعي الرأس، ولا تُفْسِدي الفم، ولا تَأْكُلي اللحم، ولا تشربي الدم. فتحوَّلي عني، أو عن فلان، إلى من أشرك مع الله إلهًا آخر. وإني أقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ولمَّا شرب المحموم من ذلك الماء، شُفي بعون الله تعالى.

رُوي كذلك أن مولانا كتبها على ثلاثة فصوص ثوم -مع أن البعض لم يستطع تناولها- أو ثلاث حبات لوز، ووضعها في طعام المحموم، فشُفي خلال ثلاثة أيام. وذلك هو أذان أُذن الإنسان.

كذلك ورد عن مفخر الأولياء مولانا سراج الدين منشد المثنوي، الأستاذ الجامع للكتاب -رحمه الله- أنه حكى أن مولانا كان يردد هذه الأبيات الثلاثة دائمًا، وكان يعلمها لشلبي حسام الدين. وقال لي: احفظها، وأنا حفظتها عن شيخي السيد برهان الدين محقق الترمذي -قدس الله سِرَّه.

شعر (بسيط)

الروح من نور عرش الله مبدأها

وتربة الأرض أصل الجسم والبدن

قد أَلَّف الملك الجبار بينهما

ليصلُحا لقبول العهد والمِحَن

الروح في غربة والجسم في وطن

فارحم غريبًا كئيبًا نازح الوطن

وكذلك كان يضطرب، وينشد:

شعر (هزج)

لو يمزح أحمق، قل له: امزح

فليس في الإمكان معشوقة ألطف من هذه

حكاية

رُوي كذلك أن مولانا كان يخرج ذات يوم مع بعض الأصحاب من بوابة «اسب بازار»، وكان يذهب لزيارة مرقد سلطان العلماء بهاء الدين ولد -رضي الله عنه وأرضاه. فشاهدوا خلائق لا حصر لها، قد اجتمعت حول شخص. وتقدم بعض الشباب من تلك الجماعة مسرعين، وصاحوا قائلين: حسبة لله، إنهم يعاقبون شخصًا، فليشفع له مولانا. إنه صبي رومي.

قال مولانا: ماذا فعل؟ قالوا: لقد قتل أحدهم، وهم يقتصون منه. فتقدم مولانا في الحال، وطأطأ الجلادون والعسس رؤوسهم جميعًا، ووقفوا بعيدًا. وبسط مولانا طرف فرجيته المباركة عليه.

شرح عسس المدينة الحال لسلطان الإسلام. فقال: إن مولانا هو الحاكم، لأنه يغيث مدينة لو تستغيث، وتتشفع به. والجميع فداؤه. فمن يكون الرومي؟

أخذه الأصحاب، وحملوه إلى الحَمَّام، وخرجوا من الحمام، واصطحبوه إلى المدرسة. فآمن على يد مولانا، وأسلم. وفي اللحظة

نفسها عقدوا مجلس قراءة القرآن، وأقاموا مجلس سماع عظيمًا. وقال له مولانا: ما اسمك؟ فقال: ثريانوس. قال مولانا: فلتطلقوا عليه بعد اليوم علاء الدين ثريانوس.

وفي عاقبة الأمر بلغ مكانة ببركة نظر عناية تلك الحضرة الواهبة للحياة، وكان المشايخ الكبار، والعلماء والأخيار يحتارون معها في شرح معرفة ذلك المذكور، وسيره، وكانوا يتعجبون من مزاحه ولطائفه.

سأل مولانا الشيخ علاء الدين المذكور ذات يوم: ماذا يقول هؤلاء القساوسة وأحبار النصارى، هداهم الله، في حق عيسى -عليه السلام؟ فقال: يطلقون عليه إلهًا. قال: قل لهم بعد هذا: إن محمدنا أكثر ألوهية، محمدنا أكثر ألوهية، محمدنا أكثر ألوهية.

ذات يوم كذلك شَنَّعَت جماعة من الفقهاء على علاء الدين ثريانوس عند ملك القضاة سراج الدين الأرموي -رحمه الله، وقالوا: إن علاء الدين ثريانوس يقول بجد: إن مولانا هو الله. وذلك غير جائز في قانون الشريعة النبوية، بل إنه كفر!

أرسل القاضي عدة مُحضِرين، وأحضروه. قال له القاضي: أنت الذي يطلق على مولانا الله؟ قال: حاشَ وكلا، بل إنني أقول: مولانا عارف بالله. ألا ترى ماذا صنع بي؟ فقد كنت مجوسيًّا مطرودًا وعنيدًا، فأنعم عليَّ بالعرفان، وجعلني عالِمًا، ووهبني الحكمة، وجعلني عارفًا بالله، وأوصلني من تقليد الشهادة، إلى تحقيق المعرفة بالله. وأصبحت

مقولة: ومن عرف نفسه، فقد عرف ربه[1]، نقد وقتي. ولا يستطيع شخص معرفة الله، ما لا يكون الله في خاطره، وهذا هو الدليل القطعي.

شعر (مضارع)

ما دام الشخص بلا عقل، فإنه لا يعرف العقل يقينًا

ومن ثم أَدْرِكْ مَن هذا، ومَن يكون العارف بالله!

إن النحوي يعرف النحوي، والفقيه يعرف الفقيه، والجاهل لا يعرف العالم أبدًا، والأعمى لا يرى الشمس، ولا يمكن أن تكون هناك ألوهية من دون إله. أخرج بصفاتي إلى خلقي.

كما أن مولانا يجعل الجاهل عالِمًا ببركة صحبته وتربيته له، ويصنع الفقيه والنحوي والمنطقي، وتتبدل حاله بفضله، وصحبة مولانا كذلك تجعل نفْس الجاهل عالِمة أيضًا بنَفَسه المبارك. ويجعله عارفًا، ثم يجعله عاقلًا، ويجعل العقلاء عشاقًا أيضًا. لا، بل إنه يفعل شيئًا، لا يستطيع أي شخص فعله. ألا ترى في النهاية؟

إن دانقًا من الإكسير يجعل النحاس الصدئ ذهبًا خالصًا في علم

---

(١) قال ابن القيم الجوزية: «من عرف نفسه عرف ربه» كلام مشهور وورد على هذا النحو: «يا إنسان، اعرف نفسك تعرف ربك»، وفيه ثلاثة تأويلات، التأويل الأول: أن من عرف نفسه بالضعف والعجز، عرف ربه بالقوة والقدرة، ومن عرفها بالذل والجهل، عرف ربه بالعز والعلم. والتأويل الثاني: أن من نظر إلى صفات نفسه مثل القدرة والإرادة والكلام والمشيئة والحياة، عرف أن من وهبه ذلك أولى به. والتأويل الثالث: أن هذا من باب النفي، فبما أنك لا تعرف نفسك ولا حقيقتها ولا ماهيتها ولا كيفيتها، فكيف تعرف ربك؟

انظر: عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، ص ٤٦٠-٤٦١.

الكيمياء. ويحوِّله عن طبيعته السابقة. كما أن العارف الذي تحول عن طبيعته الأولى، لو يتخلص من أنيته، ويمتلئ بنور الله، يجعل نحاس الوجود ذهبًا، وينيره، ويوصله إلى بحر: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[1]. ولا يكون هذا عجيبًا أو غريبًا أبدًا.

خجل العلماء جميعًا والفقهاء، واستحوا، ولمَّا ذكر علاء الدين ثريانوس واقعة القاضي والفقهاء لمولانا، ابتسم، وقال: ينبغي أن تقول للقاضي: وا حسرتاه عليك، إذا لم تصبح إلهًا.

وكانت جماعة من أرباب التصوف تتدخل، وتعاتبه قائلة: لماذا تطلق على مولانا الله؟ فقال: لأنني لم أجد اسمًا أسمى من الله، وأعلى منه، حتى أطلقه عليه. وإذا كان هناك شيء آخر، كنت أطلقه عليه أيضًا.

شعر (مضارع)

أخجل من العشق، لو أطلقه على البشر

وأخشى الله، أن أقول: هذا هو الله

وقد أجازوا للمريد المخلص في طريقة أهل الحقيقة أن يطلق على شيخه أي شيء، ولا لوم عليه.

قال أخي أحمد -الذي كان من رجال الزمان المعتبرين- لعلاء الدين ذات يوم: لقد قرأتُ حِمل بعير من الكتب، ولم أجد فيها أي إباحة للسماع، ولم أسمع عن وجه للرخصة، فبأي دليل تبتدعون هذه البدعة؟ فأجاب علاء الدين: قرأ «أخي» حِمل بعير من الكتب، ولم يعرف.

---

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية ١٠٩.

ونحن بحمد الله تعلمنا مثل عيسى، وأدركنا السر.

رُوي كذلك عن الشيخ محمود النجار -رحمه الله- أنه قال: سأل علاء الدين مولانا ذات يوم: هل المسح على ظهر القدم جائز في أيام الشتاء؟ فقال: جائز لك. وسأله أيضًا: ما معنى ما يردده الناس دائمًا من أن مقام الرجال بجوار التنور؟ فقال مولانا: معناه أن كل من سعى في أيام الصيف، واحتاط، مكانه بجوار التنور والمستراح في أثناء الشتاء لا جرم. وكل من تقاعس بسبب التكاسل، ولم يسعَ، ولم يبذل ما في وسعه، ولم يجتهد، بقي مسكينًا تعسًا في شدائد الشتاء، وانتحى عن التنور. وعلى هذا النحو فإن مثال هذا العالم وذاك العالم مثل العاقل تكفيه الإشارة.

حكاية

روى مفخر الأبرار الشيخ محمود النجار -رحمه الله- أن مولانا التفت بوجهه المبارك إلى أصحابه ذات يوم، وقال: وا أسفاه، إن أهل قونية يملون سماعنا المفعم بالذوق، ويطعنون فينا، وينكرون سعادتنا هذه وسرورنا، ويكفرون بنعمة الحق مثل أهل سبأ. ويَبْلغني أنهم يُشَنِّعون علينا. فليصيبهم مالك يوم الدين بالغم والاضطراب جزاء كفرهم وشؤم طغيانهم، حتى يصبحوا عاجزين وفقراء جميعًا. وفي عاقبة الأمر يتركون العيال والأسباب، ويجلون عن الوطن، وتصبح أملاكهم وضياعهم خرابًا يبابًا في يد المستبدين. ويهلك أغلب الأغنياء وأبناء الناس في هذه الديار بعِلَّة القلة.

ولمَّا يتوبون، ويستغفرون، ويبجلون أولادنا وأعقابنا وأحفادنا باعتقاد تام، تعمر مدينة قونية من جديد، بفضل البارئ تعالى. ويكون

أهل ذلك الزمان محبين للسماع، وأصحاب ذوق. ويطوي عالم العشق العالم بأسره. ويعشق جميع الناس كلامنا. ويرتفع شأن هذه الأسرة، وترتقي. وتتقدم مشيئة الله، وينتصر أصحابنا على العالمين بالقال وبالحال أيضًا. ويعلم أهل العناية -إن شاء الله تعالى- سِرَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(١).

رُوي كذلك أن مولانا كان قد ذهب ذات يوم لزيارة شيخ المشايخ، نادرة الزمان ملك المحدثين، الشيخ صدر الدين -رحمه الله، فاستقبله الشيخ بتعظيم تام، وأجلسه على سجادته، وجلس أمامه على ركبتَي الأدب، وأخذ يراقب. وسبَّحا، وساحا في بحر الحضور المفعم بالنور زمنًا.

سأل درويش -كان مجاورًا لحضرة الشيخ، وكان قد زار الكعبة عدة مرات، وأدرك صحبة مشايخ الربع المسكون، وكانوا يطلقون عليه معروف حاجي الكاشي- مولانا: ما الفقر؟ فلم يُجِب قَط. غضب الشيخ غضبًا شديدًا، وكرر السؤال ثلاث مرات. ولم يتحدث مولانا قَط.

نهض مولانا، ومضى، وودعه الشيخ حتى الباب الخارجي. ثم عاد مرة أخرى، وقال في غضب شديد: أيها الشيخ الخام، وأيها الطائر الذي لم ينبت له ريش بعد، أي مجال للسؤال والكلام في ذلك الوقت؟ لقد أسأت الأدب. وقد أجاب عن سؤالك إجابة صائبة كذلك، وأنت جاهل. ومن ثم كن حاضرًا في وقتك، فقد طُعنت من عالم الغيب.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٢٥٥.

قال الكاشي: وماذا كان جوابي؟ قال مولانا: جوابك: الفقير إذا عرف الله كَلَّ لسانه؛ أي إن الدرويش الكامل لا يتحدث أبدًا في حضور الأولياء لا باللسان ولا بالقلب. أي إن: إذا تم الفقر فهو الله. كما أنشد:

شعر (رمل)

نقل الخبر أمام المبصرين خطأ

فذلك دليل غفلتنا ونقصاننا

وصار الصمت أمام المبصر منفعة لك

ولهذا جاء الخطاب: أنصتوا

بعد اليوم الثالث قدم الرنود إلى بستانه، وقتلوه، وسرقوا كل ما ملكه. نعوذ بالله من قهرهم ونهرهم.

وكذلك سأل درويش مولانا: من العارف؟ فقال: العارف هو الشخص الذي لا تُكدِّر مشربه الصافي أي كدورة، والعارف لا يتغير، وكل كدورة تصل إليه، تصفو به. كما أنشد:

شعر (هزج)

كيف يستقر القش في الماء الجاري أيها الحبيب؟

وكيف يستقر الحقد في الروح والنفس أيها الحبيب؟

روى عزيز كذلك أن مولانا طلب محبرة وقلمًا من الأصحاب ذات يوم، وكتب سطرًا عريضًا على جدار المدرسة فحواه: إن الصوم عن غذاء الروح حرام. والله أعلم.

وأمر أيضًا بكتابة: دليل لذة المعشوق دمع العاشق، وهو معجزة الأنبياء -عليهم السلام.

شعر

من يَهْوَك، اهْوَه

ومن يطلبْك، اطلبْه

يقولون: إنه كان يقول في تفسير هذه الآية: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾(١) ذات يوم: خلقني لخدمته، ويهديني لآداب الخدمة. وفسر الآية ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(٢)، أي في أصلاب الآباء، وأرحام الأمهات.

روى كذلك مولانا فخر الدين الأديب -رحمه الله- وهو من أفاضل أصحاب مولانا أن مولانا كان يشرح هذا الحديث في محفل عظيم: قال النبي -صلى الله عليه وسلم: ما رأيت الله إلا بلباس أحمر. ولم يكن هناك مجال لأي شخص للحديث، وكان الجميع قد احتاروا في ذلك الشرح.

وقال في رواية أخرى: ما رأيت ربي إلا في حلة حمراء. واضطرب، وأنشد هذا الغزل:

شعر (هزج)

هناك نور يتخلل الشعر الأحمر

أسمى من البصر ومن الروح أيضًا

---

(١) سورة الشعراء، آية ٧٨.

(٢) سورة الشعراء، آية ٢١٩.

أتريد أن تتحد معه!

فلتنهض، ولتمزق حجاب النفس

صارت تلك الروح صورة لطيفة

ذات حاجب وعين ولون أسمر

ظهر الله القدوس

في صورة المصطفى النبي

وصورته تلك فناء للصورة

وعيناه مثل يوم الحشر

كلما كان ينظر إلى الخلق

كانت مائة باب تُفتَح من عند الله

ولمَّا فنيت صورة المصطفى

صاح العالم قائلًا: الله أكبر

وقال: إن ارتداء الثوب الأحمر في المنام، أو رؤية الحُمرة هي عيش وفرح، ورؤية اللون الأخضر زهد، ورؤية اللون الأبيض تقوية، واللونان الأزرق والأسود مأتم وغم والله أعلم.

رُوي كذلك أن مولانا قال في أثناء حديثه عن المعرفة في مجمع بروانه في حضور الصدور وأكابر الجمهور: الله تعالى موجود عند الناظر في صنعه، مفقود عند الناظر في ذاته، لا يصل إلى غير الله إلا بالصبر عليه. الله أظهر من الشمس، فمن طلب البيان بعد العيان فهو في الخسران.

شعر (رمل)

كل من يطلب الدليل على وجود الحق

فهو خاسر وأعمى وذليل

كل من ليس له مقصود ليس له وجود، وإذا كان له وجود، فإنه لا يكون إلا من أجل عقوبة.

يقال: إنهم كانوا يتحدثون عن السماع في حضرة مولانا -قدس الله سره. فقال: امتلِك أهلية السماع أولًا، عندئذ اسمع. وقد جعلتُ الشكر للأنف البارحة، فلم تسمع أنفي الشكر، ولم تكن مستعدة له.

شعر (رمل)

ينبغي عليك الاستعداد للجنة أولا

حتى تُعَمَّرَ في الجنة

إنك تذهب إلى منجم من دون استعداد

فلا تجده يحتوي على حبة

لو تريد ألَّا تُدفَن في التراب، فِرَّ إلى النور، فالنور لا يسري تحت التراب.

شعر (رمل)

تريد النور، استعد للنور

تريد الحور، كن أطهر من الحور

ما دمت لا تصبح طاهر القلب مثل جبريل

فكيف تجد السبيل إلى الرجال؟

وقال: لو أكون ميتًا، وينظر إليَّ، أفضل من أن أكون حيًّا، ولا ينظر إليَّ.

شعر (رمل)

أموت وينظر الحق إليَّ، أفضل من أن أحيا ويطردني ويَرُدَّني

رُوي أن مولانا كان يدعو للأصحاب دائمًا قائلًا: ليحفظكم الله تعالى من القضاء الظاهر! فسأله الأصحاب عن هذا المعنى، فقال: القضاء الظاهر هو صحبة الأغيار وغير أبناء الجنس. والله، والله، إن الصحبة عزيزة. فلا تصاحبوا غير أبناء الجنس. كما أنشد:

شعر (رمل)

وا حسرتاه على صاحب من غير أبناء الجنس وا حسرتاه!

فابحثوا عن جليس طيب أيها الأكابر

إذا لم ترغب في أبناء الجنس

فأنت مثل الدب في فم الثعبان

وقال: يقول مولانا سلطان الفقراء شمس الدين التبريزي -عظم الله ذكره- في هذا المعنى: إن علامة المريد المقبول هي أنه لا يستطيع صحبة الغرباء، ولو يصاحب غريبًا بغتة، يجلس وكأنه منافق في مسجد، أو طفل في مكتب، أو أسير في سجن.

وكذلك كان مولانا يشرح المعارف ذات يوم في المدرسة. وكان

أكابر المدينة حاضرين. وقال: إنني لم أكن مسرورًا قَط بغرض، أو مغرورًا بعوض.

شعر (منسرح)

لو يعرك الفقر أذني عند الموت

فإنني لا أبيع الحرية بالعبودية

إنني لم أبلع طُعم الطمع، ولقد كانت القناعة زادي، والفقر حرفتي طوال أربعين عامًا.

وقال بعد ذلك: كل من يدَّعي كمالًا وجمالًا بالفعل أو بالقول، ويتكبر، ويزهو، فإنه يقول: أنا الحق على قدر حاله في تلك الصفة. إلا الكاذبون، فإنهم يلحقون بفرعون وجنسه.

لكن الصادقين والأعزاء الذين تتحقق لهم تلك الدعوى، فإنهم يطلون ذات يوم بذلك الكمال الذي يدَّعونه -كما تتحقق حقيقة الحقيقة للعالمين. كما أنشد:

شعر (رمل)

لعنة الله على تلك الأنا في العقب

ورحمة الله على هذه الأنا أيها المحب

رحمة الله على ذلك العمل في الوفاء

ولعنة الله على هذا العمل في القفا

روى كذلك الأصحاب الذين استووا في المسالك الرَّويَّة، والمواقف السَّويَّة، وفي مركز الصورة المعنوية أن مولانا كان قد استغرق ذات يوم في بسط المعارف، ونشر أسرار اللطائف، وكان يتحدث عن مناقب منصور الحلاج -قدس الله سره العزيز، ويقول في آخر الكلام: إن سبب صلب المنصور أنه قال ذات يوم: إذا كنت أدرك محمدًا، كنت أُغَرِّمه.

وحدث أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمَّا وصل إلى حضرة العزة في ليلة المعراج، دعا لمؤمني الأمة فحسب، فلماذا لم يدعُ للجميع؟ ولماذا لم يقل: اغفر للجميع؟ وأراد المؤمنين. وفي الحال تمثل له المصطفى -عليه السلام- وتجسد، ودخل من الباب، وقال: ها قد جئت، فكيف تُغَرِّمني؟ قل. وقال صلى الله عليه وسلم: نحن نطلب ما نطلبه بأمر الحق، وقلبنا مقر حكمه، ولقد صار ظاهرًا ومعصومًا من غير إرادته وحكمه. فإذا كان يقول: ادعُ للجميع، كنت أدعو للجميع، لكنه لم يقل: ادعُ للجميع، بل قال: ادعُ للمؤمنين.

خلع المنصور عمامته؛ أي إنني أقف لسداد الغرامة. فقال الرسول: إلا الرأس، فأنا لا أرضى بالعمامة.

وفي اليوم التالي، وقعت تلك الحادثة، وتعلل المنصور، وكان يقول على المشنقة: إنني أعلم من أين هذا، ومشيئة من هذه، وأنا لا أخالف مشيئته. وعلى هذا النحو قامر برأسه، ولم يشح بوجهه عن سر العالم ذلك.

والعاشقون الصادقون لا يخالفون أوامر مشايخ الدين والعارفين بسر اليقين. العارف معدن علم الله، مُرضِع أرواح الطالبين بنفسه

صُحُف أسرار رب العالمين بروحه، العارف وإن كان بدويًا وحشيًا فهو معدن العقل والأدب.

رُوي كذلك أن مولانا كان يسير في صحن المدرسة المبارك، ويقول: باسم الله الذي لا يُغْلَب من تمسك به، ولا يخسر من توكل عليه، باسم الله على توبتي، باسم الله على سرور قلبي، باسم الله على سكري وشكري.

حكاية

روى كذلك ملك الخلفاء، ولي الله في الأرض المولى الكابي -رحمة الله عليه- الذي كان من الأصحاب الكبار، والأبطال العظماء؛ في ولاية دانشمندية قائلًا: وجدنا مصحوب مولانا شمس الدين المارديني -رحمه الله- في وقت صلاة الصبح، في مدرسة مولانا. والتمس الأصحاب منه من دون شك أن يؤم مولانا الصلاة، فمن صلى خلف إمام تقي فكأنما صَلَّى خلف نبي[1]. فأجابهم.

وقرأوا أورادًا غريبة، ودعوا دعوات عجيبة، لم تكن للمشايخ قَط. ذكرتُ منها هذه الأقوال العشرة تذكارًا عن تلك الحضرة: أعددتُ لكل هول لا إله إلا الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل نِعمة الحمد لله،

(١) **إشارة إلى الحديث:** من صلى خلف عالم تقي، فكأنما صلى خلف نبي.

المحدث: الألباني

المصدر: السلسلة الضعيفة

خلاصة حكم المحدث: لا أصل له

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ذنب أستغفر الله، ولكل ضيق حسبي الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقالوا أيضًا: كان سلطاننا يردد هذا الدعاء بجد دائمًا بعد أداء فرض صلاة الصبح: اللهم اجعل لي نورًا في قلبي، ونورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في شعري، ونورًا في بَشَري، ونورًا في لحمي، ونورًا في دمي، ونورًا من بين يدَي، ونورًا من خلفي، ونورًا من تحتي، ونورًا من فوقي، ونورًا عن يميني، ونورًا عن شمالي، اللهم زدني نورًا، وأعطني نورًا، واجعلني نورًا، يا نور النور، برحمتك يا أرحم الراحمين.

حكاية

ذكر كذلك أصحاب النظر وإخوان العبر أن امرأة كانت في مدينة قونية في عهد مولانا، وكانت وَلِيَّة وكاملة، وكانوا يطلقون عليها: معروف فخر النساء -رضي الله عنها، وكانت سيدة زاهدة وصِدِّيقة، وكذلك كانت رابعة[2] العالم في زمانها. وكان أكابر العالم والعارفون

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ١٥٦.

(٢) **رابعة:** لعله يقصد رابعة العدوية. وكانت رابعة مولاة لآل عقيق الذي ينتمي إليهم آل عدوة؛ ولهذا تسمى رابعة العدوية، وكنيتها أم الخير. وُلدت في أسرة فقيرة، وتوفي والدها في ريعان شبابها، وحدث أن حل قحط بالبصرة، فتفرقت وأخواتها الثلاث، فرآها ظالم باعها بستة دراهم. ونظرًا لما كانت تعانيه في رقها من ذل ومهانة فقد انصرفت إلى الحياة الروحية والزهد، وبدأت تستشعر الحب لله، ونذرت نفسها له. =

فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، المجلد الأول، ص ٦٣٥.

الأتقياء محبين لها، ومعتقدين فيها. وكانت لها كرامات ظاهرة تفوق الحد، ولم تكن تفرغ من صحبة مولانا قَط. وكان مولانا أيضًا يذهب لزيارتها في بعض الأحيان.

وقد حثَّ فخرَ النساء، المحبون لها، على أداء فريضة الحج، وقالوا: ينبغي عليكِ الذهاب إلى الحج بلا شك. وكانت لها رغبة باطنية في ذلك، فقالت: أستشير مولانا، فلا يمكن أن يكون هناك مجال للسفر من دون إذنه وإشارته. وسوف أفعل كل ما يأمر به. ثم نهضت، وقدمت لزيارة مولانا. فقال لها مولانا قبل أن تتحدث: نية حسنة للغاية، وسفر مبارك، وأتمنى أن أكون معكم. فطأطأت رأسها، ولم تتحدث قَط.

احتار الأصحاب، وسألوا: ما الحال؟ وماذا جرى بينهما؟ وقضت فخر النساء تلك الليلة في بيت مولانا، وتحدثا. وبعد منتصف الليل، اعتلى مولانا سطح المدرسة، وانشغل بالتهجد. وبعد فراغه من الصلاة، كان يصيح صيحات مدوية، ويضطرب. كما أنه أشار من كوة السطح قائلًا: فلتصعد فخر النساء.

لمَّا اعتلت المذكورة سطح المدرسة، قال: انظري إلى أعلى، لقد حضر المقصود. لتجد الكعبة المعظمة تطوف فوق مولانا، وتدور عيانًا ويقينًا لا ريبًا وتخمينًا. فشهقت فخر النساء شهقة ضعيفة، وطرأت عليها حال عجيبة، وأصابتها حيرة. ولمَّا عادت إلى رشدها بعد وقت، طأطأت رأسها، وانصرفت عن تلك الرغبة تمامًا.

وبدأ مولانا ينشد هذا الغزل:

شعر (رجز)

تطوف الكعبة على قارعة حي معشوق

فأي معشوق هذا يا إلهي! وأي بلاء هذا وأي آفة!

إن البدر بالنسبة إليه قرص محطم مقيد

والنباتات مثل ذباب منهك على سُكَّره

ملوك طريق الدين جميعًا، والملائكة الأمناء

يسجدون أيها المعشوق لله الرحيم

أهل ألف بحر صدف لجوهر العشق وكف

لأنهم يبذلون الهمة العالية نحو العِزَّة والشرف

هو الجنة، وحوره السرور والعيش، واحتفاله

آهة عظيمة وآية في غلبات نوره

أسمع هذا الخطاب، وأجب

فقد صارت ذَرَّة الشمس قرينة للمعشوق

يا من صرت تبريز المرحمة وشمس ألف مكرمة

فلنحمل الكلام الذي يفيض بالنور إلا ما لا نهاية

روى كذلك فقير ذلك المنزل، الفقيه سراج الدين التتري -رحمة الله عليه- الذي كان من كبار الأصحاب، قائلًا: قال لي مولانا ذات يوم: استعد، فسوف أبيت عندك الليلة. فجاد بكل ما يملك بسبب ذلك السرور، وبكل ما كان قد أخفاه، وتصدق به على الأصحاب والفقراء.

وقال: لمَّا حَلَّ الليل، بسطتُ فراش نوم لطيف، وتوقعتُ أن مولانا سوف يأتي برهة، ويستريح. فقد كان جسده المبارك قد صار رقيقًا مثل حافة الكأس بسبب مكابدة عبادات الليل، والسماع في النهار، والجوع.

جاء مولانا فجأة، وقال: يا سراج الدين، البس ثياب النوم، فلبستها. وكنت أتقلب حتى الصباح الباكر مستيقظًا، على أمل أن يأتي. فوجدته وقد انشغل بالصلاة، وأطال فيها. فناديته قائلًا: يا سلطان الدين، ألا تستريح برهة؟ فقد اقترب الصبح. وهلكتُ أنا العبد بسبب انتظار مولانا. فقال: يا سراج الدين، لو أخلد إلى النوم، فمن يدبر أمر النائمين المساكين؟ ولقد عاهدت الجميع أن نسأل الحق، ونبلغ الكمال، ونتغلب على عقبات العقوبات، ونبلغ درجات الجنات إن شاء الله وحده العزيز.

وأنشد هذا الغزل:

شعر (مجتث)

إذا لم تفعل شيئًا، وأفلست من فعل الخير

فتعالَ، فقد جعلنا عملًا لمثلك، يساوي مائة ألف عمل

ولمَّا أبلغ سراج الدين الأصحاب بهذا الخبر، سجدوا جميعًا شاكرين.

رُوي كذلك أن سلطان ولد قال ذات يوم: شكا أحدهم لأبي من الأصحاب قائلًا: سألني العلماء بعد نقاش: لماذا يطلقون على المثنوي القرآن؟ فقلت أنا العبد: إنه تفسير للقرآن. فسكت أبي لحظة، وقال: أيها الكلب، لماذا لا يكون؟ أيها الحُر، لماذا لا يكون؟ أيها الغِرّ، لماذا لا يكون؟ فكما أنه لا تندرج في ظروف حروف الأنبياء والأولياء سوى أنوار الأسرار الإلهية، فقد نبع كلام الله من قلوبهم الطاهرة، وفاض في أنهار ألسنتهم.

شعر (كامل)

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جُعل اللسان على الكلام دليلا[1]

سواء أكان الكلام سريانيًّا، أم السبع المثاني، أو كان عربيًّا، أو عبريًّا.

شعر (رمل)

لو أنك هكذا و كذلك أيها الصديق الحميم

فتحدث بأي لغة تريدها أيها الملك عذب الشفاه

ولمَّا بلغ هذا البيان سمع العلماء على لسان الصاحب عيانًا، انشغلوا جميعًا بالتمهيد للاعتذار عن بلادتهم وجهلهم، واستغفروا، وانخرطوا في سلك الأصحاب.

روى كذلك عزيز من مستوري الحق أن مولانا كان قد وقف ذات يوم بجوار خندق القلعة. وخرج عدة فقهاء من مدرسة قره طائي، وسألوه على سبيل الامتحان: ماذا كان لون كلب أصحاب الكهف؟ فقال: كان لونه أصفر، لأنه كان عاشقًا، ولون العشاق يكون أصفر دائمًا، كما هو لوني. فطأطأوا رؤوسهم، والتحقوا بإرادته.

---

(١) بيت منسوب إلى الأخطل. وهو أبو مالك غياث بن غوث بن صلت المعروف بالأخطل، وُلِد عام ١٩هـ، ويعد من أشهر شعراء العصر الأموي، وقد مدح خلفاء بني أمية بدمشق، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل.

.ar.Wikipedia.org Shamela.ws

حكاية

حكى ثقات الرواة كذلك أن معين الدين بروانه -رحمه الله- كان قد أقام سماعًا عظيمًا من أجل مولانا ذات ليلة. وجمع الأكابر. وبعد أن اختتم السماع، وتناول جماعة الكبار الطعام، تفرقوا. ولم يضع مولانا إصبعه المباركة في الطعام أصلًا.

كانت النار تشتعل في طبع بروانه، وكان يحترق أمام شمع مولانا كالفراشة، وأمر، فوضعوا شراب الجلاب والحُماض في قدح صيني، وأحضروه. فأخذه بيده، وقدمه لمولانا، لعله يحتسي مقدارًا منه. وكان يقول في كل وقت: هذا الشراب من وجه حلال... وعلى هذا النحو كان مولانا يتناول مغرفة منه، ويقرِّبها من فمه المبارك، ثم يضعها في القدح مرة أخرى، وفعل ذلك عدة مرات.

كان مولانا ينشغل بالحديث عن المعاني. وكان بروانه يذرف الدمع كالشمع، وكانا في هذا الجزر والمد حتى وقت السحر. وفي آخر الأمر، أمسك مولانا بمحاسنه المباركة، وقال: ألا تخجل من ذقني أيها الأمير معين الدين، وتجعلني محتاجًا إلى آثار أقدام الأولياء؟ وأنشد:

شعر (رمل)

الطعام الدسم والحلو يبدو طيبًا ولذيذًا

وقد مضت ليلة، وفسد عندك

فتناول الدسم والحلو من غذاء الروح

حتى ينمو ريشك، وتتعلم الطيران

فضج الأصحاب، ونهضوا، وبدأوا السماع.

قال الأصحاب الأعزاء كذلك: لمَّا فرغ مولانا من ذلك السماع، خرج، ودخل الحَمَّام، وكان قد قضى في خزينة الحَمَّام سبعة أيام بلياليها ولم يستطع شخص أن يدخل عليه من السرداب. وقد وهن الأصحاب من البكاء والأنين، وتساءلوا: أي رياضة ومجاهدة هذه! وتضرعوا إلى سلطان ولد، ليصرف أباه عن ذلك الاستغراق. وعلى هذا النحو لم يكن هناك مجال مقال إلا لسلطان ولد، في ذلك الوقت الذي كان: لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل(١) تعبِّر عن حال مولانا.

لمَّا دخل سلطان ولد الحَمَّام، تضرع أمام الخزينة، فأطلَّ مولانا برأسه من كوة الخزينة، وقال: كيف الحال يا بهاء الدين؟ هل اشتاق الأصحاب لنا؟ فكان سلطان ولد يطأطئ رأسه، ويمسح وجهه في قدم أبيه، ويبكي. لا، لا، بل إنه كان يزهو. فَسُرَّ الأصحاب، ومنحوا الفرجيات للقوالين. وخرج مولانا، ومضى إلى المدرسة، وتبعه الخلق. وأنشد هذا البيت:

(١) **إشارة إلى الحديث:** لي وقت مع الله، لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.

الدرجة: لا أصل له

الدرر السنية، أحاديث منتشرة لا تصح

dorar.net

شعر (رجز)

ارتفعت حرارة حَمَّام العالم بسبب وجهي الشبيه بالنار

وأنت قلما تبكي على صورة الحَمَّام مثل الأطفال

ولمَّا وصل إلى المدرسة، انشغل بالسماع أيضًا، واستمرت تلك الحال أربعين يومًا.

حكاية

حكى رئيس رهبان دير أفلاطون -الذي كان رجلًا من أكابر أحبارهم، وكان شيخًا ومتبحرًا، وكانوا يأتون إليه من جميع ولايات إسطنبول والفرنج وجانيك وغيرها لطلب ذلك العلم، وكانوا يتعلمون منه الأحكام- أن مولانا كان قد قدم إلى دير أفلاطون الواقع في سفح الجبل ذات يوم، وذهب إلى تلك المغارة التي كان الماء البارد يتدفق منها، ومضى إلى قعر الغار. وراقبتُ أنا تلك الحال من خارج الغار، وماذا سوف يفعل.

كان مولانا قد قبع في الماء البارد سبعة أيام بلياليها، وبعد ذلك خرج مضطربًا، ومضى، حقًا، لم يكن أثر التغير في جسمه المبارك أصلًا وأقسم قائلًا: إن ما كنت قد قرأته عن صفات ذات المسيح، وما طالعته في صحف إبراهيم وموسى، وكذلك ما وجدته في تواريخ السلف عن عظمة رياضة الأنبياء، تحقق فيه وزيادة. كما قال في أسراره، وأوضح:

شعر (مضارع)

يا من فنيت روحك في العشق وفي أشياء أخرى

يا من ما تملكه مؤقت هو والأشياء الأخرى

رُوي كذلك أن مولانا شمس الدين التبريزي -عظم الله ذكره- قال في المدرسة المباركة: كل من يريد أن يرى الأنبياء، يرى مولانا، فإن له سيرة الأنبياء، ولأن الأنبياء أتاهم الوحي لا المنام ولا الإلهام، فخُلُقهم صفاء الباطن، والحرص على رضاء الحق.

من ثم الجنة هي رضا مولانا، وجهنم هي غضب مولانا، ومفتاح الجنة هو مولانا. فاذهب، وانظر إلى مولانا، لو تريد أن تدرك معنى: العلماء ورثة الأنبياء[1]، والشيء الذي لا أشرحه هو: إذا كنتُ أبقى من دون شيخ، كنت أبقى. ليرحم الله مولانا ألف رحمة، وليطيل في عمره. يا إلهي، اجعله هبة لنا، واجعلنا هبة له، آمين.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالِم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالِم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العِلم، فمن أخذه، أخذ بحظ وافر.

الراوي: أبو الدرداء

المحدث: الألباني

المصدر: صحيح أبي داود

خلاصة حكم المحدث: صحيح

التخريج: أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد

وقد قال ذات يوم كذلك: لا يوجد مثل مولانا في الربع المسكون في هذا الزمان؛ إنه يتحدث في جميع الفنون سواء الأصول، أو الفقه، أو النحو، أو المنطق، مع أرباب هذه الفنون، أفضل منهم، وأكثر ذوقًا وإجادة في قوة المعنى. ولو أنني أجتهد بالعقل مائة سنة، لا أستطيع تحصيل عُشر علمه وفنه. وقد فكر فيما يجهله قبلي بكمال لطفه.

رُوي كذلك عن فضلاء الأصحاب أن مولانا صفي الدين الهندي -رحمه الله- الذي كان عَلّامة زمانه، وكان مدرسًا في مدرسة «بنبه فروشان»، ويقولون إنه كان رجلًا زاهدًا ومتدينًا؛ كان قد اعتلى سطح المدرسة ذات يوم، وكان يتوضأ، وكان طلبة العلم يلتفون حوله. وسُمع صوت رَباب فجأة، فقال: إن هذا الرباب أينما وُجد، انتشر. والبدعة مخالفة للسُّنَّة. وينبغي تدبير حيلة لمنعه.

فجأة تمثل مولانا له، وقال: لا يجوز، لا يجوز. فصاح صيحة في الحال، وفقد الصواب. فغطاه طلاب العلم، الذين كانوا غلمانه، بغطاء، وسيطروا عليه. وبعد أن عاد إلى رشده، تضرع لسلطان ولد، وتشفع به، طالبًا المعذرة من مولانا لتلك الإساءة.

ومهما كان سلطان ولد يتوسل لأبيه، ويتشفع عنده، لم يكن مولانا يرضى من دون شك، وقال: إنْ يجعل سبعين مجوسيًا روميًا يسلمون، أسهل عليه من أن يُصَفِّي صفي الهندي، ويرشده، لأن لوح روحه صار أسود ومظلمًا مثل وجه تماثيل الأطفال. وبناء عليه حاول ولد معه إلى حد أن أشفق عليه مولانا، ووافق.

نهض جميع أهل المدرسة، وجاءوا إلى مولانا، وأصبحوا مريدين

مخلصين له. وكانت مشكلات صفي الهندي العديدة في علم الدين -التي لم يصرح بها- تُحل يومًا بعد يوم. وكان مولانا يشرح له أغلبها في المنام.

قال سلطان ولد كذلك: قال لي والدي ذات يوم: يا بهاء الدين، أتريد أن تحب العدو، وأن يحبك العدو؟ فاذكر خيره وإحسانه أربعين يومًا، فيصبح ذلك العدو حبيبك. لأن من كان طريقه من القلب إلى اللسان، كان طريقه من اللسان إلى القلب أيضًا.

ويمكن إدراك محبة الله بأسمائه العزيزة، قال الله: أيها العباد، انتبهوا، انتبهوا، وأكثروا من ذكري، حتى يتحقق لكم الصفاء، وكلما ازداد الصفاء، ازداد ضوء نور الحق في ذلك القلب. مثل تنور الخَبَّاز، كلما يكون ساخنًا، يقبل الخبز. ولمَّا يبرد، لا يقبل الخبز.

قال سلطان ولد كذلك: كان أبي يتحدث بالمعاني ذات يوم في المدرسة، وقال: المريد الصادق هو من يعد شيخه الأعلى منزلة من الجميع. مثل شخص سأل مريدًا لأبي يزيد: شيخك أعظم أم أبو حنيفة؟ قال: شيخي.

قال: أبو بكر أعظم أم شيخك؟

قال: شيخي.

وكان يعدِّد الصحابة كلهم،

وقال: محمد أعظم أم شيخك؟

قال: شيخي، ولا أعرف شيئًا آخر سوى شيخي، وأعد الجميع شيخي.

شعر (رمل)

ما دام لا يدرك الحق في العيان

فهؤلاء الأنبياء نواب الحق

لم أخطئ، فإنك لو تفكر في النائب والمنوب

كليهما، يكون هذا قبيحًا غير حسن

رُوي كذلك عن سلطان ولد أن مولانا كان قد حضر ذات يوم في عزاء ولد شجاع، واجتمع جميع القضاة والشيوخ والأمراء والأخية، وكان كل واحد يتفانى في طلب الرِفْعَة والتفوق. وقال مولانا: الرِفْعَة هي أن يكون «العبد» في كنف الحق، لا كنف الدنيا والخلق. إن رِفْعَتَه في الدنيا من أجل أن يقع. فكل شيء يزداد ارتفاعه، يزداد انحطاطه، ويتفتت. والرِفْعَةُ هي الرِفْعَةُ في كنف الحق، لا الرِفْعَة في الدنيا. وأنشد:

شعر (رمل)

هذا النحن والأنا هو سلم الخلق

والعاقبة هي السقوط من على هذا السلم

كل من يزداد صعوده إلى أعلى، هو أكثر حماقة

والأسوأ أن عظامه سوف تنكسر

طوبى لمن ذلت نفسه، وحسنت خليقته، وطابت سريرته[1].

فخجل الجميع، وطأطأوا رؤوسهم.

قال سلطان ولد كذلك: كان تجلى مولانا بهاء الدين بالعظمة والكبرياء، وكان تجلى والدي بالتواضع واللطف الشديد. كما أن كِبْر ولي الله رباني، ولطفه رباني.

وقال: قال أبي ذات يوم: لمَّا ينتقل ولي الحق من هذا العالم، يتضاعف سيره أكثر مما كان على قيد الحياة، لأن ذلك السير في الله، وليس له نهاية. وكذلك يبقى تصرفه في المريدين والعشاق حتى يوم القيامة.

وتصرف الحق في عباده باقٍ إلى أبد الآباد. وهذه كفاية.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ناقته الجدعاء، فقال في خطبته: يا أيها الناس، كأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الموت على غيرنا كُتب، وكأن الذي يشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبوِّئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، نسينا كل واعظة، وأمِنَّا كل جائحة. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق مالًا كسبه في غير معصية، وخالط أهلَ الفقه والحكمة، وجانب أهل الذل والمعصية. طوبى لمن ذل في نفسه، وحَسَّن خليقته، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلم، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته ألسنة لم يعدها إلى بدعة.
الراوي: أنس بن مالك
المحدث: ابن عدي
المصدر: الكامل في الضعفاء
خلاصة حكم المحدث: فيه أبان بن أبي عياش؛ بيِّن الضعف، وعامة ما أتى به مما قبل الرواة.
توضيح حكم المحدث: إسناده ضعيف جدًا
الدرر السنية، الموسوعة الحديثية
dorar.net

قال سلطان ولد كذلك: كان حال السكْر قد انتابت أبي ذات يوم. فقال: يا بهاء الدين، لقد أظهر لي الحق تعالى أصل إيجاد العالم، ومتى صنع هذا العالم، وكيف صنعه، وإلى متى سوف يبقى. والله أعلم.

قال سلطان ولد كذلك: كان معين الدين بروانه قد جاء لزيارة مولانا. فأخبرت أبي، وجلست طويلًا مع بروانه. وكان بروانه قد انتظر. وانشغلت أنا بتمهيد عذر، وقلتُ: لقد قال مولانا مرارًا: إن لي أمورًا وأحوالًا واستغراقًا في الحق، ولا يستطيع الأمراء والأصحاب رؤيتي في أي وقت. وحتى ينشغلوا بأحوالهم، وبأمور الخلق، نذهب نحن، ونراهم. وكان بروانه يتواضع.

فجأة خرج مولانا، فطأطأ بروانه رأسه، وقال: كان مولانا بهاء الدين يعتذر بشدة، ويتلطف. وكنتُ أظن أنا العبد أن تأخير مولانا، وأن هذه الحال إشارة لك يا بروانه. فما أقسى انتظار المحتاجين! وكم هو متعب! واتضحت لي هذه الفائدة بسبب تأخركم.

قال مولانا: إن هذا الظن حسن للغاية، لكن القاعدة هي: لمَّا يأتي سائل إلى باب شخص، ويكون صوته منكرًا، وشكله قبيحًا، يسوقه إلى الطريق بسرعة، حتى لا يسمع صوته مرة أخرى، ولا يرى وجهه. لكن لو يكون السائل حسن الصوت، وجميل الوجه، لا يمنحونه قطعة خبز بسرعة بسبب تضرعه ونحيبه، لكن يقولون له: اصبر، حتى ينضج الخبز، حتى يسمعوا صوته متواترًا. ومن ثم إن تأخيرنا سببه أن تضرعك وعشقك وابتهالك كان يطيب لرجال الحق. فأردتُ أن يزداد، ويصبح أكثر قبولًا عند الله تعالى.

وكان بروانه يسجد في هذه الحال، ويتعجب، ويقول: إن مقصود العبد من القدوم إلى باب مولانا هو أن يعرف العالمون أنني من جملة خدم هذه الحضرة، ومن غلمان العتبة. ولمَّا خرج، منح الأصحاب ستة آلاف ذهبية؛ امتنانًا لتلك الرحمة والمرحمة، وأمر، فحملوها إلى بيت شلبي حسام الدين، ليوزعها على الأصحاب.

قال سلطان ولد كذلك: إن أبي كان يشرح معنى لذة الصدق والاعتقاد الصادق ذات يوم، وقال: إن جميع علوم علماء العالم التي يكتسبونها في العالم تؤول إلى حافة القبر، ولا تتقدم أكثر من ذلك.

شعر (هزج)

يبقى علمك هذا ميراثًا مثل المال

ولا تبقى أنت ولا العلم الذي اخترته

لكن الإيمان هو الذي جاء من ذلك العالم

وسيعود إليه أيضًا

وأورد مثالًا، وحكى حكاية في هذه الأثناء، وقال: كان لي صاحب في دمشق في شبابي، كان شريكي في درس الهداية، وفي آخر الأمر كانوا قد نصَّبوه قاضيًا في ملاطية.

وحدث أن استولى بهادر على الملاطية، وأغاروا على المدينة، وسرقوا مال هذا القاضي. وفي عاقبة الأمر أمر بأن يخصوه، ويخرِجوا خصيتيه. فقال القاضي: أيها الأمير الكبير، أيَّدك الله بروح منه. إن

كل شيء كنتُ قد حصلت عليه هنا، سرقوه، ولم يبقَ لديَّ شيء قَط. وقد أحضرتُ هاتين الخصيتين معًا من ولايتي، فلماذا يقطعونهما ويأخذونهما؟

طاب ذلك القول للأمير، وأَعَزَّه كما كان، وأكرمه، ومنحه منصب القضاء مرة أخرى، حتى تدرك فتوة الإنسان ومروءته، فإنهم يقولون: إن اعتقاده صحيح، فلقد جاء به من ولاية «ألست» القديمة، وسوف يحمله إلى العالم القديم أيضًا. وينبغي الاجتهاد في الحفاظ على الرجولة في صحبة عاجزي الطريق، فلا يصبحون عُنُنًا، ويحرَمون من أبكار الجنات.

شعر (رمل)

الرجولة هي الفتوة لا اللحية والذكر

وإلا كان الأبله سيد الرجال

كل من كان عنينًا في طريق المحبوب

قطع الطريق على الرجال، وهو عنين

قال ولد كذلك: كان جدي مولانا بهاء ولد -عظم الله ذكره- يوصي مريديه وأصحابه قائلًا: احترموا ولدي مولانا جلال الدين، وأكرموه وأعزوه للغاية. فهو أصيل، وله أصل عظيم للغاية، وأصالته أزلية. كما أن أُم أُمه هي ابنة شمس الأئمة السرخسي[1]. وكان حسينيًّا،

(١) **شمس الأئمة السرخسي:** هو شمس الأئمة محمد بن أحمد السرخسي، من علماء القرن الرابع الهجري البارزين، ومن أعظم فقهاء الحنفية. وقد توفي هذا العالم الكبير نحو سنة ٤٩٠ هـ.
انظر: fa.wikipedia.org

وكذلك كان قد ألف عدة كتب نفيسة في كل فن، لم يكن أي عالم قد رأى مثلها في المنام. ووجد أكابر ذلك العصر المصلحة في ألَّا يُظهِروا تلك الكتب، حتى لا تقع في أيدي قتلة الأنبياء، ودجاجلة الأولياء. وحتى لا تحدث فتنة. كما قالوا:

شعر (خفيف)

الجاهلون منكرون للعلم

وهم لا يعلمونه بسبب الجهل والعمى

مع أن العلم هو الإيمان المحض

وما داموا لا يعلمون، يطلقون عليه كفرًا

وقد أظهروا بعض الكتب ووضعوا بعضها في بغداد في دار الخلافة مختومة، ولا تزال باقية.

ويقولون: إن ذكاءه وفطنته كانا شديدين للغاية إلى حد أنه أجلس الكُتَّاب على باب جامع «ملك شهر»، حتى كَتبوا أسماء الخلق جميعًا، وأسماء آبائهم. وبعد أن فرغوا من صلاة الجمعة، رتَّبها شمس الأئمة من الأول إلى الآخر، وذكر أسماء الجميع فردًا فردًا. وكان ذلك مبنيًا على ولايته وسيادته.

قال حضرة ولد كذلك: كان الأصحاب قد جلسوا في حضرة أبي ذات ليلة. وكانت حكاية الاحتفال بختان أحدهم تُذكَر. فقال مولانا: كان ابني بهاء الدين في السابعة من عمره، وكان أخوه علاء الدين في الثامنة من عمره، حين ختنهما بدر الدين جوهر تاش حاكم القلعة في

قلعة «قره حصار دوله».

وقال له جدي: إن أمهما غير حاضرة، وسوف تبكي، ولا يطيب لها ذلك. فقال: أجيب إجابات مختلفة.

ولمَّا بدأوا العرس، حضر جميع الأمراء ونواب السلطان علاء الدين. وزينوا القلعة بأسرها بالأغطية النفيسة، والأسلحة الثمينة. وكان سلطان الإسلام حاضرًا في ذلك الجمع. وعلى هذا النحو أقاموا عرسًا، لم يُقَم في أي عهد. وأظهر السلطان عناية، لا تسأل عنها.

قال ولد كذلك: لمَّا دعا السلطان جدي إلى قونية، دعاه الأمير موسى بعد عام إلى لارندة وزوَّجوا أبي، ثم ولدتُ.

وقال ولد كذلك: كان فقيهان تركيان قد جاءا لزيارة أبي، وأهدياه قليلًا من العدس، وكانا يخجلان من ضآلة الهدية. فحكى أبي حكاية فحواها: أوحى الحق تعالى للمصطفى -عليه السلام- ذات يوم: إن أصحاب الباب يتصدقون بالمال والأسباب من أجلي.

أشار المصطفى، فأحضر كل واحد المال بوسع طاقته، وإمكان استطاعته. وأتى بعضهم بنصف ماله، والبعض الآخر بثلث ماله. وأحضر أبو بكر جميع أمواله. فتجمعت أموال بلا حد، بعضها جِمال، وبعضها ذهب، وبعضها آلات الحرب.

كان هناك صحابي درويش، لم يملك أي شيء سوى ثلاث تمرات ورغيف خبز شعير. وكان هَرِمًا صاحب عيال. وكان ذلك المقدار قوت عياله. فنهض، وأحضر ذلك المُحَقَّر إلى النبي، وجلس خجلًا.

ابتسم الأصحاب، وكانوا يضحكون خفية. فأدرك المصطفى أنهم كانوا يضحكون على الدرويش. فقال لهم: هل أفشى لكم أسرارًا من عالم الغيب؟ فأثنى عليه جميع الصحابة، وقالوا: بلى، يا رسول الله. قال: لقد كشف الحق تعالى لي الحجب، ورأيت أن جميع أموالكم قد وُضعت في كفة ميزان، ووُضعت تلك التمرات الثلاث ورغيف الشعير في الكفة الأخرى، فزاد ذلك المُحَقَّر عليها كلها. فطأطأ الجميع رؤوسهم، وامتدحوا سَيْر سر المصطفى، وسألوا عن سبب ذلك السر. فقال: لأن ذلك الدرويش جاد بشيء لا يملك غيره، والسخي بما ملك، وقد بقيت لباقي الأصحاب بقية الأموال.

وقال: القليل عند الجليل كثير. لأنهم كانوا يدفنون بذرة حقيرة في التراب، ويعهدون بها لله، فيجعل الحق تعالى تلك البذرة شجرة. وتثمر بذورٌ عدة ثمارًا بلا حد؛ ذلك لأنهم عهدوا بها لله. ومن ثم ينبغي التصدق على الدرويش وعبد الحق بما هو مناسب، لأنه تصدق للحق. والصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير. ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾(١). مثلما سُرَّ فقراء المهاجرين والأنصار وسعدوا. وقد أصبح الفقيهان خادمَين ومريدَين بسبب هذا السرور.

حكاية

قال ولد كذلك: حضر جميع العلماء الكبار، والمشايخ الأخيار، والأمراء الأتقياء في مجلس «مدرسة الأتابكية»، وشد الأتابك

(١) سورة التوبة، جزء من الآية ٦٠.

أرسلاند غمش وسطه، وكان يقوم بالخدمة. وكان المُدَرِّس مولانا شمس الدين المارديني، وقد استند إلى مسند التدريس. وكان القاضي سراج الدين عن يمينه، والشيخ صدر الدين عن يساره. وكان باقي الأكابر قد جلسوا.

ووصل أبي في آخر الأمر، ولمَّا دخل بمفرده، وسَلَّم، جلس في وسط الصُّفَّة حيث مكان النقيب، حتى إن طرفه المبارك كان قد علق أسفل الصُّفَّة. في الحال نهض بروانه والصاحب والنائب ومجد الدين الأتابك، وجاءوا إلى جانب مولانا. فأطلَّ أبي برأسه، ولم يهتم بأحد.

جاء القاضي سراج الدين، وقَبَّلَ يد مولانا، وأجلسه فوقه في تضرع تام. وكان شمس الدين الماريدني يعتذر قائلًا: إن هذا الجمع كله من أجل خادمكم الذي هو مريد ومطيع لكم. كما أن مقام مولانا فوق الملكوت. وكان مولانا مستغرقًا في الحديث عن المعرفة ومنهمكًا حتى صلاة العصر، إلى حد أن مزق الأمراء والعلماء ثيابهم. وأقيم السماع بعد ذلك حتى حلول الليل.

ذكر كذلك سلطان ولد أن الشيخ صدر الدين كان ينكر مولانا إنكارًا شديدًا. فرأى في المنام ذات ليلة أنه كان يُدَلِّك قدم مولانا المباركة، واستيقظ، واستغفر. ورآه مرة ثانية كذلك، وثالثة، وكان يستغفر. واستيقظ في المرة الأخيرة، وأمر بأن يشعلوا السراج، وقال للغلام: اذهب، وأحضِر الكتاب الفلاني من المكتبة. لمَّا قصد الغلام النزول من أعلى إلى أسفل، وجد مولانا قد جلس وسط السُّلَّم.

ذهب الغلام إلى الشيخ، وأخبره. وجاء الشيخ، فوجد مولانا قد جلس. ولمَّا رأى مولانا الشيخ، نهض، واحتضنا بعضهما بعضًا. وقال

له مولانا: لا تنزعج، ولا تستغفر. هكذا تكون الحال؛ أن تدلك قدمنا تارة، وندلك نحن قدمك تارة أخرى، وأن تخدمنا تارة، ونخدمك نحن تارة أخرى. إن بيننا اتحادًا، وليست هناك فرقة. وفقد مولانا الصواب في اللحظة نفسها. وتعجب الشيخ.

وفي اليوم التالي ذهب الشيخ إلى خلوة القاضي سراج الدين، وشرح الواقعة شرحًا وافيًا. فاعتذر المصحوب القاضي سراج الدين لمولانا، وأكرمه مولانا إكرامًا يفوق الحد. ولمَّا خرجوا، قال الشيخ: هذا الرجل مؤيَّد من عند الله، ومن جملة مستوري قباب حضرة العزة. كما أن عقول العقلاء تندهش لأفعاله وأقواله وأحواله. وينبغي النظر إليه بعد اليوم نظرة أخرى، ويجب إعزازه بطريقة أخرى. كما قال:

شعر (هزج)

أنا عالي القدر مع أنني أبدو ذليلا

وأنا يقظ في تلك اللحظة التي يعتريني فيها السكْر

فانظر إلينا نظرة أفضل من هذه النظرة أيها المحبوب

لأنه لا يمكن إدراكنا هكذا في التو واللحظة

قال القاضي سراج الدين: الحق ما يقوله الشيخ. بعد ذلك ذهبوا، وقد ازداد اعتقادهم فيه في الغيبة والحضور، وكانوا من جملة المحبين المخلصين حتى الموت.

قال سلطان ولد كذلك: إن ملك الحُفَّاظ إسحاق الحافظ كان قد جاء إلى مولانا، وبالغ في التكلف. فقام، وقال: فليجلس في الأعلى. فإنهم كما

يبجِّلون المصحف، ويضعونه على الرحل والكرسي، يجب أن يبجِّلوا الحُفَّاظ أيضًا، ويُجلِسونهم في المكان الأعلى، لأنهم حَمَلة كلام الله.

وكذلك لا يجوز أن يرى وجه الجحيم، كل قلب يسطع فيه نور القرآن، لأن قطعة الورق التي كتبوا فيها القرآن، لا يلقونها في النار، ويعتنون بها، ويقولون: لقد كُتب القرآن فيها. ومن ثم القلب الذي يحوي قرآنات عدة، كيف يلقونه في الجحيم؟ وأصبح جميع الحُفَّاظ في المدينة مريدين وخادمين له؛ امتنانًا لهذه البشرى.

قال سلطان ولد كذلك: قال أبي ذات يوم: انظر إليَّ جيدًا يا بهاء الدين، فلمَّا تصبح بذرتي شجرة، تستطيع أن تراني، وتدركني. افهم معانينا جيدًا، وتمعَّنها مَلِيًّا، حتى تتلذذ بها، وتسعد حظًّا. واعلم أن أجساد الأنبياء والأولياء ومحبيهم لا تبلى، مثل أي حَبَّة وبذرة تُلقى في التراب، فمهما تبدو ميتة، ومهما تختفي، فإنها تنمو بعد أيام عدة، وتصبح شجرة، وأجساد الأنبياء والأولياء كذلك.

قال سلطان ولد كذلك: كان واحد من أصحاب الديوان قد جاء، ليتنحى عن ذلك العمل وينشغل بوظيفة أخرى. فقال أبي: كان هناك حارس في عهد هارون الرشيد، وكان الخضر -عليه السلام- يأتي لزيارته كل يوم. وفجأة تنحى عن عمله، وتقاعد. فلم يأتِ الخضر لصحبته مرة أخرى، وانقطع عنه تمامًا.

قلق الحارس المسكين، واضطرب، وبكى كثيرًا في تلك الليلة. فرأى في المنام: كانت مكانتك في ذلك العمل. فنهض في الصباح، وذهب إلى الخليفة، وطالب بمنصبه.

سأله الخليفة: ما الحال؟ فشرح له ما حدث. فأوكل إليه مهمة الحفاظ على الأمن، ووجد الحارس أن الخضر جاء لزيارته كذلك. فسأله الحارس عن سر حاله، فقال الخضر: إن رفع درجاتك في أن تجلس في الديوان، وترعى المساكين والضعفاء، وتحرِّر المظلومين من قبضة الظالمين، وتعد ذلك أفضل من آلاف الخلوات والأربعينيات، وتلزم ذلك الشغل الخطير المهم بموجب: من بورك له في شيء، فليلزمه[1]. كما أن ذلك الرجل قَبِل منصبه، وباشره، واعتنى بالشيخ.

وقال كذلك: كان مولانا شمس الدين التبريزي يشرح حال أبي ذات يوم، وقال: إن سر مولانا قد اختفى مثل سر الإسلام. وما دام الإسلام قد جاء غريبًا، فأدرك سِرَّه. وكيف بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء[2].

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ببغداد، ثنا أبو قلابة الرقاشي، ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني، أخبرني أبي مخلد الشيباني، أخبرني أبي قال: أخبرني الزبير بن عبيد قال: أخبرني نافع قال: كنت أجهز إلى الشام وإلى مصر، فكان الله عز وجل يرزق خيرًا كثيرًا، فجهزت إلى العراق، فلم يرجع رأس مالي، فدخلت على عائشة، فقالت: يا بني، الزم تجارتك، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إذا فُتح لأحدكم رزق من باب فليلزمه.

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: الآداب البيهقية، الجزء ١، ص ٣١٩.

islamweb.net

(٢) **إشارة إلى الحديث:** بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا، فطوبى للغرباء.

الراوي: أبو هريرة

المحدث: مسلم

المصدر: صحيح مسلم

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية dorar.net

وقال: كان مولانا شمس الدين التبريزي يقول لمولانا ذات يوم: كان لي شيخ، اسمه أبو بكر، في مدينة تبريز، وكان ينسج السلال. وقد حصلتُ على كثير من الولايات بفضله. لكن شيئًا كان بداخلي، لم يكن شيخي يدركه، ولم يكن أي شخص قد أدركه، وأدرك مولاي ذلك الشيء.

قال ولد كذلك: عشق السيد، سنائي، كما عشق شمس الدين التبريزي.

وقال: كانت عادة أبي قبل أن يسلك طريق الفقر، أنه كان يُدَرِّس في المدرسة. وكان في كل حجرة طالبان أو ثلاثة من طلاب العلم. وفي كل مرة كان يذهب إليهم، كان يضع تحت لبدة كل طالب ما يليق به. إما يضع عشرين درهمًا أو ثلاثين درهمًا أو عشرة دراهم. ولمَّا كان الفقهاء يدخلون، ويرفعون اللُّبد، حتى ينفضوا التراب عنها، كانت الدراهم تتناثر. فكانوا يندهشون، ويُقَدِّرون تعطفه وتلطفه.

وقال: كل ما فعله أبي من أول الحال إلى آخر العمر، فعله من أجل الله -مثل عمر- لا من أجل الخلق والرياء.

وقال: إنه قرأ القرآن في تربة يوسف حافظ القونوي المقدسة. وكان الأصحاب يصيحون، ويُسَرُّون لسماع صوته. فقال أبي: كان شيخ يعظ، فشاهد الناس أحد مريديه في الطريق، وقالوا له: إن شيخك يعظ في المسجد، فلماذا لم تكن هناك؟ لمَّا سمع المريد هذا الكلام، صاح، وصرخ.

قالوا له: إنك لا تسمع الوعظ، فلماذا تصيح، وتصرخ؟ فقال المريد: إنني أعلم أن كل شيء يقوله شيخي، يكون حسنًا وصوابًا.

ومن ثم مع أن الناس لا يدركون معنى القرآن، فإنهم يعلمون أن القرآن جاء من عند الحق، وكله حسن. فكانوا يصيحون لذلك العشق، ويغرقون في ثواب من دون حساب. والقارئ والمستمع في الأجر سواء[1].

حكاية

قال سلطان ولد كذلك: كان فخر الدين السيواسي -الذي كان جامعًا لكتب الأسرار- قد جاء من سيواس ذات يوم. وكان بروانه والأمراء قد جاءوا لزيارة أبي في اليوم نفسه. فجأة دخل فخر الدين، فأكرمه مولانا، وسأله: في أي منزل كنت البارحة؟ فأجاب: في منزل بروانه. قال: هل هذا يعني أن لبروانه منزلًا في هذا الطريق؟ قال: بلى، لكن الأمن والأمان في عهده بلغ حد أن القافلة كانت تنزل في كل مقام وصحراء تصل إليهما من دون قلق أو خوف.

أعجب أبي ببروانه، وقال بعد ذلك: كانت هناك ناقة في زمان بني إسرائيل. كانوا قد علقوا هيكلًا في رقبتها. وكل من كان يراها، كان يصبح عزيزًا، وكانوا يطعمونها فاكهة من البستان. ذات يوم فصل أحدهم ذلك الهيكل عن رقبة الناقة. وبعد ذلك اتخذوا تلك الناقة سخرة، وحَمَّلوها بالأحمال.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** الداعي والمؤمن شريكان في الأجر، والقارئ والمستمع في الأجر شريكان، والعالم والمتعلم في الأجر شريكان.

الراوي: عبد الله بن عباس. المحدث: السيوطي.

المصدر: الجامع الصغير

خلاصة حكم المحدث: ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net

من ثم أيها الأمير الكبير فقير الطبع، اعلم أننا نحن ذلك الهيكل، وقد علقنا على رقبة ناقة العالم. لمَّا نسافر من هذا العالم الغَدَّار الغَرَّار إلى عالم أبرار دار القرار، عندئذ تتضح كيفية الأحوال. فبكى بروانه، وقال: لا جاء ذلك اليوم الذي نبقى فيه بعد مولانا. قال: لا لا، إنك سوف تعمِّر زمنًا قليلًا، إلا أنهم لن يستريحوا أو يطمئنوا. وهكذا حدث ما كان قد قاله. ولمَّا كان مولانا ينتقل، قال للأصحاب القدماء: إنكم لن تستريحوا بعدي، لكن أبناءكم سوف يطمئنون في العالم.

ويقولون: إن بعض المريدين قالوا ذات يوم: نحن مساكين ومذنبون، ولا نستطيع المجيء إلى مولانا. فقال مولانا: ينبغي عليكم المجيء لأنكم محتاجون ومذنبون. وقال: كل من سمع معاني المثنوي، ولم يعمل بها، يصدق عليه: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾(١). ولا يصدق عليه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(٢).

وقال: انشغل أبي بالصلاة ذات ليلة. وكنتُ قد جلستُ بجانبه، فكان أبي يقول في القيام: الله، الله. ورأيت بعد مدة أن لسانه المبارك كان قد عجز، ولم تكن الشفتان تتحركان لكن صوت «الله، الله» كان ينبعث من داخل صدره.

قال سلطان ولد: قلتُ ذات يوم لوالدي: إن الأصحاب يقولون: الوقت الذي لا نرى فيه مولانا، لا نشعر فيه بالسرور أصلًا، وتزول سعادتنا. فقال: كل من لا يُسر من دوني، لم يعرفني. وهم يعرفوني في

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية ٩٣.

(٢) سورة النور، جزء من الآية ٥١.

ذلك الوقت الذي يسرون فيه بي من دوني؛ أي إنهم يعرفونني من خلال المعاني المتعلقة بي. ثم قال: يا بهاء الدين، فلتسعد في كل وقت ترى فيه نفسك، واعلم في حال سرورك، أنني مسرور بك. كما أنشد:

شعر (رمل)

لكن لمَّا تبحث عنا، ابحث عن السرور

فنحن مقيمون في مدينة السرور التابعة لعالم السعادة

رُوي كذلك أن الشيخ العزيز أوحد الدين الخوئي -رحمه الله- سأل مولانا: من الكافر؟ فقال له مولانا: صِف المؤمن، حتى يتبين الكافر. فقال الشيخ أوحد: أنت مؤمن. قال مولانا: من ثم كل من كان ضدنا، فهو كافر.

شعر (رمل)

من الكافر؟ هو الجاهل بإيمان الشيخ

من الميت؟ هو الجاهل بحياة الشيخ

رُوي كذلك عن الشيخ عز الدين كوسه -الذي كان من جملة الواصلين إلى الحق- أن مولانا قال ذات يوم: إن الطير الذي ارتفع عن الأرض، لو أنه لا يبلغ السماء، لكان هذا القدر من الارتفاع يجعله أكثر بعدًا عن شرك الأرض، ويتحرر.

وكذلك الحال لو يصبح أحدهم درويشًا، لو أنه لا يبلغ الكمال، لكان هذا القدر يميزه عن زمرة الخلق وأهل السوق، ويتجنب مشقة

الدنيا، ويصبح خفيف الحمل. نجا المخفون، وهلك المثقلون[1].

سأل أحدهم مولانا ذات يوم كذلك: إن فلانًا يفعل فعلًا مذمومًا، فكيف تكون حاله؟ فقال: لا يغتم، لأنه يشبه الطير الذي نما ريشه، فيطير إلى كل مكان يريده. لكن الغم لذلك الطير الذي لم ينبت ريشه بعد فلمًّا يطير من عشه يصير طعمة للقط.

رُوي كذلك عن سلطان ولد أن مولانا شمس الدين التبريزي قال في جمع: إذا لم تجد أنتَ صديقًا وفيًّا، فأنا وجدت مولانا مدَّ الله ظله. والتفت بوجهه المبارك إلى مولانا، وقال: جئتَ فريدًا إلى العالم، وحملتَ الكرة إلى خارج الميدان من بين جملة العالم، وجعلتَ العالمين سكارى بعشقك.

وقال كذلك: كان عزيز يمدح مولانا وسط الجمع، ويقول: إن مولانا له جاه ونور ومهابة. وكان ينكر مولانا شمس الدين. فأجابه مولانا شمس الدين: ذلك الذي يعتقد فيه مولانا، ويقتدي به، ويتبعه على باطل. فكيف يَكون له عظمة ونور؟ بل إنه يقتدي بالحق لا بالباطل.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** إن وراءكم عقبة كؤودًا لا يجوزها المثقلون، فأنا أحب أن أتخفف لتلك العقبة.

الراوي: أبو الدرداء

المحدث: الألباني

المصدر: صحيح الترغيب

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

وتقول أيضًا: ينبغي أن يمضي خمسون وَليًا مُفَرِّدًا[1] في ركاب مولانا، فكيف يقتدون بضرير في النهاية؟

وتقول أيضًا: للأولياء علامات. فمن أنت حتى تدل عليهم؟

لمَّا يعجز الإنسان، إما ينتج نور عن ذلك العجز أو ظلمة، لأن إبليس ضلَّ بسبب العجز، واهتدى الملائكة بسبب العجز، هكذا تفعل المعجزة. وعلى هذا النحو تكون آيات الحق ولمَّا يعجزون، يسجدون.

قال بعض الأصحاب في حضرة مولانا: إن مولانا فارغ من أمر الدنيا. لكن مولانا شمس الدين التبريزي ليس فارغًا من أمر الدنيا. فقال مولانا: هذا لأنكم لا تحبون مولانا شمس الدين، ولو أنكم تحبونه، لا يبدو لكم فيه طمع ولا مكروه.

شعر (طويل)

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

سوى أن عين السخط تُبدي المساويا[2]

---

(١) **المُفَرِّد:** من التفريد في بعض كتب اللغة. وفي الحديث: طوبى للمفردين. وفَرَّدَ الرجل إذا تفقه، واعتزل عن الناس، وخلا بمراعاة الأمر والنهي. وقيل: هم الذين هلكوا لذاتهم، وبقوا، فهم يذكرون الله. وقيل: هم المتخلفون من الناس بذكر الله.

انظر: الافلاكي: مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٣١٣.

(٢) بيت للإمام محمد بن إدريس الشافعي م ٢٠٤ هـ.

حبك الشيء يعمي ويصم[1]، يغني عن عيوب المحبوب. واعلم أنَّ تقصِّي العيوب معناه أن المحبة قد نقصت. ألا ترى أن الأم الشفيقة لا تتأذى من إحداث ابنها المحبوب أبدًا، ولا تبتعد عنه، وتشتريه بالروح وبالقلب؟ لكن ذلك الآخر لا يخجل من حماره الأعرج، ولو أنه يرفس، ويكره.

قال مولانا شمس التبريزي كذلك: إن مولانا هو غواص بحر المعنى اليوم. والتاجر أنا شمس الدين التبريزي، خلد الله بركتهما، والجوهر بيننا. إنني أتحدث عن الجوهر، وأنت تنشغل بالمال. هذا هو طريق الله، والممر من آقسرا من دون شك، والعبور إليها على جسر ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾[2]. الأول إيثار المال، وبعد ذلك أعمال كثيرة، لكن الممر من آقسرا أولًا؛ يعني إدراك العارف بالله أولًا، وعندئذ حصول الوصول لله.

حكاية

رُوي كذلك عن كبار الأصحاب أنه في تلك الأيام التي كان شمس الدين التبريزي -أعلى الله كلمته- قد جاء فيها إلى قونية، حدثت ضجة

(١) حبك الشيء يُعمي ويُصم.

الراوي: أبو الدرداء

المحدث: الألباني

المصدر: هداية الرواة

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

(٢) سورة الحجرات، جزء من الآية ١٥.

شديدة بين أكابر المدينة، وتساءلوا: هل شمس الدين التبريزي ولي أم لا؟ وكان كل واحد يقول شيئًا. وكانوا يرغبون في صحبته، ويرجون رفقته. وكان هو يبتعد دائمًا عن المجامع والمحافل وصخب الخلق. والأوقات التي كان يوجد فيها في المجامع، كانوا يتحدثون في أثناء حديثه.

كان مولانا شمس الدين يقول ذات يوم: من يتحدث في أثناء حديثنا غارق في ماء كدر مثل شرف اللهاوري، الذي كان قد رأى في المنام أنه كان يغرق في ماء عميق كدر، وكان يحرِّك إصبعيه مستغيثًا، ويقول: يا مولانا شمس الدين، خذ بيدي، خذ بيدي. ولم يتعظ.

وقد استهل حديثه في حضوري، وكان يشرح الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ويقول: إن الأنبياء يُظهِرون المعجزات في أي وقت يريدون. فقلت له: شتان بينك والحديث عن الأولياء! فقال: إن البعض لهم فيضان مستمر، وللبعض فيضان غير مستمر، وللبعض فيضان بإرادتهم، وللبعض فيضان من دون إرادتهم. فقلتُ: لقد تصورتَ حال الولي وفق خيالك. ولمَّا أُعرِضُ عن كلامه، لأنه يتحدث من أجل مصلحته، يحقد عليَّ، ويعاديني.

وإنني معتاد على أن أدعو لليهود، وأقول: ليهدي الله ذلك الذي يَسُبُّني. كما أدعو قائلًا: إلهي، اشغله بعمل أفضل وأحسن من هذا السب. فيُسَبِّح عوضًا عنه، ويهلل، وينشغل بعالم الحق. فما شأنهم بي ولي أم غير ولي؟ وما شأنك بي، لو أنني ولي أو غير ولي!

مثلما قالوا لجحا: انظر إلى هذه الناحية، إنهم يحملون الموائد.

فقال: وما شأني؟ قالوا: إنهم يحملونها إلى منزلك. قال: وما شأنكم إذن؟ ولهذا السبب إنني أبتعد عن صحبة الخلق، حتى لا يقعوا في تشويش التسويس بسبب التقليد.

رُوي كذلك أن أحدهم قال لمولانا في حضور شمس الدين التبريزي: إنني أحبك، وأحب الآخرين من أجلك، وكان يستشهد بشعر المجنون:

شعر (وافر)

أحب لحبها السُّودَان حتى

أحب لحبها سود الكلاب

فأجاب مولانا: لو أنك تقصد بهذا الغير مولانا شمس الدين التبريزي، فلو أنك تحبني من أجله، أفضل وأطيب لي من أن تحبه من أجلي. وما تقوله من أنهم يحبون غير المحبوب بتبعية المحبوب، فذلك يجوز في الوقت الذي يرضى فيه المحبوب بتبعية ذلك الغير. فلم يتحدث ذلك الشخص قَط، وطأطأ رأسه، ونهض.

كذلك كان مولانا يتحدث بالمعرفة في مجمع، وقال: لقد قال رسولنا -عليه السلام: استر ذهابك وذهبك ومذهبك[1]. وقال في حديث آخر: من كتم سره، ملك أمره. وتلك سنة حسنة، ومُتَّبعة وباقية، بلى، هكذا يكون العبد، فلماذا أتحدث خفية؟ ومولانا شمس الدين

(١) قول منسوب إلى الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي، م ٥٩٧ هـ.

التبريزي -أعلى الله ذكره- يُسَلِّم بأن: من أظهر سِرَّهُ ملك أمره. لكن أين ذلك العبد؟

رُوي كذلك أن مولانا شمس الدين قال ذات يوم في حضور أصحاب الحضور: رأيتُ منامًا الليلة فحواه أنني كنت أقول لمولانا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(١). والباقي هو لقاء الأحبة، وأنت ذلك المحبوب.

شعر (هزج)

إما مشاهدة المحبوب أو مشاهدة خياله

والأشياء الباقية كلها خيالات

إنهم أهل الدنيا، وأهل الآخرة، وأهل الحق. فالشبلي من أهل الآخرة، ومولانا من أهل الحق، وما حظيتُ به من مولانا، يكفيني ويكفي ثلاثة أشخاص آخرين.

سأل المقربون من الحضرة على سبيل الضرورة عن سر أولئك الأشخاص الثلاثة، فقال: إنهم الشيخ صلاح الدين، والشيخ حسام الدين، ومولاي بهاء الدين -رضوان الله عليهم أجمعين، ومن تابعهم إلى يوم الدين، آمين، بحق نبيه الأمين.

حكاية

روى الشيخ نور الدين أبو كمال خُرساف -رحمه الله- الذي كان من معتبري الأعيان، كذلك: كنتُ في أول الحال مريدًا للشيخ صدر

---

(١) سورة القصص، جزء من الآية ٨٨.

الدين، وكنت أسمع الذكر، وأتردد على خدمته كثيرًا. وكانت عادة الشيخ أن جميع العلماء والفقراء والأمراء -بموجب ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1]- كانوا يجتمعون في الزاوية بعد صلاة الجمعة، وكان الشيخ يطرح مسألة أو نكتة، حتى كانوا يتباحثون في تفسيرها. وكانت جلبة شديدة تحدث. ولم يكن الشيخ يتحدث أصلًا. وفي العاقبة كان يتحدث، حتى ينتهي الجدال.

ذات يوم كان أكابر كثيرون قد جلسوا في خدمة الشيخ. وظهر مولانا من بعيد بغتة، فنهض الشيخ، واستقبل مولانا مع جميع الأكابر. وجلس مولانا على طرف الصُّفَّة، فأصر الشيخ على أن يجلس مولانا على السجادة، فقال: لا يجوز، بماذا أجيب على الله؟ قال الشيخ: فليجلس مولانا في نصف السجادة، وأجلس أنا العبد في النصف الآخر. فقال مولانا: إنني لا أستطيع الإجابة بذلك الكلام على الحق. قال الشيخ: إن السجادة التي لا تصلح لجلوس مولانا، لا تلزمني أنا أيضًا، وطوى السجادة، وألقاها.

لم يتحدث مولانا قَط بعد ذلك، وصمت، وجلس، حتى إن الحاضرين في المجلس، اندهشوا، وذهلوا. وكنتُ أرى الشيخ كذلك، كان يطل برأسه، ويعفر وجهه بالتراب، وكان قد غرق في العرق. فجأة قال مولانا: «الله»، ونهض، ومضى وهو يردد: «وفقكم الله».

لم يعد الشيخ إلى صوابه ثلاثة أيام بلياليها بسبب ذلك السكْر، ولم يتحدث إلى شخص. واندهش جميع الأكابر بسبب تلك العظمة،

(١) سورة الجمعة، جزء من الآية ١٠.

والتحقوا بإرادته. والتحقتُ أنا العبد بخدمة مولانا جلال الدين في الحال، وصرتُ مريدًا له، وحصلتُ على المزيد. والحمد لله على نعمائه.

حكى كذلك نور الدين والد خُرساف -رحمه الله- قائلًا: كنتُ أتبع السُّنَّة، وأختن ابني كمال الدين، وأُقِيمَ احتفال عظيم. وبقي مولانا ستة عشر يومًا بالتمام في العُرس، وكان الأكابر يترددون على السماع فوجًا بعد فوج. فكانت جماعة تذهب، وجماعة تجيء. وكان مولانا قد استغرق في المداومة على السماع إلى حد أنه لم يتناول طعامًا قَط طوال ستة عشر يومًا، ولم يتذوق شربة ماء، ولم يخلد إلى النوم.

وبعد اليوم السادس عشر، أحضروا أطعمة نفيسة. فقال مولانا: ليأكل الأصحاب بشهية، فليست لي شهية مفتوحة. ولمَّا رفع سَفرَة الخدمة السُّفرة، وصل شلبي أمير العالم صاحب الكرسي، وأخذ كمالَ، وختنوه.

وقد أشار مولانا في الليلة ذاتها، فأحضروا الطعام، وكانوا يأتون بالقدور أربعة تلو أربعة من كل نوع. وكان الجميع يلتهمون الطعام. وتناولوا ما يقرب من خمسين قدرًا من الطعام، ثم بدأوا السماع.

ازداد الأصحاب حيرة على حيرة. فقال: إن العارف مثل عصا موسى، ابتلعت أحمالًا عدة من سِحر السَّحَرة، ولم تظهر لها بطن، ولم تصبح كرشاء، أو هو مثل نور السراج الذي يبدد ظلمة البيوت. وكذلك لم تكن تلك الأطعمة قد أحدثت ذرة اختلاف في بطونهم المباركة. وكان ما كان. وهذه من جملة الكرامات العجيبة.

شعر (رمل)

اللقمة والنكتة حلال على الكامل

وأنت لستَ كاملًا، فلا تأكل، واخرس

كل من صارت اللقمة بداخله نور الجلال

يحل له أن يأكل ما يريد

حكاية

روى كذلك فخر المحققين، وملح القوالين، شرف الدين عثمان القوال الذي كان نديمًا قديمًا، أن مولانا أقام السماع ثلاثة أيام بلياليها في بستان كرامانا خاتون التي كانت وَلِيَّة الزمان، وانشغل بالتواجد. كما أن ثلاثة أجواق من المنشدين كانوا قد عجزوا، ووهنوا بسبب الإنشاد وعدم النوم.

وهمستُ في أذن ذكي القوال في أثناء السماع قائلًا: مرت ثلاثة أيام، ولم نذهب إلى البيت. فكيف كانت حال مولانا؟ يا للعجب! فأخرج مولانا يده من تحت طرفه المبارك، ونثر في دُفِّنا حفنة من الفضة الجديدة المضروبة والمسكوكة. فتمزق رق الدف، وسقطت الدراهم على الأرض. فجمعناها، وأحصيناها، فكانت ألفًا وسبعمائة درهم. وكانت قوانا قد خارت بسبب تلك القدرة، وأصابتنا الحيرة.

وفي الصباح سار مولانا في البستان، وكنت أنا العبد أتعقبه، حتى أرى إلى أين يذهب. فكان يُسَلِّم على كل شجرة يصل إليها، وكانت

الأشجار كلها تسجد له، وكان يحدثني عن الحكمة في ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[1]، ويكشف لي سِرَّها. فصحتُ، وكنتُ أضطرب. فأشار لي بكُمِّ ثوبه المبارك قائلًا: لا تتحدث.

وكنتُ قد فقدتُ الصواب والنطق ثلاثة أيام بلياليها. وكان الأصحاب يسألون عني. وقد قال مولانا: لقد سَكر عثمان مريدنا، ونام في المكان الفلاني. بعد ذلك جئتُ في تضرع شديد وأدب جم إلى مولانا، وسجدت، واستغفرت، ولم أعجز قَط طوال عمري، ولم أحزن.

روى كذلك السيد شرف الدين السمرقندي، الذي كان من بطانة بيت مولانا بهاء الدين محمد، ومربيًا لأولادهم، وابنته هي أم سلطان ولد ومولانا علاء الدين، أن مولانا كان يلازم سائر أكابر العلماء والفضلاء الماهرين المتبحرين في البحث وهو في التاسعة من عمره، وكان يتلطف بهم، ويلزِم نفسه بذلك، ويسألهم جميع الأسئلة في لطف تام، ويجيبهم. ولم يكن يقول لأحد قَط «لا نُسَلِّم» في أثناء الكلام والبحث. وكان يتفوق عليهم. وكانوا يقولون له: «لا نُسَلِّم»، ويمتنعون. وكنتُ أنا أشنع عليهم، وأقول لمولانا: لماذا لا تقول «لا نُسَلِّم» وتذعن لهم؟ فقال: ما دام هو أكبر مني سِنًّا، فكيف أقول له: «لا نُسَلِّم»؟ وكنت أرى مرات أنه كان يُقَصِّر، ويلتزم الصمت، حتى لا تحدث جلبة. وكان يبالغ في رعاية أكابر الدين.

وكذلك كان مولانا يوصي الأصحاب دائمًا قائلًا: لمَّا ينقلون لكم

---

(١) سورة الرحمن، آية ٦.

مساوئ الأصحاب، يجب أن تؤولونها سبعين مرة بالخير والإحسان وحسن الظن، ولمَّا تعجزون تمامًا عن تفسيرها وتأويلها، تفسرونها على أنه يعلم السر في ذلك، وتفرغون من الأمر. حتى لا تبقوا من دون صاحب. ومن طلب أخًا بلا عيب، فقد بقي بلا أخ[1].

شعر (رمل)

الصاحب هو مرآة المحبوب في الحزن

فلا تتنفس أمام وجه المرآة أيها المحبوب

رُوي كذلك عن أكابر الأصحاب أن الأمير قانعي -الذي كان ملك الشعراء في زمانه- سأل مولانا: هل كان السنائي مُسلِمًا؟ فقال: بلى، كان مُسلِمًا، وفاض بنوره على الإسلام، فأذعن قانعي، ومضى.

وقال كذلك في المعرفة: إن وجود الشيخ الكامل مثل وجود الحَمَّام. فإن طهارة الظاهر لا تتحقق لك، ما لم تتجرد من الثياب وغيرها عند دخول الحَمَّام، كما أنك لا تخلص من أوساخ البدن، ولا تتطهر من الجنابة. وكذلك الحال ما دمت لا تتجرد من الوجود والأنانية أمام الشيخ، ولا تحيا حياة جديدة، فإنك لا تبلغ طهارة القيامة، ولا تتطهر من جنابة الباطن التي هي خيانة النفس.

وفسر الآية: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾[2]؛ أي في ظلمة وجهل، ثم رش عليهم من نوره، ففني عن أوصاف الإنسانية، فخرج من الكبد إلى الراحة.

---

(١) قول منسوب إلى الفضيل بن عياض م ١٨٧ هـ.

(٢) سورة البلد، آية ٤.

﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴾(1)؛ العقبة نفسه. ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾(2)؛ أن يعتق نفسه من رق الخلق، ومن رؤية أفعال نفسه، ومن رؤية أنه فك، والله أعلم.

حكاية

شكت ملكة خاتون بنت مولانا -روح الله روحها- ذات يوم من خُساسة حال زوجها السيد شهاب الدين روغن قراميد قائلة: إنها لا تتنعم في بيتها، وإن جواري زوجها وغلمانه عور وجوعى مع وجود الكثير من الأسباب والأموال. فقال مولانا: إنه لا يحسن العمل، كأنه يحك رأسه. ثم قال بعد ذلك: إذا لم يكن مُمسِكًا إمساك الممسكين، فكيف كان يجمع المكاسب والأسباب الدنيوية؟

وحكى مولانا حكاية فحواها: كان هناك سيد مُنَعَّم وبخيل، وكان قد ذهب إلى المسجد الجامع ذات يوم، فجال بخاطره فجأة: ربما بقي السراج من دون غطاء، لا قدر الله. ثم نهض بسرعة، وأسرع إلى البيت، ونادى على الجارية قائلًا: لا تفتحي الباب، لكن غطِّي السراج، حتى لا يُتلِف الهواء الشعلة.

قالت الجارية: لماذا لا أفتح الباب؟ فقال: حتى لا تتلف العتبة. قالت الجارية: مع مثل هذا التصرف الذي تتصرفه، لماذا لا تدرك أن مجيئك من المسجد إلى هنا يُمَزِّق نعلك؟ فقال: اعذريني، فقد جئت حافيًا. وها هو نعلي تحت إبطي. ومن ثم انبسطت ملكة خاتون، وابتسمت، وفرغت من الأمر.

---

(1) سورة البلد، آية 11.

(2) سورة البلد، آية 13.

حكى الشيخ محمود النجار -رحمه الله- كذلك أن درويشًا كان قد توفي ذات يوم، ولمَّا دفنوه في القبر، جعل مولانا قدميه المباركتين في قبره، وأخذ يراقب برهة. وبعد ذلك صاح صيحة، ونهض مبتسمًا.

سأل الأصحاب المحارم عن تلك الحال، فقال: كان منكر ونكير قد جاءا، ليعذباه. فتشفعتُ له، ومنعتهما قائلًا: إنه مريدي. ومجاورو السلطان يبقون دائمًا في أمان من شر الجلادين والظالمين، ويمرون في سلام.

قالوا لأحدهم: ماذا رأيتَ من مولانا، حتى صرتَ مريدًا له؟ فقال: ماذا أرى أكثر من أن ينسبوني إليه، ويدعوني باسمه، ويقولوا فلان الدين المولوي؟ وماذا يكون أفضل من أن يقترن اسمي باسمه، وتعشق روحي روحه، وتحبه؟ وإنها من محبي حضرته. وقد انكشف لي سِرٌّ: من أحب قومًا فهو منهم، بسبب عنايته اللا نهائية وجذبته. ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[1]. كما أنشد:

شعر (هزج)

تكون عزة العاشق على قدر المعشوق

فأدرِك أيها العاشق المسكين، في أي مرتبة أنت

رُوي كذلك أن مولانا كان يوصي الأصحاب دائمًا قائلًا: على أي حال أكون، لو تطلب جماعة الفتوى، أو يكون لشخص سؤال، فلا تمنعوهم، واعرضوها عليَّ، حتى يكون مرسوم المدارس حلالًا علينا.

(١) سورة الحديد، جزء من الآية ٢٩.

وإنني لا أريد أن تنقطع الفتوى عن هذه الأسرة التقيَّة.

وعلى هذا النحو كان الأصحاب الكرام يحضرون الدواة والقلم في وقت الاستغراق والسماع، حتى كان يطَّلع على ما لم يكن قد اطَّلع عليه. وكانوا يدوِّنون الجواب الصواب.

وحدث أن كتبوا إجابة مسألة معقدة مختلف فيها، وأعطوها لشمس الدين المارديني، فلم يقبلها، وأنكرها. وحملوا تلك الفتوى إلى القاضي سراج الدين، فبالغ في القول ببطلان جواب الفتوى.

وكان مولانا الإمام اختيار الدين حاضرًا في ذلك المجمع، فجادلهم، وعرض على مولانا ما حدث. فابتسم مولانا، وقال: اذهب، وبَلِّغ الموالي سلامنا، وقل لهم: لا تجادلوا في المسألة، والطعن في حق الدراويش لا يكون من المصلحة. وبصفة عامة، إن لمولانا شمس الدين كتابًا في مجلدين في شرح الفتاوى، كان قد اشتراه في مدينة حلب بمبلغ أربعين درهمًا. ومضت مدة، وهو لم يطالع ذلك الكتاب. فليطلبه من المكتبة، وينظر في السطر الثامن في وسط الكتاب، حتى تُحل المشكلة.

ذهب اختيار الدين في الحال، وشرح الأحوال كما كانت. فوقف جميع العلماء، وطلبوا المعذرة. قال شمس الدين المارديني: بلى، صحيح أنني كنت قد اشتريت مجلدَي الكتاب في حلب بأربعين درهمًا. والواقع أنني لم أطالعه. وهذه الكرامات عظيمة، وينبغي الاحتياط للباقي.

وأمر القاضي سراج الدين بأن يُحضِروا الكتب إلى هذا المكان. وذهب ابن مولانا شمس الدين الماردينى، وأحضر تلك الكتب. وعَدَّها

ورقة ورقة بمقتضى الإشارة التي كان مولانا قد أشار بها. وكان الحل في الصفحة نفسها التي كان مولانا قد ذكرها. فحَلَّ المشكلة.

واندهش الحاضرون في ذلك المجلس للغاية من نور ولاية مولانا، وإحاطته بالأسرار، وأنصفوه لقوة مكاشفته، وحسن كراماته، ولطفه، واستغفروا عاجزين.

قال مولانا شمس الدين المارديني كذلك: إنني رأيت الرسول -عليه السلام- في المنام ذات ليلة، كان قد جلس في مكان. وكلما تقدمت نحوه، وسَلَّمتُ عليه، أَشاح بوجهه عني. فذهبت إلى مكان آخر، ففعل كذلك. بكيتُ، وقلتُ: يا رسول الله، لقد عانيتُ سنوات عدة وأنا أرجو عطفك عليَّ، وعنايتك بي، ودَرَستُ، واجتهدتُ في تحقيق الأخبار والآثار، وسعيتُ في حل المشكلات الدينية. فما السبب في حرمان هذا المسكين؟ يا للعجب! وماذا تكون العِلَّة في ذلك؟ فقال الرسول -عليه السلام: ذلك كله صواب، لكنك تنظر إلى إخواني نظرة إنكار. وهذا الأمر لا يطيب لي، وهذا المسلك يفوق الآثام كلها، وإنه جرم عظيم، وجناية شنيعة.

شعر (مضارع)

يا من فَرَّقت بين أولياء الحق والحق
ماذا يحدث لو تحسن الظن بالأولياء.
خاصة وأن مولانا هو ابني العزيز؟

وقال: لمَّا استيقظت من النوم، استغفرت، وتبت عن تلك الحال. ولم أكن قد شرفت بشرف إرادة مولانا بعد، حتى كنتُ أشاهد هذه

الأنواع من الكرامات المتتالية. وفي عاقبة الأمر أذعنت، وكنت من المخلصين له.

ورُوي عن المذكور كذلك أنه ذكر وسط أئمة الدين أن اجتماعًا عظيمًا كان في مدرسة مولانا. وكان جميع الأمراء والأكابر حاضرين، وكان السماع يحتد. وكانت مدرستنا أيضًا في تلك الأنحاء، وشغفتُ بالاستماع إلى تلك الأحوال والأذواق. فنهضت، وارتديت القليل من الثياب، ودخلت المدرسة من بين ازدحام الخلق.

وانشغلت بتلاوة سورة السجدة في زاوية خلف الناس، ولمَّا وصلتُ إلى آية السجدة، سجد مولانا في الحال. فقلتُ: ربما كانت مصادفة. وقرأت سورة أخرى. وهكذا إلى آخر السجدات. فكان مولانا يسجد كذلك، وتيقنتُ أن نظره المبارك إلى اللوح المحفوظ، وأن اللوح المحفوظ هو باطنه الفاطن، وأن إشارة: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[1] تعبر عن هذه الحال.

استغرقت في هذا التفكر والتحير. فأخذ بتلابيبي، وجَرَّني، وقال: ليست هذه سجدات أهل العادات، بل إنها سجدات أهل السعادات. دعك من العلم بعد هذا، وكن صاحب بصيرة. إضافة إلى هذا، إن امتحان الناس حرام. ففقدتُ الصواب، ولمَّا عدتُ إلى رشدي، مزقتُ ثيابي، وقلتُ لنفسي: يا شميس، إلى متى سوف تبقى محجوبًا عن أنوار مثل شمس المعاني هذه؟ لأنك رأيتَ البرهان والحجة مرات، وكأنك لم ترَ. إنك تتجاهل رؤية العالم.

---

(١) سورة النجم، آية ١١.

خرجتُ في هدوء باكيًا، وذهبتُ إلى البيت، وأخذتُ أسئلتي كلها واستفساراتي، وذهبتُ إلى بيت مولانا عند حلول الليل. ولمَّا اقتربت من المدرسة، وجدتُ الشيخ محمد الخادم فتح الباب، ورحَّب بي. فقلتُ له: كيف الأحوال؟ فقال: قال لي مولانا: إن جمعًا من الأصحاب يأتون، فافتح الباب، واستقبلهم.

ولمَّا دخلتُ، وقفتُ في صف النعال، واستغفرتُ، وتقدمتُ، وقَبَّلْتُ قدم مولانا المباركة بعد تضرع الأصحاب الشديد وشفاعتهم، ومسحت وجهي بها، وأصبحتُ مريدًا مخلصًا. فألبسني مولانا فرجيته المباركة.

وفي الحال سرى فرج وفرح في روحي، وسُرِرت. وكان مولانا مستغرقًا إلى حد أن نعله إذا كان يغرس في الطين بغتة، أو كان يزعجه، كان يتركه في المكان نفسه، ويمضي حافيًا. وإذا كان جمع الفقراء يسألونه شيئًا، كان يخلع الفرجية عن كتفه، والعمامة عن رأسه، والقميص عن جسده، والنعل عن قدمه، ويمنحها لهم، ويمضي.

رُوي كذلك أن الصدر عالي القدر مولانا مجد الدين الأتابك، صهر معين الدين بروانه -رحمهما الله- التمس من مولانا الخروج للخلوة في مدرسته، فأذن له، واختلى في حجرة المدرسة. وبعد أيام عدة غلبه الجوع، ولم يحتمل، لأنه كان قد اعتاد على التنعم والرفاهة. وكان له صديق حميم، كان مواسيًا له ومحرمًا. فأفصحا عن مشقة الجوع، واتفقا، وخرجا من الحجرة ذات ليلة، وذهبا إلى بيت صديق، ووصفا

له الجوع. فأَعدَّ لهما ذلك العزيز البط المُسَمَّن، والأرز المفلفل. وعادا إلى مقامهما بعد تناول الطعام، ونزلا فيه.

وفي الصباح جاء مولانا إلى باب الحجرة وفقًا لعادته، ووضع إصبعه المباركة على باب الحجرة، وشَمَّ. وقال بعد ذلك: إنها حال عجيبة، إن رائحة البط والأرز تفوح من حجرتنا هذه، لا رائحة الرياضة! وينبغي على المريد أن يُسَلِّم نفسه لشيخ سليم، حتى يقضي على غصته في الأحوال كلها، ويوصله إلى المقصود.

خرج الصاحبان من الحجرة، وسجدا على قدم مولانا، واستغفرا، وقالا: إن إعداد القديد للنفس في زاوية خلوة، مع وجود مثل بسطة البحر هذه، ورحمة المحيط، سوف يكون بلا سعادة.

رُوي كذلك أن المحبوب الرباني فخر الدين السيواسي -رحمه الله- الذي كان من أكابر الأصحاب، كان قد أصيب بحُمَّى محرقة مهلكة، وقضى مدة طريحًا للفراش، وكان قد احترق مثل الفراشة، وعجز جميع الأطباء عن علاجه.

وجاء مولانا لعيادته، وأشار، فأحضروا فصوص ثوم، ودقه في مدق الثوم، حتى يطعموه به. ولمَّا علم الأطباء بقضية هذا العلاج، يئسوا تمامًا من صحته. وعَرِقَ فخر الدين في الليلة نفسها بعناية الحق، وهمة الرجال الأحرار، وصَحَّ. فقال الأطباء: إن هذا الدواء هو يد قدرة مولانا، لا قاعدة الطب، ولا قانون الحكمة.

شكا الصاحب العزيز شلبي جلال الدين -رحمه الله- كذلك إلى مولانا من كثرة غلبة النوم، فأمره بأن يستخرج لبن الخشخاش، ويشربه.

فزال عنه النوم تمامًا، واختل دماغه من كثرة السهر.

رجع شلبي جلال الدين إلى مولانا مرة أخرى، فمسح بيده المباركة على رأسه، وشُفي من ذلك المرض. حتى يفهم العالمون ويعلموا أن لرجال الله تلك القوة والقدرة على أن يجعلوا -كل شيء يكون سببًا لألم ملك يمينهم أو عنائه- سببًا للصحة والشفاء، ويحيلوا الجهل عِلمًا، والبله عرفانًا، والأعداء إخوانًا. كما أنشد:

شعر (رمل)

ما دام ذلك الرجل الصادق مقبولًا من الحق

فيده في الأعمال هي يد الله

للأولياء قدرة من الإله

وهم يحيدون بالسهم المنطلق عن الهدف

رُوي كذلك أن مولانا كان يسير على سطح مدرسته، ويتحدث بالحقائق، فتأوَّه واحد من بين الأصحاب آهة ملتهبة من كبد مكتوية، وكان شيخ من كبار المدينة يمر من الطريق، فقال: عَلَيَّ.

قال مولانا بسبب الغيرة: هلَّا أرى من تصيبه العِلَّة؟ وقد أصابته عِلَّة وغلَّة بالحكم الإلهي، وعجز أكابر الأطباء عن تشخيص مرض ذلك الشخص. بعد مدة عرف سبب العِلَّة، ونهض بصدق تام، وأسرع للخدمة. وانشغل كثيرًا بالإنابة والاستغفار والاعتذار. ولمَّا اقترنت توبته بالإجابة، زال عنه عرض ذلك المرض، وأبدى إرادة تامة، وصار مريدًا لمولانا إرادة تامة.

حكاية

رُوي كذلك أن الأمير محمد السكورجي -الذي كان من خاصة مريدي سلطان ولد- ذكر أن أمير العالم كيغاتو خان لمَّا وصل إلى آقسرا بعد رحيل مولانا، أرسل رسولًا معتبرًا لطلب أمراء قونية وأتراكها، حتى يعلنوا الطاعة له، ويرحبوا به. لكن بعض الرنود قتلوا رسوله بسبب الجرأة والجلادة.

لمَّا وصل هذا الخبر إلى سمع الملك، غضب غضبًا شديدًا. وصدر أمر بأن يذهب جميع العساكر إلى قونية، ويحاصروا المدينة، ويقتلوا الخلق، وينشغلوا بالنهب والغارة. ولم يستطع أي شخص من النواب والأمراء دفع ذلك الغضب في ذلك الوقت. كما أن جميع أهل قونية انزعجوا من ذلك الخبر، ولم يجدوا أي وسيلة لنجاتهم سوى اللجوء إلى تربة مولانا المقدسة.

قدم أهل قونية مجتمعين إلى التربة، وتضرعوا. ولمَّا وصل كيغاتو بجيش عظيم إلى تلك الأنحاء، رأى مولانا في المنام ذات ليلة يخرج من قبته في هيبة عظيمة، ويفك طيات عمامته المباركة، ويعقدها حول سور المدينة. بعد ذلك يأتي إلى خيمة كيغاتو في سرعة تامة، ويضغط بأصابعه على حلقه، ويخنقه. ويطلب كيغاتو الأمان مستغيثًا. ويقول له مولانا: أيها التركي الجاهل، اترك هذا الفكر، وهذا العمل، واحمل أتراكك بسرعة إلى خنادقك، وإلا فإنك لن تسلم.

لمَّا استيقظ كيغاتو، استدعى أمراءه والمقربين منه. ولمَّا ذهبنا

إليه، وجدناه خائفًا للغاية ومرتعشًا وباكيًا. ولم يسأل، وحكى المنام. أذعن جميع القادة والمقربين، وقالوا بلسان واحد: إننا كنا قد فكرنا في هذا الأمر، وإن هذا الإقليم ملك مولانا. وكل من يقصد هذه الديار، لا تبقى أدبار نسله، ويهلك. لكن لم يكن هناك مجال للمقال بسبب خشية الملك. فصدر أمر مرة أخرى، فعاد الجيش.

ولمَّا طلع النهار، شرف كيغاتو بنفسه مع جميع الأمراء بزيارة التربة المقدسة، ولم أكن أنا العبد قد رأيت هذه التربة بعد، وأحضر سلطان ولد، وصار مريدًا، وقدم الأضاحي، ومنح الصدقات لمجاوري الحضرة وأئمة الدين، وعفا عن سيئات أهل المدينة، وعاد مسرورًا. وسُرَّ أهالي المدينة أيضًا، وقدموا هدايا كثيرة من كل نوع. وازدادت محبتي وعشقي القديم، وأصبحت مريدًا لسلطان ولد، ورَمَّمت قبة التربة كذلك؛ امتنانًا لتلك الرحمة.

رُوي كذلك أن مولانا كان يشرح ذات يوم في أوائل شبابه حكاية الخضر وموسى -عليهما السلام- على المنبر في أثناء الوعظ، وكان المحبوب الرباني مفخر الأبرار شمس الدين العطار قد جلس في زاوية المسجد في حضور تام، وشاهد شخصًا في أثناء ذلك الشرح، كان يجلس في هيئة عجيبة في زاوية أخرى، وكان يهز رأسه في كل مرة، ويقول: إنك تقول الصدق، وتحسن القول، كأنك كنت ثالثنا.

لمَّا سمع الدرويش هذا الكلام، علم أنه الخضر -عليه السلام، فأمسك بطرفه، حتى يطلب العون منه. فقال له الخضر: نحن جميعًا نطلب المدد منه، وهو سلطان الأبدال جميعًا، والأوتاد والأفراد والكُمَّل

والأقطاب، فتشبث بطرفه، واطلب منه كل ما تريد. وجذب طرفه من يدي فجأة، واختفى.

وقال شمس الدين العطار: لمَّا قَبَّلْتُ يد مولانا، قال لي: إن الخضر النبي والأعزاء الآخرين من عشاقنا. فأذعنتُ في الحال، وصرت مريدًا له.

حكاية

روى كرام الأصحاب كذلك أن شيخ الإسلام صدر الملة والدين -رضي الله عنه- رأى الرسول -عليه السلام- في المنام ذات ليلة، وقد جاء إلى خانقاهه، وجلس في صدر الصُّفَّة، وكان الأصحاب العظام والأولياء الكرام قد اصطفوا عن يمينه وعن يساره، وحضر مولانا فجأة، واعتنى به المصطفى -صلى الله عليه وسلم- عناية كبيرة والتفت إلى الصِّدِّيق الأكبر، وقال: يا أبا بكر، لديك ولد مقبل، حدقات أعيننا جميعًا مضيئة به، ونحن نفتخر به، وهو ولدي العزيز. وأشار إلى موضع معين عن يمينه، ليجلس. وأخذ مولانا يتحدث عن الحقائق والمعاني، وكان الرسول -عليه السلام- يثني عليه. وكان الذوق يعتري الحاضرين جميعًا.

في الصباح ذهب مولانا إلى خانقاه الشيخ. فكان الشيخ يسرع نحوه، ويكرمه إكرامًا عظيمًا، ويُجلِسه على سجادته. وجلس مولانا في المكان نفسه الذي كان رسول الله قد أشار إليه ليلًا. قال الشيخ بعد ذلك: ما دام سلطاننا كان قد حدد هذا المكان، نجلس نحن في المكان نفسه بموجب أمره، ولم يتحدث قَط.

لمَّا خرج مولانا من عند الشيخ، أوصى الشيخ أصحاب الصُّفَّة قائلًا: أستحلفكم بالله أن تنصروا هذا العارف، وأن تحترزوا من الخطرات الفاسدة، لأنه مطَّلع على سرائر القلوب والضمائر الداخلية، وهو سلطان عظيم. وحكى المنام بالتمام للأكابر الكرام، وأخبر الجميع بعظمة مولانا، وازدادت إرادة الشيخ.

رُوي كذلك أن الملكة السعيدة جوماج خاتون -التي كانت زوجة السلطان ركن الدين، ومريدة مولانا- حكت قائلة: كنت قد جلست ذات يوم في القصور القديمة مع عيالي ومجموعة من النساء، فدخل مولانا من الباب فجأة، وقال: اخرجوا بسرعة من هذا القصر، فخرجنا حفاة في الحال. ولمَّا خرج جميع القوم، انهار طاق الصُّفَّة، فسجدتُ على قدم مولانا المباركة، وآثرتُ الصدقات لأرباب الحاجات، وأرسلتُ سبعة آلاف درهم ذهب إلى الأصحاب؛ امتنانًا لذلك.

رُوي كذلك أن مولانا كان يضع الهَلَج الأصفر في فمه المبارك، وكان جمع من المقربين إليه يؤولون ذلك، وسألوا سلطان الخلفاء شلبي حسام الدين -رضي الله عنه- عن ذلك السر، فقال: لقد بلغت رياضة مولانا الحد الذي لم يكن يريد معه أن يسقط لُعابه في حلقه، بل إنه يريد أن يمتزج بتلك العُفُوصة، ويصبح بشعًا ومُرًّا، حتى يصبح حظ النفس، وهذا دال على كمال قوته ورياضته.

رُوي كذلك أنه كان يذهب مع جمع الأصحاب لعيادة شلبي حسام الدين، فاعترضهم كلب في وسط المحلة، فأراد شخص إيذاءه، فقال: لا يجوز إيذاء كلب محلة شلبي.

شعر (رمل)

قال: يا من كانت الأسود غلمانًا لكلابه

لا يمكن السكوت والسلام

ذلك الكلب الذي كان في محلته

كيف أمنح الأسود شعرة منه؟

رُوي كذلك أن كرا خاتون كانت تقول دائمًا: تمنيتُ سنوات أن أتبع مولانا في الصلاة مرة واحدة، وأصلي خلفه. ولم تكن تلك السعادة تساعدني، ولم يكن ذلك السرور يتحقق.

ذات يوم كان سكْر واستغراق شديد قد غلب مولانا من أول الصبح، إلى حد أنه كان يروح ويجيء على سطح المدرسة من أول النهار حتى وقت العشاء، وكان يتواجد، ولم يكن يلتفت إلى أي مخلوق. فجأة ذهب في أثناء السير إلى طرف سطح المدرسة، ووضع قدمه في الهواء، واختفى.

فقدتُ (أنا الضعيفة) الصوابَ بتأثير تلك الحال. وكنت قد بقيتُ حتى وقت الصبح. فجأة جاء مولانا إلى حجرتي في وقت السحر، وأشار قائلًا: إنه وقت الصلاة، فلنصلِّ. وبسط ثنيتين من عمامته المباركة، وجعلها سجادة. ونويتُ أداء الفرض، واقتديتُ به. ثم نهضتُ بعد إتمام الصلاة، حتى أصلح نعل مولانا، فوجدته مملوءًا بحصى الحجاز!

قال مولانا: ما دمتِ قد اطَّلعتِ على ذلك، فلا تقولي لأحد، ولم

أخبر أحدًا قَط، ما دام هو على قيد الحياة. ومسحت ذلك الحصى، وكل من مسحتُ عينيه به كالتوتياء، سَعِد، وكل مريض وضعتُه له في الشراب، شُفي.

حكاية

روى كذلك حكيم العالم وأفلاطون الزمان أكمل الدين الطبيب -رحمه الله- أن السلطان ركن الدين السعيد كان قد طلب مني تركيب ترياق فاروقي، وكنت قد أعددتُ جميع الأدوية، وانشغلت بعجنها في خلوتي. حتى إن خدم البيت لم يحضروا أيضًا. وكنتُ قد أغلقتُ مخارج الخلوة ومداخلها. ولمَّا انتهيت، ظهر مولانا فجأة في زاوية البيت، ففقدتُ الصواب من شدة الحيرة، وطأطأت رأسي، وعرضتُ عليه طاس الترياق الذهبي، فلم يلتفت إليه مولانا أصلًا، وقال: يا سيد أكمل الدين، إن الثعبان الذي لدغ باطننا، لو يصبح البحر المحيط ترياقًا، لا يستطيع علاجه. واختفى في الحال.

ويقولون: إن علاء الدين الطبيب الأرزنجاني حكى هذه الحكاية أيضًا.

رُوي كذلك أن مولانا كان قد ذهب إلى الحَمَّام ذات مرة، وسبقه الأصحاب، ونظَّفوا الحَمَّام، وأشعلوا البخور، وأخرجوا الناس، وذهبوا لاستقبال مولانا.

وعند عودتهم كان الحَمَّام قد امتلأ بجميع المجذومين والمرضى والمبتلين، فكان الأصحاب يضايقونهم، ويبعدونهم عن الحَمَّام. فصاح مولانا على الأصحاب، وخلع الثياب، ونزل الماء، وكان يقترب منهم،

ويَصبُّ الماء على نفسه. فكان جميع الحاضرين يندهشون من خُلُقه العظيم ذلك، وكرمه العميم.

وكان ملك الأدباء الأمير بدر الدين يحيى حاضرًا في ذلك المكان، وكان ينشد هذا البيت وقد اعترته حال ذوق:

شعر (رمل)

نزلت آية الرحمة من عند الله على الخلق

وأي آية حسنة لم تنزل في شأنك!

رُوي كذلك أن معين الدين بروانه كان قد أعد اجتماعًا ذات يوم ودعا الأكابر، فحضروا جميعًا. وحضر مولانا في آخر الأمر. ولمَّا انتهى السماع، انشغل الأكابر بتناول الطعام.

طلب مولانا إبريقًا من الشيخ محمد الخادم، وذهب إلى الميضأة. منح الأمير بروانه، محمد الخادم، ثلاثة آلاف درهم مكافأة، وأخذ الإبريق منه، ووصَّلَه إلى مولانا. كان مولانا يدعو، ويمضي. وكان أمير بروانه قد انتظر طويلًا أمام الباب.

بعد برهة دخلت جماعة من خدم بروانه، وقَبَّلوا يد الأمير، ووقفوا بعيدًا، وسألوا: ماذا ينتظر الأمير؟ فقالوا لهم: إنه ينتظر مولانا أن يخرج من الميضأة. فقالوا: إننا كنا نأتي من طريق مسجد مرام، ورأينا مولانا كان يمضي متعجلًا. فاندهش بروانه، وقال للشيخ محمد الخادم: ادخل، وتحقق من هذا الخبر.

لمَّا دخل محمد الخادم الميضأة، لم يكن هناك أحد سوى ذلك

الإبريق الممتلئ. فسجد بروانه، وازداد اعتقاده في مولانا. ولم يُظهِر مولانا وجهه للخلق أربعين يومًا بالتمام.

رُوي كذلك أن السلطان ركن الدين سعيد -غفر الله له- كان قد دعا إلى وليمة كبيرة في قصره ذات مرة، وحضر جميع الشيوخ والأكابر. كما أن القاضي سراج الدين كان قد جلس في مسند الصدر، وجلس الشيخ صدر الدين في الصدر الآخر، وكان السيد شرف الدين قد جلس إلى جانب عرش السلطان، واحتشدت جموع الأكابر في الأسفل والأعلى.

فجأة دخل مولانا مع الأصحاب، وجلسوا في وسط القصر حول الحوض. وقد بالغ السلطان وبروانه في إكرامهم مبالغة شديدة. وقال الشيخ صدر الدين: ومن الماء كل شيء حي. فقال مولانا: ومن الله كل شيء حي. فنزل جميع الأكابر. وأقيم سماع عظيم في المكان نفسه.

كان هناك سماع عظيم في قصر بروانه كذلك. واضطرب مولانا اضطرابًا شديدًا. وذهب السيد شرف الدين مع بروانه إلى زاوية، وانشغلا بتعديد المساوئ، وكان مولانا يشارك في السماع مضطرًّا. فبدأ في الحال، وأنشد هذا الغزل:

شعر (رمل)

سمعتُ بخاطري الهذيان الذي قاله العدو

وأدركتُ الظن الذي ظَنَّه بي

عض كلبه قدمي، وجافاني كثيرًا

فلم أؤذه مثل الكلب، وعضضت شفتيه

ما دمتُ قد أدركتُ أسرار الرجال مثل الرجال

فإنني أتفاخر بأنني كشفتُ سِرَّه

وأذعن بروانه في الحال، واستغفر، ولم يأذن للسيد شرف الدين مرة أخرى.

رُوي كذلك عن عثمان المنشد أنه قال: كنتُ قد تزوجت حديثًا، وأفلست إفلاسًا شديدًا، وبلغت الحاجة الغاية. وكانت العناية بالعروس الجديدة من جملة الواجبات.

علم مولانا بأمري، فنهض، ودخل حرمه، واقترض من كرا خاتون ستة دنانير مصرية، وخرج، وجلس. وبعد برهة قال في أثناء الحديث: يا عثمان، كانت لك سُنة حسنة قبل هذا، ألا وهي أنك كنت تصافحني في كل وقت وتركت هذه السُّنَّة منذ مدة، فما السبب؟ فنهضتُ بسرعة، حتى أقبِّل يده. فوضع الدنانير في يدي خلسة، وقال: حافظ على هذه السُّنَّة مثل حفاظك على فرض الصلاة. فسعدتُ، وأنفقتها في مدة.

وأفلست مرة أخرى كذلك، ولم أملك شيئًا قَط. وجئتُ إلى مولانا، لأن الوقت قد حان كي أصافحه. فابتسم مولانا، وقال: الأمر سهل، فاسعد الخاطر، فسوف يَصلك اليوم طعام دسم.

وفي ذلك اليوم لزمت الحضرة حتى الليل. ولم يظهر أثر أصلًا. واستولت الحيرة عليَّ، إذ كيف لم تتحقق إشارة مولانا؟ ولمَّا حَلَّ

الليل أخذت تمطر قليلًا. وكان الأصحاب يمضون واحدًا تلو الآخر، فقلت: أسلك الطريق إلى البيت قبل أن يَحِلَّ الظلام والوحل. وخرجتُ من باب المدرسة، فرأيتُ سيلًا جارفًا يجري. وكان قد توقف بواسطة حسك المحلة والقذى، ولم يكن يجري. ففتحتُ الطريق للماء بقدمي، حتى يجري.

فجأة سقطت قطعة حبل على قدمي، والتفت حوله، ولمَّا جذبتُ قدمي، وجدتُ كيسًا مملوءًا بالفضة في ذلك المكان، فوضعته تحت إبطي، ومضيت، وأحصيتها في البيت، فكانت سبعمائة درهم. أعطيتُ بعضها للعروس، وأنفقتُ بعضها على الضروريات.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى مولانا عابسًا؛ أي إن الفتح لم يتحقق. فأشار قائلًا: لماذا عبستَ يا عثمان، وقد حملتَ الدراهم في الكيس إلى البيت، وتتحدث عن الإفلاس؟ فانتبه، ولا تشكُ. ويجب عليك أن تمتن لذلك العطاء. فسجدت في الحال، وتبت.

رُوي كذلك أن شخصًا من مريدي مولانا -كان صاحب يسار- أوصى عند موته قائلًا: إنني أريد أن يترفق مولانا بي، ويتردد على قبري ثلاثة أيام.

بعد وفاة المذكور، أقام مولانا يومًا بالتمام على قبره. وقد رأى جماعة من أبناء المتوفى أباهم في المنام، كان قد ارتدى ثيابًا فاخرة، وكان يأتي متباهيًا مزهوًا، فسألوه: ما فعل الله بك؟ فقال: لَمَّا دفنوني في القبر، حضرت جماعة من ملائكة العذاب، ليعذبوني، لكنهم لم يكونوا يقتربون مني؛ احترامًا لمولانا. وفجأة دخل مَلَك جميل الوجه من زاوية،

وأبعد عني ملائكة العذاب تلك قائلًا: إن الله تعالى وضع هذا الشخص في حسبان مولانا، وغفر له، واعتنى بأمره.

كذلك حكى الصاحب الرباني بهاء الدين البحري قائلًا: كانت لي عادة في زمان إمارتي، ألا وهي أنني كنت أذهب في كل وقتٍ لزيارة شلبي حسام الدين، وأصحبه. وكان شلبي يأتي إلى قصري أيضًا، ولم يكن الوصول إلى مولانا ميسورًا بعد.

ذات يوم كان شلبي قد جاء إلى قصري. ورأيتُ في الوقت نفسه أن مولانا اعتلى السُّلَّم، وقال: يا أمير بهاء الدين، أتريد أن تخطَف منَّا شلبي؟ فطأطأتُ رأسي قائلًا: إن العبدَين المخلصَين كليهما جملة مجاذيب مولانا. كما أنه جاء، وجلس فارغًا. وفكرتُ في أن أحضر طعامًا. فقال لي: أَحضِر شيئًا.

ونهضتُ، لأذهب. فقال مولانا: نادِ على الخادم، حتى يحضر. فقلتُ للخادم بالرومية: ماذا لديك مما حضر؟ فقال، وتناولنا الطعام في اللحظة نفسها. وقد وضعتُ الماء الساخن في القدر، حتى أغسل الأواني.

أمر مولانا بإحضار ذلك القدر، وطلب الصحون والأواني، وحملها بيده من القدر إلى ذلك المكان. ووجدتُ قلية بالأرز، كانت شهية للغاية، ولا مثيل لها في اللذة. واندهشنا جميعًا، فمن أين لقدر فارغ بهذا القدر من الطعام؟ فقال: إنه طعام الغيب، وينبغي تناوله.

ولمَّا انشغلنا أنا العبد وشلبي بتناول الطعام، وقف مولانا للصلاة. وحدث أن تركتُ المال والعقار والعيال والصاحب، وصرتُ مريدًا له.

رُوي كذلك أن مولانا كان يذهب إلى الحَمَّام في بعض الأوقات، ويحلق. وكان الأصحاب يأخذون شعره على سبيل التبرك. وكان شيخ قد جلس في خلوة الحمام، وربما جال بخاطره: إذا كان شيء من ذلك الشعر يقع في يدي، كنت أصبح مريدًا.

قال مولانا في الحال: امنحوا قدرًا من ذلك الشعر إلى ذلك العزيز. فأذعن الشيخ في الحال، وأصبح مريدًا له، وأدى الخدمات، وأقام السماع.

رُوي كذلك أن مولانا كان يسير في مدرسته ذات يوم. وحضر سلطان ولد وجلال الدين فريدون وجماعة من الأصحاب الكرام في الطابق العلوي. وراقبوا سير مولانا.

فجأة حضر رجل غريب لزيارة مولانا، ووضع أمامه كيس ذهب نذرًا كان قد نذره له، وأقسم إنه من وجه حلال، حتى يقبله مولانا. ونثره في كُم مولانا، وخرج. ولمَّا اختفى، نثره مولانا كله على الأرض، ومضى.

نزل الأصحاب، وجمعوا ذلك المبلغ. ووزعه سلطان ولد كله على الأصحاب. وأنفقه الأصحاب على أمور معاشهم.

كذلك لمَّا كان مولانا يمل كثرة ازدحام الخلق، كان يذهب إلى الحَمَّام. ولمَّا كانوا يبالغون في العناية به في الحَمَّام، كان يدخل خزانة الحَمَّام وينزل في المغطس.

وحدث أن أقام في خزانة الحَمَّام ثلاثة أيام بلياليها، ولم يُظهِر

وجهه لأحد. وكان قد استغرق في التجليات وبارقات الوصال. وبعد اليوم الثالث، تضرع له شلبي حسام الدين كثيرًا، وطلب منه أن يطل بوجهه على الأصحاب. ولمَّا وجد مزاجه المبارك في غاية الضعف، أذرف قطرات الدمع على وجناته، وصاح قائلًا: إن جسد مولانا اللطيف نحيف للغاية، فماذا يحدث لو تتناول شرابًا من أجلنا نحن الضعفاء، وتستريح؟ فقال مولانا: إن جبل الطور مع ثباته كله لم يحتمل نظرة من جمال الحق، وتصدع!

شعر (رمل)

صار دَكًّا منه وانشق الجبل

هل رأيتم من جبلٍ رَقْص الجمل؟

كيف يتجلد جسد المسكين الضعيف -الذي تشرق عليه أشعة شمس الجلال، وبوارق أنوار الجمال سبع عشرة مرة في ثلاثة أيام بلياليها- ويحتمل، ولا يحيد عن ذلك النور أبدًا؟ وأنشد:

شعر (رمل)

بسبب كمال قدرة أبدان الرجال

احْتَمَلَت النور الذي لا مثيل له

ذلك الذي لم يحتمل الطور ذرة منه

تجعل قدرته القارورة مقره

صارت المشكاة والزجاجة موضع النور الذي

يتصدع من نوره جبلَي قاف والطور

اعلم أن أجسادهم مشكاة وقلوبهم زجاج

وقد أضاء هذا السراج العرش والأفلاك

وفي تلك اللحظة نهض مولانا، وبدأ السماع. ويقولون: إنه قضى سبعة أيام بلياليها في السماع من دون انقطاع.

رُوي كذلك أن مجموعة من التجار -الذين كانوا أصحاب جلال الدين فريدون منذ قديم العهد- كانوا يأتون إليه كل مرة عن طريق الممالحة، ويُظهِرون له مودة عظيمة، وطلبوا منه ذات يوم أن يلتحقوا بإرادة مولانا، وأحصوا أموالهم، وسلموها إليه، لتكون عطية الأصحاب. وليفرغوا هم تمامًا من مشاغل الدنيا، ويصبحوا دراويش. وجدوا في الأمر قائلين: اعرض رغبتنا هذه على مولانا، لنرى ماذا يقول، وكيف ينفق تلك الأموال.

لمَّا عرض شلبي جلال الدين أحوال التجار على مولانا كما كانت، نهض مولانا من الضجر، وأخذ الإبريق، ودخل المبرز، ومكث مدة. وجاوز انتظار التجار الحد، فتضرعوا إلى سراج الدين التتري، ليدرك سبب التأخر. ولمَّا خطا بضع خطوات، وجد مولانا قد وقف في زاوية. وقال له: يا سراج الدين، شتان بيننا والدنيا، ومتى كانت الدنيا لنا؟ وأي دنيا كانت لرسولنا؟ ومتى أحب أصحابه الدنيا؟ حقًّا إن رائحة نجاسة المبرز هذه، أفضل في مشامي من أسباب الدنيا كلها وأهلها. فتلطَّف، واعتذر لهم عنا، وليقسموها هم أنفسهم على أرباب الباب والاستحقاق، لو أنهم صادقون في طريق الحق من دون سمعة ورياء، لأن الثواب في ذلك أكثر من أن نبقى نحن والأصحاب في مشقة. ولم يقبل حلالًا من

مجموع تلك الأسباب. وتصدقت تلك الجماعة بالأموال كلها على الدراويش والأصحاب، وصاروا مريدين له.

حكاية

رُوي كذلك عن كرام الأصحاب أن السلطان ركن الدين طلب من علاء الدين، الطبيب الأرزنجاني في أرزنجان، أن يعد له أنواع المعاجين. وكان ينفق ما يقرب من ثلاثة آلاف درهم ذهبي، ويصنع المعجون.

قال أبناء الطبيب: إنك رجل كريم الطبع، ودائمًا ما يتردد عليك الأصحاب، وسوف يطلبون من تلك المعاجين. وسوف تمنح كل واحد منهم مضطرًّا، وسوف يستهلك الكثير. والتدبير هو أن نضعك في خلوة، ونغلق عليك بالقفل من الخارج، حتى يعلموا أن أحدًا لا يوجد في البيت.

وفي اليوم نفسه أحكموا غلق الباب. وانشغل الحكيم وزوجته بتركيب المعاجين. فجأة وجدا ستار البيت قد انكشف، وخرج مولانا، ونزل في زاوية البيت. ففقد الحكيم وزوجته الصواب، وذهلا من هيبة تلك الحال.

بعد برهة عاد الطبيب إلى صوابه، ونهض، ووضع المعاجين كلها -التي كان قد أعدها في الطاس الذهبي- أمام مولانا، حتى يتناولها. فوضع مولانا إصبعه المباركة عليها، وقال: إن ألمًا بداخلنا لا يسكن لحظة، ولو يعالجونه بمعاجين العالم، لا يخف ذلك الوجع الفجيع. فبكا كلاهما. ونهض مولانا، وأشار إلى الباب، فانفتح القفل. ومضى. وتعقباه بسرعة، ولم يجدا أثرًا له.

وقد صار الطبيب وزوجته خادمَين له في إخلاص تام وعاشقَين، لأن الحكيم علاء الدين لم يكن له اعتقاد في الأولياء قبل هذا، وكان يطعن فيهم. وشغف بتلك المحبة، واصطحب زوجته، وقدما إلى قونية، وأصبحا مريدَين مخلصَين. وقد حدثت هذه الواقعة في أرزنجان.

رُوي كذلك عن كبار الأصحاب أن الخضر -عليه السلام- كان يصحب مولانا دائمًا، ويسأله عن رموز كنوز الحقائق الغيبية، وكان يسمع منه إجابات لطيفة.

كان سلطان ولد يطوي عمامته ذات يوم، ولم يكن طرف العمامة يستقيم، فكان يفكها، ويطويها مرة أخرى. فقال له مولانا: يا بهاء الدين، لا تطوِها مرة أخرى، ولا تقع في قيد التكلف والرعونة. إنني كررت طي عمامتي مَرَّة في الشباب. وقد اختار أخي الخضر -عليه السلام- صحبتي. فبقيت محرومًا من صحبته مدة. فلم يطوِ سلطان ولد عمامته مرة أخرى بعد اليوم. وقد كان الأصحاب يطوونها له، ويضعونها على رأسه المبارك.

رُوي كذلك أن مولانا انشغل بتحصيل العلوم في دمشق في مدرسة المقدمية، ويقال: البرانية. وشاهدَت جماعة من أهل البصيرة مرات أن مولانا كان يتردد على تلك الحجرة. وتلك الحجرة هي مزار الأحرار. وكان أغلب العارفين الكُمَّل غافلين وذاهلين عن الاطلاع على أسرار تلك الحضرة، لأن مستوري الحق لا يستطيع أي شخص رؤيتهم وتعرفهم.

رُوِي كذلك أن الشيخ أبا بكر الكتاني -رحمه الله- كان قد شرف

بزيارة الكعبة المعظمة، وجلس تحت الميزاب، فرأى شيخًا دخل من باب بني شيبة، واقترب منه في عظمة تامة، وسلَّم عليه، وقال: لماذا لا تذهب إلى هناك حيث مقام إبراهيم، وقد جلست جماعة هناك، تستمع إلى الحديث النبوي؟ ولتستمع أنت أيضًا، وتستفِد. فقد جاء شيخ هناك، يحفظ روايات صحيحة وأسانيد عالية.

قال أبو بكر: أيها السيد، إن له أسانيد طويلة، وكل شيء يقوله هناك بإسناد، أسمعه هنا من الأستاذ من دون إسناد. قال: تسمعه مِمَّن؟ قال: حدثني قلبي عن ربي. قال: بأي دليل تتحدث؟ قال: بدليل أنكَ الخضر.

قال الخضر: سبحان الله، كنت أظن إلى هذا الوقت أنني أعرف مجموع أولياء الحق، وهم غير مستورين عني. وتيقنت أن مستوري الحق كانوا مستورين عن عيني أيضًا، وأنا لا أعرفهم، وهم يعرفونني. كما قال: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾(١).

شعر (رمل)

يد على يد أيها الفتى

إلى الله الذي إليه المنتهى

قال مولانا كذلك: إن مولانا شمس الدين التبريزي معشوق الخضر -عليهما السلام. وقد كتب على باب حجرة المدرسة بيده المباركة: مقام معشوق الخضر -عليه السلام- وكان من أولئك المستورين الأعزاء الذين كانوا مستورين عن الخضر أيضًا، وكان شمس الدين

---

(١) سورة يوسف، جزء من الآية ٧٦.

التبريزي مستورًا أيضًا ومتواريًا في خِدر الحق.

شعر (خفيف)

لقد قلتُ مرارًا أفشى

كل ما في الزمان من أسرار

لكنني سَمَّرتُ لساني

بسبب عين السوء وخوفًا من الجفاء

رُوي كذلك عن كرام الأصحاب أن مولانا انشغل بصلاة التهجد ذات ليلة في مدرسته في فصل الشتاء القارس، وكان يضع وجهه المبارك على فرش المدرسة، ويذرف الدمع إلى حد أنه كان يمتلئ بالمسك. وكانت محاسنه المباركة كذلك قد تجمدت بسبب برودة الهواء، والتصق بالفرش.

وفي الصباح كان الأصحاب يصبون الماء الساخن على وجهه، وهم يصيحون، حتى ذاب الثلج.

وما دامت هذه هي صلاته الظاهرة، فمن يطَّلع على أسرار صلاته الباطنة؟ وسأله المحبون المخلصون عن هذه الحال، فقال: رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- أنه إذا حضر وقت الصلاة، يتزلزل، ويتلون، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: قد جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[1]. فلا أدري ما أحسن، إذا

(١) سورة الأحزاب، جزء من الآية ٧٢.

ما حملت أم لا. وقال عليه السلام والصلاة: اتصال بالله من حيث لا يعلمه الظاهر.

وما دام حال علي الولي على هذا المنوال، فماذا يحدث للآخرين؟ وأنشد:

شعر (مجتث)

اللسان الذي تحدث به الببغاء بألف بيان

لم يفصح عن واحد من مائة من أسرار حال القلب

والقلم ذو السن الخشبي المتجمد والمعقود

كيف يحرر أسرار قلوب العاشقين!

رُوي كذلك أن جماعة من عارفي الزمان كانوا قد جاءوا ذات يوم لزيارة مولانا، وسأل أحدهم عن سر هذا الحديث: إن لله تعالى شرابًا أعده لأوليائه، إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طابوا، وإذا طابوا طاشوا. إلى آخره(1). وما ذلك الشراب؟ فقال: لمَّا اختص محمد -صلى الله عليه وسلم- بقرب ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾(2) الخاص، وشرف به، وأطل من شرفات الحقائق، وشاهد جمال جلال الأحدية جل جلاله بعين

(1) قول منسوب إلى علي بن أبي طالب.
مسند الإمام علي، جـ٨، ص ١٨٢.
مركز الأبحاث العقائدية
aqaed.com

(2) سورة النجم، جزء من الآية ٩.

البصيرة، وبعد كشف اللطائف الإلهية، وتحقيق رموز الكنوز الربانية، بدا كأسان مظهرتان للعالم من النور، إحداهما مملوءة بشراب خالص، والأخرى مملوءة باللبن السائغ، وجاءت إشارة باختيار كأس من هاتين الكأسين.

قال رسول الله: اخترت اللبن، واختبأت الخمر لاختيار أمتي[1]، لأن ذلك العهد كان عهد ابتداء أحكام قوانين الشريعة، واستحكام أساس أوامر الطريقة. واحتفظ بالكأس المظهرة لعالم الحقيقة لعارفي أمته، وخواص ملته. ومن رائحة ذلك الشراب الزكية يفقد بعض الأولياء الكُمَّل الصواب في بعض الأحيان، ويكشفون الأسرار. كما أنشد:

شعر (مجتث)

أي شراب تجرعه ابن أدهم
فأصبح كالثمل، وضاق بالملك والمملكة!

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أتى ليلة أُسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، ثم أخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، ولو أخذت الخمر، غوت أمتك.

الراوي: أبو هريرة

المحدث: البخاري

المصدر: صحيح البخاري

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

أي سكْر كان! فقال: سبحاني

وقال: أنا الحق(١)، ومضى إلى المشنقة

فأثنوا عليه جميعًا، والتحقوا بإرادته. وما أكثر الأقوال التي قالها مولانا في صفة مثل ذلك الشراب السائغ! وأنشد:

---

(١) **أنا الحق:** يقول الحسين بن منصور الحلاج م ٣٠٩: وفي الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه، نظر إلى ذاته فأحبها، وأثنى على نفسه، فكان هذا تجليًا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد. وكانت هذه المحبة علة الوجود، والسبب في الكثرة الوجودية. ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلًا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها، فنظر في الأزل، وأخرج من العدم صورة نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، وهي آدم الذي جعله الله على صورته أبد الدهر. ولمَّا خلق الله آدم على هذا النحو عَظَّمه، ومَجَّده، واختاره لنفسه. وكان حيث ظهور الحق في صورته فيه وبه، هو هو. وعلى هذا النحو جعل الله تعالى آدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، ومجلى تَجلى فيه الحق، وأصبح هو هو. ولَمَّا كان الحلاج ابن آدم، فقد شعر أنه هو الحق أيضًا، وقال:

أنا الحق والحق للحق حق لابس ذاته فما ثَمَّ فرق

ولَمَّا قال الحلاج «أنا الحق»، ثار عليه الفقهاء، واتهموه بالكفر والحلول والاتحاد، فقال:

وظنوا بي حلولًا واتحادًا وقلبي من سوى التوحيد خالٍ

كما قال: إن أحدًا لا يستطيع أن يقول أنا على الحقيقة إلا الله وحده، وأنا سر من أسرار الحق، ولست أنا الحق.

أنا سر الحق، ما الحق أنا بل أنا حق، ففرِّق بيننا

والحلاج لما فني عن نفسه، وبقي بالحق، واستغرق في الفناء في الذات الإلهية، نطق بحقائق التوحيد، وظن أنه الحق، فقال:

أفنيتني بك عني يا غاية المتمني

أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني

وقد أرجع الغزالي قول الحلاج «أنا الحق» إلى فرط المحبة وشدة الوجد وغلبة السكْر.

انظر: د. محمد جلال شرف: الحلاج الثائر الروحي في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٠ م، ص ٥٤، ٦٢-٦٤.

د. منال اليمني عبد العزيز: سيرة البلبل «بلبل نامه» لفريد الدين العطار النيسابوري، دراسة وترجمة وتعليق، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠١٤ م، ص ١٠٨-١١٠.

شعر (هزج)

لو تقطر قطرة من هذا السكْر على عقل العالمين
لا يبقى العالم ولا الإنسان ولا مجبور ولا مغرور

ويقول في غزل أيضًا:

شعر (رجز)

أيها الساقي، إن الحبيب حسن الوجه يمنح الخمر كأسًا تلو الأخرى
حتى يفقد الزاهد ومرادي الصواب
لقد قفزتُ على كَفِّي وقبعت في قعر الدن
حتى يصير الله، الحاكم الولي، الجميعَ بالنسبة إليَّ

سألوه: ما الوجد؟ فقال: الوجد انزعاج الروح عن احتمال غلبة الشوق.

روى رؤساء الأصحاب كذلك أن مولانا كان قد ذهب إلى الحَمَّام مع الأصحاب. ولمَّا انشغل الأصحاب بخدمة بعضهم بعضًا بإشارته، نهض، ودخل الخلوة، ومكث فيها مدة تفوق الحد.

لجأ الأصحاب الكرام إلى شلبي جلال الدين فريدون، حتى يطَّلع على سبب مكوث مولانا. فذهب إلى باب الخلوة، ليرى شيئًا من تلك الجلوة. فوجد أن الخلوة كلها قد أفعمت بوجوده المبارك حتى السقف، فانتابته رعشة، وصاح إلى حد أن فقد الأصحاب جميعهم الصواب، وخرج مولانا متمهلًا، ومضى إلى المدرسة عازمًا السماع.

رُوي كذلك عن أستاذ الفضلاء مولانا شرف الدين القيصري -رحمه الله- أنه قال: لمَّا تقدم الشيخ صدر الدين لكي يصلي على جنازة مولانا، شهق شهقة فجأة، وفقد الصواب برهة. بعد ذلك أدى الصلاة، وأذرف الدمع الدامي من عينيه، ومضى.

وسأله جماعة الكبار عن تلك الحال، فقال: لمَّا تقدمتُ كي أصلي، رأيتُ صَفِيًّا من ملائكة الملأ الأعلى قد حضر، وتمثلت روح الرسول -صلى الله عليه وسلم- وانشغلا بزيارة مولانا، والصلاة عليه. وكان ملائكة السماء جميعًا يرتدون ملابس الحداد، ويبكون.

كان الشيخ يتردد على تربة مولانا المباركة مع جميع الأكابر أربعين يومًا بالتمام. وقال مولانا شرف الدين: كان أستاذي ومسند إسنادي القاضي سراج الدين قد وقف أمام تربة مولانا، وكان ينشد هذه الأبيات منتحبًا:

شعر (رمل)

ليت يد الدنيا كانت تصيب رأسي بسيف الهلاك

في ذلك اليوم الذي شاكت فيه شوكة الأجل قدمك

حتى لم تكن عيني ترى الدنيا من دونك في هذا اليوم

وها أنا أنثر التراب على رأسي على قبرك

رُوي كذلك أنه انشغل بالإفادة والاستفادة في مدارس عدة في عنفوان الشباب في مدينة حلب عند كمال الدين بن عديم الذي كان عديم المِثْل وعالي القدر.

وكذلك كان يراجع علوم الأسرار ذات يوم في دمشق على سطح مدرسة المقدمية. وكان سهم أو سهمان ينطلقان في الهواء من جانب شرفة السطح، ويرتدَّان مرة أخرى. وكان طلبة العلم بأسرهم قد أصبحوا مريدين مخلصين، وكانوا يشاهدون الأحوال دائمًا.

روى إخوان الصفا كذلك أن مولانا كان يجول على سطح مدرسته. وفي بعض الأوقات كان سهم أو سهمان ينطلقان في الهواء، ويرتدَّان إلى سطح المدرسة مرة أخرى.

وغاب مولانا ذات يوم. وعثروا عليه بعد عشرين يومًا بالتمام في مسجد مرام، فتجمع الأصحاب، وأقيم السماع أسبوعًا.

رُوي كذلك عن كبار الأحرار أن الصاحب العزيز أميرجي -الذي كان من جملة المريدين المخلصين- كان قد عزم على السفر إلى دمشق من أجل مصلحة، فجاء إلى مولانا، وطلب العون، والتمس المدد، ومضى إلى دمشق.

ولمَّا دخل المدينة، شاهد مولانا واقفًا على قصر، وكان يشير بيده المباركة. فصاح صيحة في الحال، وفقد الصواب. ولمَّا عاد إلى رشده، لم يجد شيئًا.

أنجز أميرجي مهامه، ولمَّا عاد إلى قونية، كان يشرف بزيارة مولانا، وكان يريد أن يحكي له الحكاية. فقال مولانا: إن رجال الحق مثل أسماك المحيط، يطلون برؤوسهم من حيث يريدون. فأذعن أميرجي. وشرح مولانا للأصحاب كيفية التمثل.

قال ملك الأدباء مولانا صلاح الدين الملطي -رحمه الله: لمَّا صرت مريدًا لمولانا، كنت أرى أنه كان يرسل عشر رقاع أو اثنتي عشرة رقعة إلى بروانه وغيره، فكان يعالج بها المساكين وأهل الحاجات، ولم يكن يخطئ أي خطأ. فجال بخاطري: عجبًا! هل هذا العون سوف يكون في يوم القيامة؟ فقال: أي والله، أي والله، لماذا لا يكون؟! بل إن الرحمات والأشفاع والسخاء سوف تكون لصالحي الأمة. كما أنشد:

شعر (رمل)

صالحو أمتي فارغون

من شفاعتي يوم القيامة

قال: بل إن لهم شفاعة

سوف تجري عليهم مثل الحكم النافذ

ما دام السيف القاطع يقطع وهو في غمده، فقِسْ على ذلك، ماذا يفعل عند تجريده. فشكره الأصحاب مسرورين.

وبلغ كمال كرمه ووفور حلمه وشيمه إلى حد أنه كان قد انشغف بالسماع ذات يوم، وكان يستغرق في مشاهدة المحبوب، وتنتابه الأحوال. وكان ثمل ينخرط في السماع بغتة، ويضطرب، وكان يلكم مولانا كالمذهول. فآذاه الأصحاب الأعزاء.

وقال مولانا: لقد شرب الشراب. وأنتم تصخبون. فقالوا: إنه مجوسي. قال مولانا: هو مجوسي، فلماذا لا تكونون مجوسًا؟ فأذعنوا، واستغفروا.

وكذلك كان يمضي في وسط سوق قونية ذات يوم. وكان تركي يمسك بفراء ثعلب، ويبيعه بالمزاد، وكان يقول في جد: دلكو دلكو. فدار مولانا صائحًا، وكان يقول: دل كو، دل كو؛ أي: أين القلب؟ أين القلب؟ ومضى إلى مدرسته المباركة عازمًا السماع.

وسألوه ذات يوم كذلك قائلين: إننا نرى بعض الأولياء متكبرين، فإلى أين ذلك التكبر؟ فقال: إن الكِبْر كبرياء عند العارفين، لا كِبْر الرياء والتجبر النفساني والعجب بجاه الإنسان العزيز.

مثلما سألوا الإمام جعفر الصادق(١) -رضي الله عنه- الذي كان يُزَكِّي نفسه، ولا يبالي بالخلفاء والملوك؛ عن تكبره، فقال: حاشَ لله، إنني لست متكبرًا، ولكنني ما دمت قد فنيت عن نفسي، واستهلكتني كبرياؤه، وحلَّت محل كِبْري، فهذا الكِبْر من كبريائه، وأنا فانٍ.

شعر (رجز)

جلب قول اللسان الكبر، وأفسد كبرك تضرعك

فاجتنِب كبرك، وتعلَّق بالكبرياء

ورُوي عن أبي يزيد أنه قال: كل من أدركني، أمن من رسم الشقاوة.

---

(١) **الإمام جعفر الصادق:** هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق، (١٧ ربيع الأول ٨٣ هـ - ٢٥ شوال ١٤٨ هـ) إمام الشيعة الاثني عشرية الإمامية السادس، وإمام الشيعة الإسماعيلية الخامس بعد أبيه محمد الباقر، وقبل ابنه موسى الكاظم. وبسبب مكانته العلمية عند الشيعة اشتُهر برئيس المذهب الجعفري، ورئيس مذهب الشيعة كذلك. يرجع نسبه من ناحية الأب إلى علي بن أبي طالب، ومن ناحية الأم إلى محمد بن أبي بكر.

ويكي پديا دانشنامۀ آزاد

fa.wikipedia.org

كما أنشد:

شعر (مجتث)

كل مريد ربيّته بالعشق

ينجو من سهم الفلك ومن سنان مَرِّيخه

وأنشد في موضع آخر:

شعر (رمل)

مريدي لا يموت، لأنه تجرع ماء الحياة

آنذاك من أيدي سقاة ذي المنن

وكان يتحدث بالمعاني ذات يوم بين مجمع الأكابر في بيان معجزات الأنبياء وكرامات خواص الأولياء، وقال: إن الفرق بين المعجزات والكرامات هو أن المعجزات هي أفعال الأنبياء وسننهم، والكرامات آثار الأولياء وأنوارهم. والمعجزات إخراج شيء من العدم وهي تقليب الأعيان، والكرامات صفة أنوار باطن الأولياء.

كما قال بعض أهل المعرفة: كرامة الولي هي قوة فعل وكفاية مؤنة، يقوم لهم الحقُّ بما هو خارق من العادات، ومعجزة النبي إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وتقليب الأعيان، كما قال قدس الله سره:

شعر (رمل)

قلب الأعيان وإكسير المحيط

ائتلاف خِرقة الجسد من دون مخيط

وقال: للأولياء كرامات وللأنبياء معجزات، فالمعجزات بالدعوى، لأنها حجة، والكرامات بغير دعوى، لأنها إجابة دعوة.

كما يعد بعض كاملي سبيل الطريقة، وشاربي سلسبيل الحقيقة، الاحتراز من إظهار الكرامات، واجتناب ذلك في نفور تام واجبًا، بل إنهم يعتقدون أن الانشغال بها هو الحجاب بعينه.

مثلما قالوا للجنيد -رضي الله عنه: إن فلانًا الدرويش يطرح سجادة على الشط، ويصلي، ويطير في الهواء، ويقول كلمات عجيبة. فقال الشيخ: وا أسفاه، لقد انشغل بألعوبة، وقنع بها، ورضي بحاله. واستدعاه، وأطلعه على حاله، فعاد عن تلك الحال، وتخلى عن موقفه. حتى يتضح أين تكون مقامات الكاملين المكملين.

شعر (رمل)

أين ذلك المكان الذي لا سبيل إلى مكانه

وليس هناك سوى سنا برق الله العظيم!

أيها الأخ، هناك حضرة بلا نهاية

بالله، حيثما تحل، فهناك عظيم

وقال قدس الله سره: عقوبة الأنبياء حبس الوحي، وعقوبة الأولياء إظهار الكرامات، وعقوبة المؤمنين التقصير في الطاعة.

روى كذلك ملك الأدباء مولانا صلاح الدين الملطي قائلًا: رافقتُ جماعة القبة الكبيرة والشيوخ الكرام إلى بيت نور الدين وفادار في مدينة

عراقية، كما وصل الشيخ مؤيد الدين الجندي[1] مع بعض الصوفية -الذين كانوا جنودًا- من قونية. فاستقبلوه، وأكرموه للغاية، وأعزوه.

وبعد السلام والطعام وأنواع الكلام، سألتُ الشيخ مؤيد الدين: ماذا كان يقول الشيخ صدر الدين بشأن مولانا؟ وكيف كان يصفه في الخلوات؟ فقال: والله كنا قد جلسنا ذات يوم مع خواص الأصحاب في خدمة الشيخ، مثل: شمس الدين الأيكي وفخر الدين العراقي، وشرف الدين الموصلي، والشيخ سعيد الفرغاني، ونصير الدين القونوي وغيرهم، ووردت حكاية سيرة مولانا وسريرته. فقال الشيخ في صدق تام وإيقان كامل وهو مضطرب: إذا كان أبو يزيد والجنيد يدركان هذا العهد، لكانا يتشبثان بغاشية هذا الرجل الشجاع، ويمتنيان له.

وهو ذواق الفقر المحمدي كذلك، ونحن نتذوقه متطفلين عليه، وذوقنا كله وشوقنا بسبب قدمه المباركة. فأنصفه الدراويش جميعًا، وأثنوا على بيان الشيخ الواضح. بعد ذلك قال مؤيد الدين: إنني المسكين من جملة المحتاجين إلى ذلك السلطان أيضًا. وأنشد هذا البيت:

شعر (كامل)

لو كان فينا للألوهة صورة

هي أنت لا أكْني و لا أتردد

رُوي كذلك أن راهبًا عالمًا كان قد سمع عن صيت علم مولانا في

---

(١) **مؤيد الدين الجندي:** هو مؤيد بن محمود بن صاعد الصوفي الحاتمي الجندي، كان من تلاميذ صدر الدين القونوي، وتوفي ٦٩٠ هـ.

انظر: الافلاكي: مناقب العارفين، تصحيح حسين يازيجي، جلد اول، ص ٣٥٩.

القسطنطينية وحلمه وتواضعه، وصار عاشقًا، وسافر، وقدم إلى قونية طلبًا لمولانا. فاستقبله رهبان المدينة، وأعزوه.

طلب الراهب الصادق زيارة مولانا، وقابله في الطريق مصادفة، فسجد له ثلاث مرات. ولمَّا كان يرفع رأسه، كان يجد مولانا ساجدًا. ويقولون: إن مولانا سجد له ثلاثًا وثلاثين مرة.

مزَّق الراهب ثيابه وهو يصيح، وقال: يا سلطان الدين، أبهذا الحد من التواضع والتذلل تبدو مع مسكين آثم مثلي؟ فقال مولانا: ما دام حديث سلطاننا هو: طوبى لمن رزقه الله مالًا وجمالًا وشرفًا وسلطانًا، فجاد بماله، وعفَّ في جماله، وتواضع في شرفه، وعدل في سلطانه؛ فكيف لا أتواضع مع عباد الحق؟ وكيف لا أُظهِر الخضوع لهم؟ وإذا لم أفعل ذلك، فماذا يلزمني؟ ومن يقبلني؟ وأي عمل أقوم به؟

شعر (رمل)

قال ذلك الذي هو شمس الطريق:

طوبى لكل من ذَلَّت نفسه

إن عبوديته أفضل من السلطنة

وقول: أنا خير، هو تلبيس شيطاني

وفي الحال آمن الراهب المسكين وأصحابه، وصار مريدًا، وارتدى الفرجية. ولمَّا جاء مولانا إلى المدرسة المباركة، حكى لولد وللأصحاب قائلًا: يا بهاء الدين، إن راهبًا متواضعًا كان قد قصد تواضعنا اليوم، حتى يخطف تلك المسكنة من أيدينا. ولله الحمد، قد غلبناه في التواضع

والخضوع بالتوفيق الأحدي والمعاونة الأحمدية، لأن ذلك التواضع والخضوع والمسكنة ميراث المسلمين من المصطفى، ونصاب مثل ذلك السرور هو نصيب مساكين أمته. وأنشد هذا الغزل:

شعر (سريع)

أَحرِق البشرية بداخلك

وعِشْ تلك اللحظة لو أنك محرم

تواضَعَ ذلك الهلال فأصبح بدرًا

وأنت لا تنجو من النقصان ما لا تتواضع

حَلِّق إلى الفلك مثل المَلَك

وانحنِ مثل الفلك، لو تنحني

إلى آخره.

كان صاحب يدق مسمارًا ذات يوم في حائط حجرة المدرسة. فقال مولانا: إن مدرستنا هذه مسكن الأولياء، وإن هذه الحجرة حجرة مولانا شمس الدين. ألا تخافون، وتدقون مسمارًا فيها؟ فلا تفعلوا ذلك مرة أخرى. إنني أظن أنكم تغرزون ذلك المسمار في كبدي. وكان يرعى حرمة المدرسة إلى هذا الحد. فماذا يصيب غير ذوي الحرمة؟

كان مولانا كذلك يشرح معنى هذا البيت ذات يوم:

شعر (خفيف)

ادِّعاء العشق سهل

لكنْ للعشق دليل وبرهان

وقال: رأى سلطان ذات يوم طفلًا كان يضرب شيخًا، ويؤذيه بشدة. فقال السلطان: أحضِروه. وسأله: لماذا تضرب ذلك الشيخ، وتتجرأ عليه؟ إنني سوف أعاقبك في هذه اللحظة. فقال الطفل: ليبقَ سلطان الإسلام، إنه كان يَدَّعي العشق، ويتظاهر بمحبتي. ومرت ثلاثة أيام الآن، ولم أرَه. وإنني أؤذيه لذلك السبب، وحتى يأخذ عشاق الحق العبرة، ويفكروا في غيرته عليهم.

حكاية

روى كذلك أحزاب الأصحاب -رضي الله عنهم- أن شابًّا معتبرًا من سادات مدينة رسول الله -عليه السلام- كان قد جاء لزيارة سلطان ولد. وكانت معه جماعة من سادات قونية، عَرَّفوه قائلين: إنه ابن السيد سادن قبر المصطفى.

كان الشاب قد عقد عمامة عجيبة، وأسدل عذبة إلى السُّرَّة من الأمام، وجعل الطرف الآخر مثل طرف عمامة المولوي.

أكرمه سلطان ولد كذلك إكرامًا عظيمًا، وانشغل بشرح المعاني والأسرار بلسان عربي مبين. والتحق ذلك الشاب بإرادته في إخلاص تام، وصار مريدًا، وطلب الإجازة، ومنحه الإجازة بالعربية، حتى يكون خليفة الأسرة. بعد ذلك سأله سلطان ولد قائلًا: إن طريقة طرف العمامة هذه هي سُنَّة مولانا، ومنسوبة إلى المولوية، وليست للمشايخ الآخرين، ولم يَتَّبع السادة الآخرون هذه الطريقة، فمن أين لك بهذه الطريقة؟ فأجاب السيد: نحن آل الخليل من قديم العهد، ونحن من قبيلة قريش،

ومفاتيح الكعبة المعظمة وقبر الرسول لدينا منذ زمان خليل الرحمن، ويلزم مفتاح لكل شخص.

ويمنح سدنة الحضرة -الذين كانوا آباءنا وأجدادنا- نعلَي الرسول المباركَين وآثاره للسادات، فيطوفون بها أرجاء العالم بين أمة محمد بإجازة مِنَّا، فيستمتعون بها، ويقدمون عائدها لنا سنة تلو الأخرى، حتى إنهم يوصِلون إلى سُكَّان تلك الحضرة ومجاوري تلك الدولة رواتبهم على قدر مراتبهم ومناقبهم.

ورُوي كذلك عن أجدادنا، ومسطور في كتاب أسرار المعراج أنه لمَّا عرج الرسول في ليلة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[1]، شَرُف بقرب ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[2]، واختص برؤية طلعة الجبار، وصار ملحوظ نظر العناية، وأصبح محظوظًا، وما كان جديرًا بالمشاهدة من الآيات، شاهده كما ينبغي، وسمع أسرار الوحي من دون واسطة.

شعر (رمل)

حدث أمر بين العاشق والمعشوق

وأنت لست معشوقًا ولا عاشقًا، فماذا حدث لك؟

ولمَّا عاد مباركًا لدعوة الأمة، شاهد في شرفة العرش المجيد صورة تمثال، لم يكن قد رأى مثل تلك الصورة بذلك الجمال في أركان المَلك وبين سُكَّان الفلك.

---

(١) سورة الإسراء، جزء من الآية ١.

(٢) سورة النجم، آية ٨.

شعر (هزج)

أرى قمرًا أمام العين في مرمى النظر

لا يدركه البصر، ولا تسمع الأذن وصفه

وبقي الرسول حائرًا مذهولًا أمام لطافة تلك الصورة ونظافتها، وتعلق بها تعلقًا شديدًا. ووجد أنه كان قد طوى عمامة على رأسه لها طرف، وكان يرتدي ثيابًا من البرد اليمنية، وكان يبدو في غاية الارتباك والاضطراب. فاستفسر الطاووس الزاهي عن حال تلك الصورة من الناموس الأكبر، وقال: لم يأسرني تمثال من عدة آلاف من التماثيل العجيبة والأشكال الغريبة التي شاهدتها تحت العرش في كل فلك على حدة، وما من مخلوق إلا وله تمثال تحت العرش، إلى آخره، ولم يدهشني إلا هذه الصورة اللطيفة الأليفة المنيفة، عجبًا! صورة من تكون؟ وما سِرُّها؟ أهذا ملك مقرب أم نبي مرسل أم ولي مكمل؟

قال جبريل: هذه هي صورة شخص من نسل الصِّدِّيق الأكبر الذي سوف يظهر في آخر الزمان في أمتك، ويملأ العالم بأنوار أسرارك وحقائقك، ويمنحه الجمال والزينة، ويهبه الحق تعالى قدمًا وقلمًا وروحًا، فتصبح جميع الملل وأرباب الدول محبين ومريدين له، وسوف يكون سر النور مُظهِر مَظْهر دينك. كما أنشد:

شعر (رمل)

افتح مخزن إنا فتحنا

وتحدث عن سر روح المصطفى

كما أنه يشبهك في السيرة والصورة من جميع الوجوه. كما قال صلى الله عليه وسلم: ما من نبي إلا وله نظير في أمته[1]. ويُسَمَّى محمد أيضًا، ويُلَقَّب بجلال الدين، ويشرح كلامه أسرار أخبارك، ويكشف بطون القرآن العظيم. فبَشَّ الرسول بشاشة عظيمة من غاية السعادة.

ولَمَّا وصل الرسول مباركًا إلى مقر عِزِّه، عصب عمامته المباركة بالطريقة نفسها التي كان قد شاهدها، وقال: ذَنِّبوا عمائمكم، فإن الشيطان لا يُذَنِّب، والعمائم تيجان العرب[2]. وأرسل مقدار شِبر بالتمام على صدره، وطرح الطرف الآخر خلف قفاه. ونتبع، نحن القريشيين، سنة الرسول منذ ذلك الزمان إلى يومنا هذا. وتلك هي سُنة قبيلتنا.

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن النحاس، نا أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي، نا الغلابي محمد بن زكرياء، نا أحمد بن عنسان الهجيمي، نا أحمد بن عطاء الهجيمي أبو عمر، حدثني عبد الحكم، عن أنس، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ما من نبي إلا له نظير في أمته، وأبو بكر نظير إبراهيم، وعمر نظير موسى، وعثمان نظير هارون، وعلي بن أبي طالب نظيري، ومن سَرَّه أن ينظر إلى عيسى بن مريم، فلينظر إلى أبي ذر الغِفاري -رضي الله عنهم.

الخلعي: كتاب منتقى من العشرين، جزء ١ المنتخبة (الخلعيات)، ص ١٩.

المكتبة الشاملة

shamela.ws

(٢) **العمائم تيجان العرب:**

الراوي: عبد الله بن عباس

المحدث: محمد جار الله الصعدي

المصدر: النواقح العطرة

خلاصة حكم المحدث: ضعيف

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

ويقولون: إن علماء خراسان ومشايخها يتبعون السنة نفسها. وفي ذلك اليوم ضحى الصِّدِّيق الأكبر بكل ما ملك؛ امتنانًا وفداء للرسول وللأصحاب من شدة سعادته. ويقولون: إن أبا بكر الصديق كان يبكي بكاءً مُرًّا عند وفاة الرسول، وينتحب. فقال الرسول: أيها الصِّدِّيق الصديق، ما يبكيك؟ وإلى أين هذا البكاء الشديد؟ فقال: كانت لآدم الصفي، ونوح النجي، والأنبياء الكرام أعمار طويلة. وانشغلوا بالدعوة في أممهم سنوات طويلة. وأنت سلطان الجميع، وإنك تقول: آدم ومن دونه تحت لوائي[1]. تسافر في الثانية والستين من عمرك، وترحل. إن قلبي يحترق، وإنني أتحسر لذلك السبب، ولأن سلطانًا مثلك يرحل بسرعة. وإنني أريد أن تُعَمِّر ألف سنة مثل آدم، حتى كان العالمون يشرفون بوجودك المبارك.

فقال الرسول: لا تحزن أبدًا، فإن دعوة مملوءة بالرحمة لي في يوم تعادل ألف سنة عند الأنبياء الآخرين. وما حدث لأمتي، وما سوف يحدث بها، وما بلغ علماء أمتي، لم يحدث للأمم الماضية في سنوات كثيرة، ولم

---

(١) **إشارة إلى الحديث:** أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر...

الراوي: أبو سعيد الخدري

المحدث: الألباني

المصدر: صحيح الترمذي

خلاصة حكم المحدث: صحيح

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية

dorar.net

يتحقق. ألا تعلم أن «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1] هو قولي؟ فاسعد يا صِدِّيق الخاطر العاطر؛ اليوم تسد كل فرجة إلا فرجة أبي بكر[2]. واعلم أنني وسِرِّي وحقيقتي سوف نطل ذات يوم برأسنا من تلابيب أبناء أبي بكر، وننير العالم، حتى يتحقق مقصودك تمامًا. فأذعن أبو بكر. ورحل الرسول في اللحظة نفسها. وتمنينا، نحن السادة، هذا الزمان قرنًا بعد قرن.

كان رسولنا قد رأى تلك الصورة بتلك الصفة، وأشار بأن يظهر، حتى نشرف نحن بشرف زمانه الشريف. ولله الحمد أننا حظينا بتلك السعادة. وساعدتنا تلك السعادة، وتحقق مرادنا. وعلى هذا النحو تواتر هذا الخبر بين جماعة الحجيج، وسمعوه بهذا التفصيل والتفضيل من سادة المدينة الصادقين.

---

(١) **علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل:**
المحدث: الزرقاني
المصدر: مختصر المقاصد
خلاصة حكم المحدث: لا أصل له
الدرر السنية، الموسوعة الحديثية
dorar.net

(٢) **إشارة إلى الحديث:** إنه ليس من الناس أحد أمن عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذًا من الناس خليلًا، لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر.
الراوي: عبد الله بن عباس
المحدث: الألباني
المصدر: صحيح الجامع
خلاصة حكم المحدث: صحيح
الدرر السنية، الموسوعة الحديثية
dorar.net

شعر (رمل)

ما قالوه في أوصاف كماله

لم يُقَل قَط، لأنه يعادل مائتي ضعف

حكاية

رُوي كذلك أن تاجرًا معتبرًا كان قد جاء إلى قونية في زمان سلطان ولد -قدس الله سِرَّه العزيز، وزار تربة مولانا، وحمل التحف المتنوعة والطُّرَف إلى سلطان ولد، وقدَّم خدمات كثيرة للأصحاب، وحكى حكايات كثيرة عن سفره، كما قال في أثناء حكاية: كنت قد سافرتُ إلى كيش والبحرين، لأجلب اللآلئ والدرر واليواقيت، فأرشدني شيخ من أعيان تلك الديار إلى أن مطلوبي يوجد عند فلان الصياد. ولمَّا ذهبتُ إليه، فتح صندوقًا، وعرض عليَّ من كل نوع، حتى إنني اندهشت لقيمة كل نوع منها، وسألته عن طريقة حصوله على ذلك المجموع، وكيفية كثرة ثروته. فقال: والله، كنا أربعة إخوة، ولدينا أب هَرِم، وكنا صيادين من قديم العهد. لكننا كُنَّا فقراء مُقلي الحال.

وحدث أننا كنا قد ألقينا الصنارة عند ساحل البحر، فوقع كائن حي فجأة في الشص. ومهما كنا نجذبه، ونحاول، لم نكن نستطيع إخراجه. وبناء عليه لمَّا أخرجناه إلى شاطئ البحر بعد عناء شديد، فكان سيد البحر. ويطلقون عليه عجب البحر، كما هو مشهور على أفواه الناس.

رأينا كائنًا حيًّا عجيبًا للغاية، فاندهشنا جميعًا، إذ ماذا نفعل به؟

وكيف نستفيد منه؟ وعلى هذا النحو كنا نجزع، ونبكي بسبب سوء حظنا، فقد وقع في أيدينا بعد أيام عدة من الصيد. وكان ذلك الكائن ينظر إلينا كذلك. فقال أبي: أضعه في بيت، وآخذ درهمًا من كل شخص، وعندئذ أُظهره للخلق، حتى يشاهدوا هيئته، ويروا قدرة الحق، بل إنني أطوف حول العالم، حتى يحدث فرج، ولا يضيع تعبنا كله.

تحدَّث ذلك الكائن بإنطاق واهب النطق والحياة، وقال: لا تُشهِّروا بي بين الخلق، وسوف أحضر كل ما تطلبونه، حتى إنه يكفي أولاد أولادكم سنوات طويلة. وتعجبنا من حديثه وادعائه. وقال أبي: أيها الكائن العزيز، كيف يمكن إطلاق سراحك من دون ضمان؟ فقال: أقسم، ثم أرحل عندئذ. قال أبي: باسم الله، هات ما عندك. فقال: نحن مسلمون، ومريدون لمولانا؛ أقسم بروح مولانا جلال الدين الرومي أن أذهب، وأعود مرة أخرى. فصاح أبي صيحة، وفقد الصواب.

وقلنا له: من أين تعرفه؟ فقال: نحن اثنا عشر ألف قوم، توجهنا إليه، وهو يتوجه إلينا أيضًا في كل مرة في قاع البحر، ويُدَرِّس لنا المعاني والحقائق، ويرشدنا. ونحن ننشغل دائمًا بأسرار سلطان الدين ذلك. فأطلقه أبي في الحال.

وجاء بعد اليوم التالي، وقد أحضر قدرًا من اللآلئ والأحجار لا يمكن الحديث عنه. وطلب مِنَّا الحِلَّ، وعاد. وأصبح كل واحد مِنَّا قارون الوقت فجأة في مثل تلك القلة بعينها والفقر والفاقة الشديدة. وأصبحنا سادة معتبرين. كما أن غلماننا هم تجار فاخرون. وكل تاجر

طلب اليواقيت والغرائب، وجدها عندنا. ونحن أولاد ذلك الصياد، ويطلقون علينا أولاد الصياد.

وحَلَّ أبونا العزيز بقونية في ذلك العهد، وأدرك مولانا. ولله الحمد أن تيسر لي، أنا العبد، لقاؤكم في هذا الوقت، وبلغتُ السعادة الأبدية.

كذلك روى التجار القدماء هذه الحكاية بالتواتر عنهم. كما أنشد:

شعر (مجتث)

بلغ خبرنا السمك في البحر

ففاض البحر بألف موج أيضًا

شعر (رمل)

السمك بمنأى عن شيخنا العالم

ونحن نشقى بهذا الظفر وهم سعداء

وهذه كرامة في غاية العظمة ومعجزة من المعجزات المحمدية -صلى الله عليه وسلم.

رُوي كذلك عن كرام الأصحاب أن الشيخ صدر الدين والقاضي سراج الدين وسائر العلماء والعارفين كانوا قد خرجوا للتنزه في مسجد مرام الجامع، والبساتين. وكذلك كان مولانا قد حضر وسط تلك الجماعة، ونهض بعد برهة، ودخل طاحونًا، وتوقف طويلًا. وجاوز انتظار هذه الجماعة الحد. فدخل الشيخ والقاضي سراج الدين الطاحون في طلبه، ووجدا مولانا قد رقص أمام حجر الطاحون، وقال: بحق حقه، إن حجر الطاحون هذا يقول: سبوح، قدوس. قال الشيخ:

كنت أنا والقاضي سراج الدين ننصت في اللحظة نفسها، وكان نداء «سبوح، قدوس» يبلغ سمعنا من حجر الطاحون ذلك. وبدأ إنشاد هذا الغزل:

شعر (رمل)

القلب مثل الحبة، ونحن مثل الطاحون

كيف يعرف الطاحون لماذا هذا الدوران؟

الجسد مثل الحجر وماؤه الأفكار

يقول الحجر: إن الماء يعرف الحادثة

يقول الماء: سَلِ الطحان

لأنه سكب هذا الماء في المنخفض

يقول لك الطحان: يا آكل الخبز،

إذا لم يصر هذا، فمن يكون الخباز؟

سوف تكثر الحوادث، فاصمت

وسَلِ الله، حتى يجيبك

وفقدنا نحن الصواب بسبب غاية العظمة تلك، والتصرف. ولمَّا عدنا إلى رشدنا، كان مولانا قد اختفى.

حكاية

روى الشيخ محمود صاحب القران أن الصديق الحميم جلال الدين القصاب كان يحكي ذات يوم قائلًا: إن شخصًا قال أمام مولانا ذات يوم: إن فلانًا طبعه سيئ وحمله ثقيل. وهذا مَثَل مشهور: طبع سيئ وحمل ثقيل. فقال مولانا: أصل ذلك المثل أنه كان هناك سلطان عادل للغاية وكريم الطبع في الزمان الماضي. وكان دكان بائع الفخار في الطريق إلى منتزهه على بوابة تلك المدينة، وكان البائع هَرِمًا للغاية. وكلما كان هذا السلطان يدخل من تلك البوابة، كان بائع الفخار الهَرِم يبالغ في الدعاء له، ويمتدحه.

ومَرَّ عليه السلطان يوم النيروز، وقال: أيها الشيخ، اطلب مِنِّي اليوم كل مقصود ومطلوب لك. فقال الشيخ: ليبقَ ملك العالم، ولتأمر بأن يشتري كل واحد من خواص حضرتك، وجند مملكتك، قدحًا أو إبريقًا بذلك السعر الذي أريده. فأشار السلطان قائلًا: كل من يحبني، يشتري قدحًا من هذا الشيخ. فاشترى الجيش كله من أمراء وكبراء كل على حدة قدحًا منه بدينار، وأخذوها.

كان للسلطان وزير خسيس ووضيع وسيئ الطبع، سمع عن الأمر متأخرًا، وجاء بنفسه لطلب القدح. فعرض عليه الشيخ الحكيم إبريقًا، وطلب مائة ألف دينار ثمنًا له. فكان الوزير يجادله، ولم يكن يقبل. وفي آخر الأمر اشترى الإبريق بألف درهم مضطرًا. وقال الشيخ في

جد: تتعهد لي أيضًا بأن تحملني إلى السلطان، وإلا لا أمنحك الإبريق. فحمل الشيخ -أراد أو لم يُرِد- على عنقه، وأحضر الإبريق إلى السلطان.

قال السلطان: ما هذه الحال أيها الشيخ؟ وما هذه الإهانة التي فعلتها؟ فقال: يا سلطان العالم، إن سيئ الطبع ثقيل الحمل، لأنه إذا لم يكن يسلك مسلك الخسة، لكان يدفع دينارًا، ويحمل الإبريق، ولم يكن يُبتلى بهذه الملامة والملالة. وقد ضيَّع نفسه بشؤم الخساسة، وجلب الذلة لروحه.

حكى كذلك جلال الدين القصاب -الذي كان نديم الأصحاب- قائلًا: جاء بي جماعة الفقهاء إلى الخلوة ذات يوم في أوائل ظهور هذه الأسرار، وصفعوني صفعات شديدة على سبيل السخرية والإنكار، فضرطت فجأة من شدة الألم. وضحكوا، وأطلقوا سراحي في الحال. وقفزتُ خارجًا، وقلت: الضراط مني والعناية من الله. فضحك الأصحاب، وسروا.

قال مولانا: إن سر هذا مثل سلطان كان قد احتاج إلى الفصد، ولمَّا أحضر قواصد السلطان الفصَّاد، سَنَّ الفصاد المسكين المبضع، وقصد الفصد. فانكسر طرف المبضع، وبقي في ساعد السلطان. ضرط الفصاد ضراطًا شديدًا للغاية بسبب الخوف من السلطان -فاستغرق السلطان في الضحك، وقهقه- وفي الحال خرج طرف المبضع من ساعده.

قال الفصاد: يا سلطان العالم، الضراط مني، والعناية من الله.

وبقي هذا المثل تذكارًا بين الناس منذ ذلك الوقت. وكذلك الطاعة من العباد الفقراء على قدر استطاعتهم، والعناية والعون من الحق تعالى.

كما قالوا: على الديك صياح، وعلى الله الصباح. وهاتان الحكايتان من لطائف مولانا التي كان يحكيها في بعض الأوقات. كما أنشد:

شعر (خفيف)

إن هزلي ليس هزلًا، بل إنه تعليم

من أجل إرشاد الخلق وتفهيمهم

رُوي كذلك أن شخصًا كان قد اعتلى شجرة مثمرة في زمان مولانا، حتى يقطف الثمار. فعلم صاحب البستان، وجاء فجأة، وقال: انزل من على الشجرة. فقال: لن أنزل. ولَمَّا كان البستاني جادًّا في الأمر، قال: فلأطلِّق زوجتي، إذا ما نزلتُ من على هذه الشجرة. وبقي في ذلك المكان ثلاثة أيام بلياليها.

طلبوا فتاوى مختلفة، ولم يكن ممكنًا. وفي النهاية قال عزيز: ينبغي عرض هذه المشكلة على مولانا. وحكى جماعة من المحبين المخلصين هذه الحكاية لمولانا، فأجاب: يمضي من تلك الشجرة إلى شجرة أخرى، وينزل، حتى لا يحدث أي خلل. وإذا كانت هناك مثل تلك الشجرة فحسب، ينزل من على جواده، ويأتي، فلا يحنث بيمينه. وفعل كذلك، وتحلل من يمينه، وأثنى مفتو المدينة جميعهم على مولانا.

حكاية

رُوي كذلك عن كبراء الفقراء أن مطربة تُدعَى «طاووس» كانت في قصر ضياء الدين الوزير، كانت عذبة الصوت للغاية، لطيفة الألحان، مزدانة بثياب جميلة، وكانت محبوبة، ونادرة العالم. وكان جميع العشاق أسرى صنجها بسبب لطافة أناملها.

وحدث أن دخل مولانا ذلك القصر ذات يوم، وجلس أمام حجرتها. فتجلت طاووس المطربة، وسجدت، وتشبثت بطرف مولانا، ودعته إلى حجرتها. فأجاب مولانا الدعوة، وصلى وتضرع من أول النهار حتى صلاة العشاء، وقطع مقدار ذراع من عمامته، ومنحه لها، ومنح جواريها الدنانير الحمراء، ومضى.

وفي اليوم ذاته مَرَّ عليها شرف الدين أمين خزينة السلطان، وأصبح عاشقًا لها، مفتونًا بها، فأرسل إنسانًا أمينًا، وبعث بها إلى الحَمَّام، وعقد عليها، ومنحها خمسين ألف دينار مهرًا، وقدَّم خدمات بلا حد، وسألها ليلة الزفاف قائلًا: لم يكن لكِ هذا الحُسن والملاحة إلى هذا الحد، فما معنى أن أراكِ في هذه الأيام رابعة العهد، وزليخا الزمان؟ وإنكِ لستِ كما كنتِ قبل هذا، فمن أين لكِ بهذا الجمال والزينة؟ فحكت له كذلك حكاية تشريف مولانا، وأظهرت قطعة عمامته التي كان قد عصبها بها. فسُرَّ أمين الخزينة، وأرسل العطايا إلى مولانا، وأصبح مريدًا له.

وفي نهاية الأمر، بلغت حال طاووس المطربة أن صار حور قونية، وملائكة القدس مريدين لها. وكانت تتحدث إليهم بالكرامات

الواضحة، وتخبر عن ضمائر الناس، وقد أعتقت جواريها، وزوجتهن. وفي آخر الأمر، صار ذلك القصر المبارك حَمَّام المسلمين. ويطلقون عليه في هذا الزمان حَمَّام «نقشلو».

مناقب العارفين

في قونية «مدينة الأولياء» - كما أطلق عليها مولانا جلال الدين الرومي - بدأ شمس الدين أحمد الأفلاكي العارفي، في سنة 718 هـ تأليف كتابه «مناقب العارفين»؛ تلبيةً لرغبة شيخه شلبي فريدون بن بهاء الدين محمد بن جلال الدين محمد المولوي، المعروف بـ«أمير عارف» أو «شلبي عارف»، الذى أشار عليه بإعداد كتاب عن مناقب آبائه وأجداده وخلفائهم من المولوية، وشجَّعه على ذلك.

استقصى شمس الدين الأخبار من كبار الأحرار، وأخذ يجمع الحكايات من الرواة الثقات، والعدول التقاة، وحرص على تدبرها، واطمأن إلى صوابها، وتأكد من صحتها، وأعد كتابه عن مناقب العارفين المولوية.

والكتاب يحتوي على شرح أحوال مولانا جلال الدين، وأبيه بهاء الدين الولد، وشيخه برهان الدين محقق الترمذي، ومرشده شمس الدين التبريزي، ومريديه وخلفائه، وأبنائه وأحفاده، كما يشتمل على الأقوال المأثورة عنهم، والأخبار المتعلقة بهم، ويعد سجلًا حافلًا بالحكايات المروية عنهم، والكرامات المنسوبة إليهم.

ويمكن من خلال الكتاب معرفة نظام الحياة في التكية المولوية، وطبيعة العلاقة بين الشيخ والمريدين، وطريقة تأديب الشيخ للمريدين، وأُسس الطريقة المولوية ومبادئها، وآدابها ورسومها، وما يتعلق بها من الرياضات والمجاهدات، والأوراد والأذكار كذلك.

ويصف الكتاب كذلك محافل الدرس والوعظ، ومجالس السماع وما كان يدور فيها، ويذكر بعض أسماء المنشدين والقوَّالين.

ويوضِّح الكتاب أيضًا علاقة الصوفية بأمراء الزمان وأكابره وسادات البلاد، ويلقي الضوء على صلتهم بطوائف المجتمع المختلفة، وطريقة تعاملهم مع النساء.

ويتناول الكتاب بعض الأحداث التاريخية، والوقائع التي حدثت في القرنين السابع والثامن الهجريين في آسيا الصغرى، والتي ربما لم ترد في غيره من المؤلفات.

ويعد الكتاب من الكتب الأصيلة الموثوقة التي اختصت بشرح أحوال المشايخ المولوية وأتباعهم، وكراماتهم. كما أنه يحظى بأهمية أدبية وتاريخية وأثرية.


ISBN 978-977-765-424-1



